الأنوار

في

علم الأسرار ومقامات الأبرار

تأليف

أبي القاسم عماد الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله
البكري الصقلي المالكي
المتوفى سنة ٢٨٠هـ

تحقيق وتعليق

أحمد فريد المزيدي

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi

الأنوار

في

علم الأسرار ومقامات الأبرار

تأليف

أبي القاسم عماد الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله
البكري الصقلي المالكي
المتوفى سنة ٣٨٠ هـ

تحقيق وتعليق

أحمد فريد المزيدي

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان
رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٣٧٨٥٤٢ (١ ٩٦١)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ére Etage
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P. : 11 - 9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3180-X
9782745131805

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذى يمنح عطاءه لمن أسلم قياده إليه، ويهب رضاءه لمن قصده وتوكل عليه، ويجتذب إلى ساحة قربه من أناب ورجع إليه.

سبحانه أقام فى كل عصر كوكبة من أحبابه يدلُّون الخلائق عليه، فهم أولياؤه وعارفوه، يدعون إليه على بصيرة الإيمان، ويحررون العقول من ربقة الشيطان، فهم الهداة المهتدون والورثة المحمديون من أحبهم شرب من راحهم فاستراح، وعلى باب ربه أقام وأناخ، فمن شرب من رحيق وداده اهتدى ولم يعرفه الردى، فقد نصره الله على سائر العدا، ومن حاد عن طريقهم ضل واعتدى، ومن يضلل الله فلن تجد له وليًا مرشدًا.

وصلاة الله تعالى وسلامه على سيدنا محمد الذى تجلى بكمال العبودية وانتسب بها شرفًا لمولاه، فكان إمام أهل الحب والشوق ومعراج الوصول، وغذاء الأرواح، وشبكة الأنوار التى تنير الأشباح، وعلى آله الأجلاء، وأصحابه مصابيح الاقتداء، وجميع العترة الذى هم على الهدى أولاء.

وبعد:

فقد رأيت أن الأمة الإسلامية من حكام ورعية، من طلاب وعلماء، من عرب أو عجم فى حاجة لا تتوقف من مزيد حكم الطريق إلى الله رب العالمين، وسراج منير تهتدى به إلى الصراط المستقيم، سبيل السلف الصالحين، فإن الموعظة الموجزة، التى تطلق فى هيئة حكمة نورانية،

ومعانى إلهامية، لا يشبع ولا يمل منها المسلم المحب لله ورسوله وآل بيته.

فنظرت فى عالم التراث الحافل بالخيرات من كتابات العلماء الصالحين، فوجدت أفضل ما فيها مما وقع بين يدى، خاليًا إن شاء الله من البدع والضلالات، والمبالغة والجمود والخيالات، كتاب الأنوار فى علم الأسرار ومناقب ومقامات الأبرار، للإمام المتقدم الحبر الحاذق فى علمه وفهمه الملهم فى علمه عماد الدين الصقلى المتوفى سنة ٣٨٠هـ، فكتابه حقًا تخرج من الأنوار الموصلة إلى مقامات السادة الأبرار الأطهار، السائرين على هدى المصطفى المختار.

وآخرًا أسأل الله التوفيق والسداد، والهداية إلى طريق الحق والصواب. فإليه المرجع والمآب.

كتبه

أحمد فريد المزيدى الأثرى

جامعة الأزهر

الأندلس ـ الهرم ـ القاهرة

ترجمة المصنف

هو الشيخ العلامة: أبو القاسم عماد الدين عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله البكرى الصقلى المالكى، من علماء المالكية وهو من كبار الصوفية الحكماء.

له كتاب «الأنوار فى علم الأسرار»، كتابنا هذا، وقد عُرف به.

وله كتاب آخر: «صفة الأولياء ومراتب أحوال الأصفياء». و «كرامات الأولياء والمطيعين من الصحابة والتابعين»، ولعله نفس كتابنا هذا؛ والله أعلم.

توفى سنة ٣٨٠ هـ.

مصادر الترجمة:

الأعلام للزركلى (٣/ ٣٢٥)، ومعجم المؤلفين (٢/ ١١٥).

* * *

منهج التحقيق

اتبعت خطة العمل فى الكتاب كالآتى:

أولاً: نسخ المخطوط وهى النسخة الوحيدة التى وقفت عليها فى تحقيق نص الكتاب، وهى من محفوظات دار الكتب المصرية حفظها الله تعالى، تقع تحت رقم ٢٣ تصوف، ميكروفيلم ١٣٩٦٤.

وعدد أوراقها ١٢٧ ورقة ذات وجهتين، فى ٢١، ٢٣ سطرًا فى الصفحة الواحدة تقريبًا، وكتب بخط جيد مقروء، يوم الإثنين فى شهر صفر سنة ست وأربعين وسبعمائة، كاتبها: عبد الله بن أحمد الحنفى.

ثانيًا: ضبط النص ضبطًا علميًا صحيحًا، وتفصله وترقيمه.

ثالثًا: التعليق على المواضع الأساسية الأصولية فى الكتاب، واعتمدت فى ذلك المراجع المهمة المبينة التى تعطى القارئ معارف وفوائد تعينه على إيضاح كلام المصنف.

رابعًا: عمل مقدمة تشمل التعريف بالكتاب والمصنف ومنهج التحقيق.

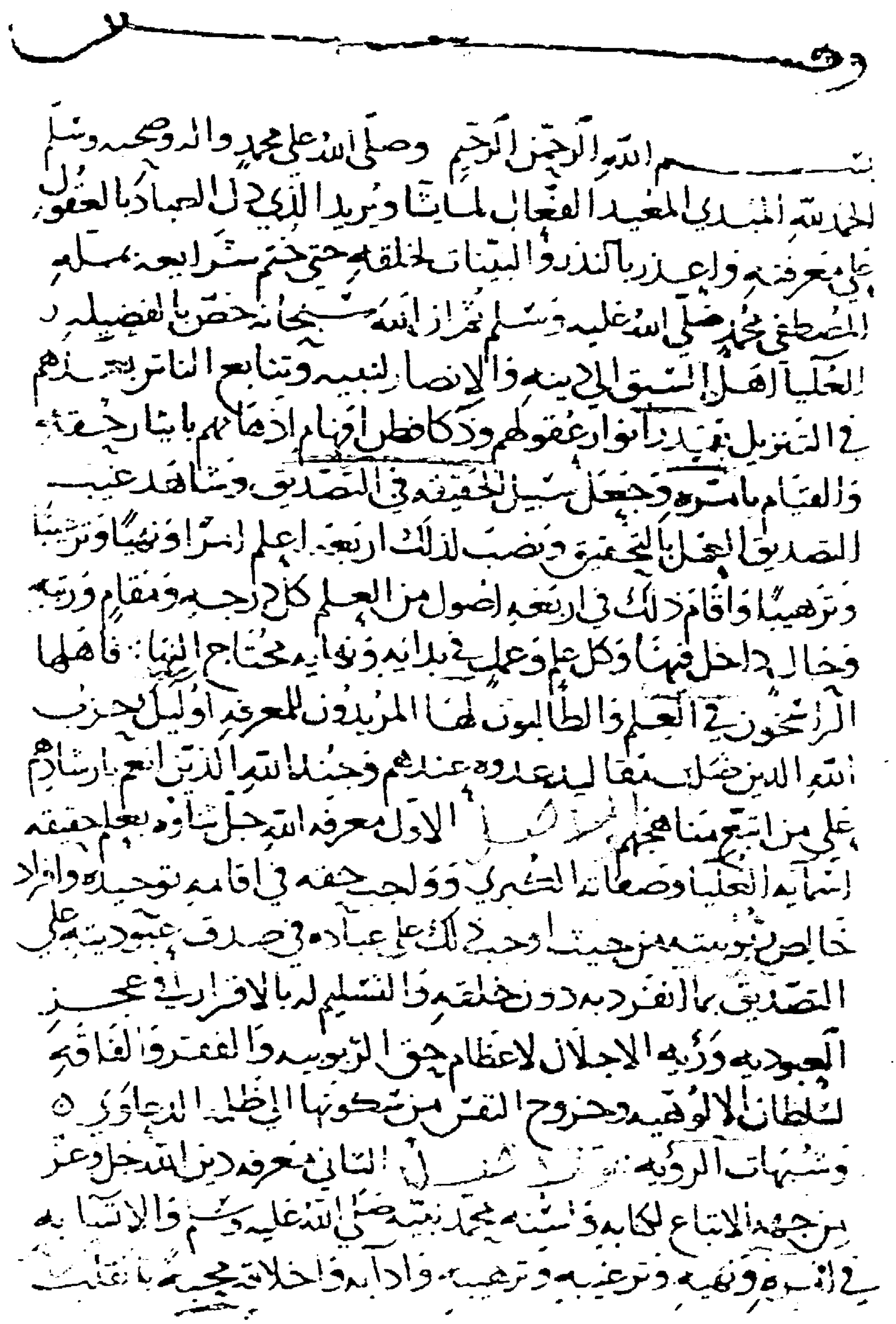
وآخرًا نسأل الله أن يتقبل منا، وأن يوفقنا لما فيه الخير والفلاح.

كتبه

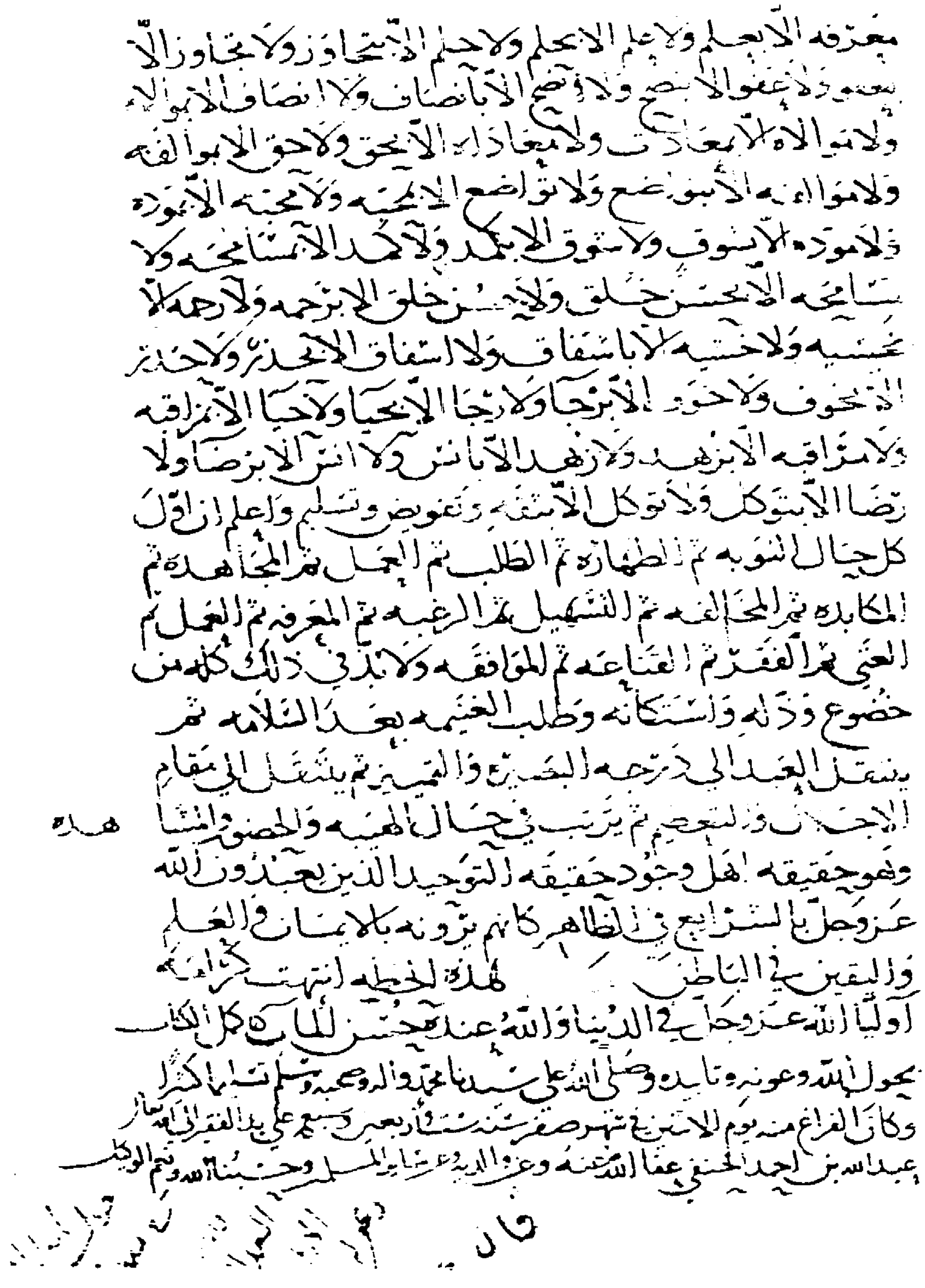
أحمد فريد المزيدى الأثرى

جامعة الأزهر

الأندلس ـ الهرم ـ القاهرة


بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم
الحمد لله المبدي المعيد الفعال لما يشاء ويريد الذي دل العباد بالعقول
على معرفته وأعذر بالنذر والبينات لخلقه حتى ختم شرائعه بمرسله
المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ثم إن الله سبحانه خص بالتفضيل
العليا أهل السبق إلى دينه والإنصار لنبيه وتتابع الناس بعدهم
في التنزيل تمهيداً أنوار عقولهم وذكا فطن أفهامهم إذ هداهم بإيثار حجته
والقيام بأمره وجعل سبيل الحقيقة في التصديق وشاهد عين
التصديق العمل بالتحقيق ونصب لذلك أربعة أعلام أمراً ونهياً وترغيباً
وترهيباً وأقام ذلك في أربعة أصول من العلم لكل درجة ومقام ورتبة
وحال داخل فيها وكل علم وعمل في بدايته ونهايته محتاج إليها فأهلها
الراسخون في العلم والطالبون لها المريدون للمعرفة أولياء حزب
الله الذين ضل سعيها لينعدوه عندهم وجند الله الذين أنعم بإرشادهم
على من اتبع مناهجهم ... الأول معرفة الله جل ثناؤه بعلم حقيقة
أسمائه العليا وصفاته الكبرى وولاء حقيقة في إقامة توحيده وإفراد
خالص ربوبيته من حيث أوجب ذلك على عباده في صدق عبوديته على
التصديق بالتفرد به دون خلقه والتسليم له بالإقرار في عجز
العبودية ورؤية الإجلال لإعظام حق الربوبية والفقر والفاقة
لسلطان الألوهية وخروج النفس من سكونها إلى ظلمة التجاوز
وشبهات الرؤية ... الثاني معرفة دين الله جل وعز
من جهة الاتباع لكتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والائتمار به
في أمره ونهيه وترغيبه وترهيبه وآدابه وأخلاقه محجته بالتقليد

صورة الصفحة الأولى من المخطوط



معرفة إلا بعلم ولا علم إلا بعمل ولا عمل إلا بتجاوز ولا تجاوز إلا
بعفو ولا عفو إلا بصفح ولا صفح إلا بإنصاف ولا إنصاف إلا بموالاة
ولا موالاة إلا بمعاداة ولا معاداة إلا بحق ولا حق إلا بمؤالفة
ولا مؤالفة إلا بتواضع ولا تواضع إلا بمحبة ولا محبة إلا بمودة
ولا مودة إلا بشوق ولا شوق إلا بكمد ولا كمد إلا بمسامحة ولا
مسامحة إلا بحسن خلق ولا حسن خلق إلا برحمة ولا رحمة إلا
بخشية ولا خشية إلا بإشفاق ولا إشفاق إلا بحذر ولا حذر
إلا بخوف ولا خوف إلا برجاء ولا رجاء إلا بحياء ولا حياء إلا بمراقبة
ولا مراقبة إلا بزهد ولا زهد إلا بأنس ولا أنس إلا برضا ولا
رضا إلا بتوكل ولا توكل إلا بثقة وتفويض وتسليم واعلم أن أول
كل حال التوبة ثم الطهارة ثم الطلب ثم العمل ثم المجاهدة ثم
المكابدة ثم المجانبة ثم التسهيل ثم الرغبة ثم المعرفة ثم العمل ثم
الغنى ثم الفقر ثم القناعة ثم الموافقة ولا بد في ذلك كله من
خضوع وذلة واستكانة وطلب الغنيمة بعد السلامة ثم
ينتقل العبد إلى درجة البصيرة والتمييز ثم ينتقل إلى مقام
الإجلال والتعظيم ثم يترتب في حال الهيبة والحضور انتشا	هذه
وهو حقيقة أهل وجود حقيقة التوحيد الذين يعبدون الله
عز وجل بالشرائع في الظاهر كأنهم يرونه بالإيمان والعلم
واليقين في الباطن	هذه الخطبة انتهت [illegible]
أولياء الله عز وجل في الدنيا والله عنده حسن المآب كمل الكتاب
بحول الله وعونه وتأييده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
وكان الفراغ منه يوم الاثنين في شهر صفر سنة [illegible] وأربعين وسبعمائة على يد الفقير إلى الله تعالى
عبد الله بن أحمد الحنفي عفا الله عنه وعن والديه وعن جميع المسلمين وحسبنا الله ونعم الوكيل

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة المصنف]

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، الحمد لله، المبدى المعيد، الفعال لما يشاء ويريد، الذى دلَّ العباد بالعقول على معرفته، وأعذر بالنُّذر والبينات لخلقه، حتى ختم شرائعه بملةِ المصطفى محمد ﷺ، ثم إن الله سبحانه خصَّ بالفضيلة العُليا أهل السبق إلى دينه، والأنصار لنبيه، وتتابع الناس بعدهم فى التنزيل، بقدر أنوار عقولهم، وذكاء فطن أفهام أذهانهم، بإيثار حقه، والقيام بأمره، وجعل سبيل الحقيقة فى التصديق، وشاهد غيب التصديق.

العمل بالتحقيق ونصب لذلك أربعة أعلم: أمرًا، ونهيًا، وترغيبًا، وترهيبًا، وأقام ذلك فى أربعة أصول من العلم، كل درجة، ومقامٍ، ورتبة وَحَالٍ، داخل منها، وكل علمٍ، وعملٍ فى بداية، ونهاية، محتاج إليها، فأهلها الراسخون فى العلم، والطالبون لها، المريدون للمعرفة، أولئك حزب الله، الذين من ضلَّت تقاليد عدوه عندهم، وجند الله الذين أنعم بإرشادهم، على من اتبع مناهجهم.

والأصل الأول: معرفة الله جل ثناؤه، بعلم حقيقة أسمائه العليا، وصفاته الكبرى، وواجب حقه فى إقامة توحيده، وإفراد خالص ربوبيته، من حيث أوجب ذلك على عباده فى صدق عبوديته على التصديق، بما انفرد به دون خلقه، والتسليم له، بالإقرار فى عجز العبودية، ورؤية الإجلال لإعظام حق الربوبية، والفقر، والفاقة لسلطان الألوهية، وخروج النفس من سكونها إلى ظُلمة الدعاوى وشبهات الرؤية.

والأصل الثانى: معرفة دين الله جلَّ وعزَّ، من جهة الاتباع لكتابه، ولسنة محمد نبيه ﷺ، والإنابة فى أمره، ونهيه، وترغيبه، وترهيبه، وآدابه، وأخلاقه، محبةً بالقلب، وعملاً بالجوارح، ودعوة أبيه ثم الاقتداء بأصحابه رضى الله عنهم، وترتيب الأئمة الأربعة فى أماكنهم، وتفضيل الستة بعدهم، وموالاة المهاجرين، والأنصار، والانتساب إلى أمهات المؤمنين، والمحبة لمن والاهم، والمعاداة لمن عاداهم قولاً، وفعلاً، وعقدًا.

والأصل الثالث: معرفة عدو الله، أخزاه الله، ولعنه، وما يُريد منه، وما يدعو إليه، وما يُرفع به كيده، وما يهزم به خيله ورجله، ومعرفة نفسه الأمارة بالسوء، وهواه المردى، وما يأتيان به من الأخلاق المردية، والأمانى الفاسدة من مكر العدو، وحيلته، وضلالته، وفتنته لتفرقة، وما اجتمعا فيه، واجتماع ما تفرقا فيه، واجتماع ما جمعا، وافتراق ما فرق.

والأصل الرابع: معرفة الدنيا، وأهل الزمان مما لابد من مباشرة ما لا غنى به عنه، وما يلتزمه من الحقوق المفروضة منها، ومن أهلها، وما ندب إليه فيها من المصارعة بالخيرات، وإصلاح ذات البين، والسلامة، والغنيمة فى الخلطة، والانفراد، والأخذ، والإعطاء، والحركة، والسكون والظاهر، والباطن بمعرفة وجوه المدارات من المداهنة، والغش من النصيحة، والإنصاف من الخديعة، والتواصل من القطيعة.

فيكون جميع ذلك بعلم، ومعرفة، ويقين، وبصيرة، لطلب إعلام حقيقة الإيمان، ورغبةً فى شرائع الإسلام، باستبطان الرحمة، واستظهار الرأفة، والاعتماد على الاستعانة بالله تعالى فيما كان لله، وعقد ترك المقاومة بالانتصار فيما كان للنفس، ومن النفس. فهذه جمل علوم أهل

التحقيق، والله واسع عليم[١].

* * *

(١) قال ابن عربى: فى منزل المعرفة من كتابه «مواقع النجوم» اعلم يا بنى أن العبد المحقق الصوفى إذا صفا وتحقق صار كعبة لجميع الأسرار الإلهية، يحج إليه من كل حضرة وموقف ويرد عليه كل يوم جمعة ما دام فى ذلك المقام ستمائة ألف سر ملكوتى، واحد منها إلهى وخمسة أسرار ربانية ليس لها فى حضرة الكون مدخل، وما بقى فأسرار الكون، ولكنها متعلقة بهذه الأسرار، فأول ما يرد عليه من السر الإلهى الخمسة، ثم ما بقى فوجًا فوجًا هكذا فى كل جمعة فافهم ما رمزناه لك وحل قفله تسعد!.

الجزء الأول

قال عبد الرحمن بن محمد: جعل الله سبحانه مفاتح الرشد ومزيد الهداية فى عشرة وجوه تفترق على أجزاء: الإيمان، وعقد القلب بالتصديق على إخلاص التوحيد، فشرط العمل بالاتباع، ثم مبادرة التوبة على ترك الكبائر، والصغائر، ثم طلب العلم بالأدب لإرادة العمل به، ثم الصبر على البلوى بترك التبرم، والشكوى، ثم الشكر على النعماء، برؤية التقصير فى الواجب، ثم بحسن الخوف بصحبة الرجاء، ثم الحياء بالمراقبة، ثم المحبة ببذل الإيثار، ثم النصيحة بالإنصاف، ثم الرضا بالتوكل. وجعل مغاليق الرشد، وذهاب الهداية فى خمس يفترق على أجزاء الكفر: إسلام بلا صدق، وعمل بلا إخلاص، وعلم بلا اتباع، وعقل بلا فهم، ومعرفة بلا بصيرة.

وقال: النجاة فى خمس، والهلكة فى أربع: النجاة فى لزوم التوحيد، والاعتصام بالكتاب والسنة، وصلاح القلب للسلف، وسلامة الصدر للأمة، وصفاء الطعمة، والهلكة فى إيثار الدنيا على الآخرة، وطاعة العدو، وموافقة النفس، ومؤالفة الهوى بغير تبيان ولا هدى.

وقال: الخوف، والرجاء نسبةُ العلماء بالأمر، والنهى، وعلامة ذلك الخشية بالصدق والورع بالإشفاق، والصبر، والشكر، نسبة العمال بالأمر، والنهى وعلامة ذلك الرحمة بالتواضع، والإنصاف بالنصيحة، فإذا فقد العالم والعامل ذلك فى نفسه، وفقد منه غيره فحاله معلول، وأصله سقيم، إما محجوب بدنيا، وإما مبعدٌ بدعوة فرضها فى ذلك التوبة بالإقلاع، ومسائلة أهل العلم بالله، والمعرفة على وجود البصيرة

فى دينه، ومتى رضى كل واحد منهما بحاله فهو عَمِىٌّ به القلب يزيد حفظ العلم لقيام الحجة عليه، وهو ضمير القلب بزيادة العمل، لفقد وجود المواريث منه.

وقال: الفقير إلى الله عز وجل فى العلم، والعمل نسبة أهل المعرفة به، ومن هذا دخلوا إلى باب الغنى بالله عن الدنيا، وأبنائها، والغنى بالله عز وجل فى العلم، والعمل، نسبة العلماء بالله ومنهم دخلوا إلى باب القناعة الكبرى المتصلة بالتعذر بالله عز وجل.

وقال: اعرفوا الناس بأشكالهم، وخالطوا الناس على قدر أديانهم وخادنوا الناس بالمصافات على قدر عقولهم.

وقال: الإفراط فى طلب الدنيا ذهاب للمروءة، وسخف فى العقل، ونقص من الدين، وحرام على أهل ذلك أن يصفو لهم عيشة، أو يعتزوا بغنى، أو يلوذوا براحة، أو يشرفوا بحقيقة من الحق.

وقال: من طلب الورع قبل القناعة فمتعنٍّ، ومن طمع فى الزهد قبل الورع فمتمنٍّ.

وقال: التعفف قبل القنوع، والقناعة قبل الورع، والزهد بعد الورع، والحياء قبل المراقبة، والإيثار بعد المحبة، والرضا قبل التوكل، والمعرفة بعد اليقين، والبصيرة قبل المشاهدة.

وقال: أصول الرضا ثلاثة، وشعبه ثلاثة:

فأصوله: العلم، واليقين، والمعرفة.

وشعبه: التفويض، والتسليم، وترك الاعتراض[١].

---

(١) قال الإمام ابن قدامة المقدسى: «ويتصور الرضى فيما يخالف الهوى، وبيان ذلك إذا جرى على الإنسان الألم، فتارة يحس به ويدرك ألمه، ولكنه يكون راضيًا به، راغبًا فى زيادته بعقله وإن =

وأصول التوكل ثلاثة، وشعبه ثلاثة:

فأصوله: الثقة بالله، والاعتماد على الله، والاستعانة بالله.

وشعبه: الجلوس مع الله، وانتظار أوقات الله، والنظر فى الأسباب الجارية من الله.

وقال: من اقتضى المعونة من ربه بدوام الاستعانة به، واستعاذ بالله من شر هذه الاستطاعة المدفوعة إليه، على بذل الجهد فى أداء الحقوق الواجبة، والفروض اللازمة والمسارعة فى الدرجات، والمسابقة إلى المقامات بطرح نفسه، وخروج نفسه من حوله، وقوته على دوام الفقر، والفاقة إلى الله عز وجل، نالته المعونة وصحت له العبودية، ومن استغنى بحوله، وقوته فى استطاعته ضلَّ عن طريق الهداية، وتحكمت فيه دواعى نفسه، وهواه، وعدوه.

وقال: عليكم بالاتباع لما كان عليه الصدر الأول تسلمون من الحدث فى الدين، وعليكم بالرفق فى الاقتصاد فيما لابد لكم منه تسلمون من

= كان كارهًا له بطبعه لما يوصله من الثواب مثاله: أن يلتمس من الحجام الحجامة والفصد، فإنه يدرك ألم ذلك، إلا أنه راضٍ به، راغب فيه ومتقلد منه الحجام. وكذلك كل من يسافر فى طلب الربح، فإنه يدرك مشقة السفر، لكن حبه لثمرة سفره طيب عنده تلك المشقة وجعله راضيًا بها، وكل من أصابه بلية من الله تعالى، وكان له يقين، فإنه يتوقع الأجر فوق ما فاته، فيرضى بما أصابه ويشكر الله تعالى عليه، ويجوز أن يغلبه الحب، بحيث يكون حظ المحب فى مراد محبوبه، ويبطل الإحساس بالألم لفرط الحب، وليس ذلك بعجيب، فإن الرجل المحارب فى حال غضبه أو خوفه، تصيبه الجراحات ولا يحس بها، ولا يشعر بها فى تلك الحال، وذلك لأن قلبه مستغرق، وإذا كان القلب مستغرقًا بأمر من الأمور لم يدرك ما عداه، وذلك موجود فى المشاهدات.

قال الجنيد رحمه الله: سألت سريا: هل يجد المحب ألم البلاء؟ قال: لا، وقد روينا عن خلق كثير من أهل البلاء، أنهم كانوا يقولون: لو قطعنا إربًا إربًا، ما ازددنا له إلا حبًا. انظر: مختصر منهاج القاصدين (ص٤٣٨).

العار فى الدنيا، وعليكم بالرفق وترك التفخم، فإن العجلة استجلاب الندامة، ونارٌ وشنارٌ [١] فى القيامة.

وقال: الإفراط كله مذموم، لأنه يؤدى إلى الغلو، ويورث صاحبه الكسل، والفترة، والاقتصاد كله محمود لإنه يعقب المزيد ولا يذم صاحبه عند التقصير.

وقال: كفّ الأذى نصف عمل البر كله، والنصف الآخر صنائع المعروف لله عز وجل.

وقال: المعروف يجرى بين الناس على أربعة وجوه؛ فواحد لله عز وجل، والثانى لما عند الله عز وجل، والثالث لحظ النفس، والرابع لوجه الناس.

الأول: فالذى لله وحده، معروف للفقير المسكين، لا يتبعد منًّا، ولا أذى.

الثانى: والذى لما عند الله، صلة الإخوان، والإنفاق فى سبيل البر للمجازات.

الثالث: والذى لحظِّ النفس، ما يُدفع به الأذى، ويُستجلب به الحمد والثناء.

الرابع: والذى لوجه الناس، ما يجرى بينهم فى الصنائع للمكافآت فى الدنيا.

وقال: درهم الإسراف حسرات فى القيامة، وأضرّ درهم يبعد العبد بإنفاقه من ربه، درهم فى البنيان بغير ضرورة، وأبعد، وأشد منه ضرر فى الدنيا والآخرة، درهم يكسبه بإيذاء مسلم أو ينفقه لأجل إيذاء مسلم.

---

(١) أى عار وعيب [صحاح: شنر].

وقال: أعلى أخلاق الإيمان، علم يعمل به فى سنة يُراد به ما عند الله. فأعلى أخلاق اليقين، معرفة تورث التوكل بالحقيقة على الله عز وجل.

وقال: الغضب كله مذموم، إلا غضب يُهيجه الأمر، والنهى فى ذات الله عز وجل، وكل غضب يكون لله، فصاحبه مختبرٌ فيه صدق، فإن ثبت على أمر الله، أتته المعونة من الله، وكل غضبٍ تُهيجهُ النفس، والهوى، لحظٍّ دون الله، فصاحبه معاقب لا محالةَ، إلا أن يُغاث بالتوبة.

وقال: الناس كلهم فقراء إلى العلم، والعلم كله مُحتاج إلى العقل، والعقل كله فقيرٌ إلى التوفيق.

وقال: كل عملٍ بلا علم باطلٌ، وكل عملٍ، وعلمٍ بلا نية هباء، وكل عملٍ، وعلمٍ، ونية بلا سنة مردودٌ، وكل عملٍ، وعلمٍ، ونية، وسنة بلا ورع خسران، يخاف على صاحبه عند الموازنة، والقصاص، ذهابه.

وقال: ليس بأحد غنىً عن الإيمان بالله عز وجل، وأهل الإيمان فقراء إلى خمسة أشياء: العلم، والعقل، والعمل، والصبر، والشكر، وكل واحدٍ من هذه الخمسة ليس به غنىً عن خمسة، فالعلم فقير إلى العقل، والأدب، والورع، والخشية، والرحمة، لا قوام للعلم إلا بهذه الخمسة. والعقل فقير إلى العلم، والحلم، والتواضع، وكفِّ الأذى، وبذل المعروف، ولا قوام له إلا بهذه الخمسة. والعمل فقير إلى العلم، والعقل، والاتباع، والنصيحة، والإخلاص، لا قوام له إلا بهذه الخمسة. والصبر فقير إلى العلم، والعقل، والرفق، والكتمان، وسعة الخلق لا قوام له إلا بهذه الخمسة. والشكر فقيرٌ إلى العلم، والعقل،

والمعرفة، والإيثار، والنصيحة.

وقال: إذا وقع لطالب العلم محبة الحُظوة، خف عليه طلب العلم، وإنفاق المال فيه، وإذا وقع للمريد محبة الإشارة ثقل عليه طلب العلم، وخف عليه نبذ الدنيا، فإياكم وهؤلاء الأحزاب أن تأمنوهم على حالٍ من الحقيقة، أو بابٍ من غريب العلم، حتى تعرفوا منهم ثلاثًا: عقلاً راضيًا، وفهمًا ثاقبًا، وهمة تسمو للعلا.

وقال: إذا هان على الحُرِّ بذل ما وجهه لغير ضرورة، ثقل عليه كسب الحلال وسقطت مروءته فى ذهاب حيويته، وذلك فساد للعقل، والنفس، والدين، إلا من عصم الله تعالى، وهو فقر القلب، والاشتغال بالمدح، والذم، والاستعباد، لأبناء الدنيا وهو الهلاك.

وقال: التعفف، عز، ومكرمة، والسؤال، لوم، ودناءة، ومَعرَّة، ومزمة، وأقلُّ فائدة فى التعفف الغنى، وأقلُّ ضرر فى السؤال الفقر.

وقال: السؤال لغير فاقة ذُلّ، ومُعَرَّة، والصلة بين الإخوان على المحبة، والصفاء مكْرُمة، وسنة.

وقال: من رضى عن ربه لم يغيره الفقر، ولم يطغه الغنى، ومن لم يصح إيمانه على الفقر فسد حاله مع الغنى، ومن لم يجد علم الشكر فى الصحة، فقد علم الصبر فى السقم، إذا كنت لا تعلم تدبير دينك فى صلاح إيمانك، وأوقات زمانك، متى تعرف نفسك؟ وإذا كنت جاهلاً بنفسك، كيف تعرف شيخك؟ وإرشاد هديك، ومتى كنت طالبًا للعلم والحكمة؟ وأنت عَمى عن هذه المعرفة، فهو مزيد فى التخلف وحجاب بإقامة الحجة.

وقال: يعرف عقل الغافل، فى ثلاث: طلبه لعلم حاله، وشغله برعاية

حاله، وهمه بتخليص حاله. ويعرف حمق الأحمق، فى ثلاث، بحثه عما لا يعنيه، وجوابه فيما لم يُسأل عنه، ودخوله فيما لم يُدع إليه.

وقال: إذا رأيت فى المرء أربعًا فاعرف بها سخفه، ودخوله: تكلفه علم ما لا ينزل، وتعاطيه علم ما لم يعلم، وتباطئه عن العمل بما يعلم، واستعماله خلاف ما يعلم(١).

وقال: تُرَى الجنة لمن كان فيه ثلاث، وإن أساء وأسرف: صدق الإيمان بالتوحيد، وصدق الإقرار بالقدر، والتصديق بالقدرة. ويخاف العذاب على من كانت فيه ثلاث، وإن أحسن، وبر: الطعن على الأئمة، والأذى لأهل السنة، والتورط فى الحرام والشبهة.

---

(١) قال العلامة ابن قدامة: واعلم أن العلوم المحمودة تنقسم إلى قسمين:

الأول: محمود إلى أقصى غاياته، وكلما كان أكثر كان أحسن وأفضل، وهو العلم بالله تعالى، وبصفاته، وأفعاله، وحكمته فى ترتيب الآخرة على الدنيا، فإن هذا علم مطلوب لذاته، والتوصل به إلى سعادة الآخرة، وهو البحر الذى لا يدرك غوره، وإنما يحوم المحومون على سواحله وأطرافه، بقدر ما تيسر لهم.

القسم الثانى: العلوم التى لا يحمد منها إلا مقدار مخصوص، وهى التى ذكرنا من فروض الكفاية، فإن كل منها افتقاراً واقتصاراً واستقصاءً.

فكن أحد رجلين إما مشغولاً بنفسك، وإما متفرغًا لغيرك بعد الفراغ من نفسك.

وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك، واشتغل بإصلاح باطنك وتطهيره من الصفات الذميمة، كالحرص، والحسد، والرياء، والعجب قبل إصلاح ظاهرك.

فإن لم تتفرغ منه فلا تشتغل بفروض الكفايات، فإن فى الخلق كثيراً يقومون بذلك، فإن مهلك نفسك فى صلاح غيره سفيه، ومثله مثل من دخلت العقارب تحت ثيابه وهو يذب الذباب عن غيره.

فإن تفرغت من نفسك وتطهيرها، وما أبعد ذلك، فاشتغل بفروض الكفايات، وراع التدرج فى ذلك.

فابتدأ بكتاب الله، ثم بسنة رسوله، ثم بعلوم القرآن من التفسير. ومن ناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه وغير ذلك. وكذلك فى السنة، ثم اشتغل بالفروع، وأصول الفقه، وهكذا بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت. انظر: (مختصر منهاج القاصدين ص٢٩، ٣٠).

وقال: إذا رأيت الطالب للعلم يتبع الشواذَّ، والاختلاف، وما لم ينزل فاعلم أنه فارغ من الحق، وقلَّ أن ينتفع بما يعلم. وإذا رأيت المريد همه بطنه، ومنخره، وفرجه، وجسده، فاعلم أنه فارغ من الحقيقة، ولقد أنعم الله عز وجل على عبدٍ جعل همه فى فرضه، وفكره فى صلاح قلبه، وشغله فى سلامة دينه.

وقال: انظروا إلى هؤلاء الأحداث بعد التأهل، وإلى الكهول بعد الولد، وإلى الفقير بعد الغنى، وإلى الغنى بعد الفقر، وإلى المعافاة بعد البلاء، وإلى المبتلى بعد العوافى، وإلى العالم بعد الجهل، وإلى العارف بعد العلم، فإن ثبتوا على طريق من الحق فاعلموا أنهم لم يزالوا مصطنعين، فإن ذهب بهم باب من الباطل فاعلموا أنهم لم يزالوا مبعدين.

وقال: إذا سلم التائب من الرغبة فى الحلال، وضبط لسانه عما لا يعنيه دخل فى الخصوصية، فإن كان بغير هذا الوصف فرؤيته نفسه فى التوبة، أضر عليه من الإقامة على المعصية.

وقال: لا يُفلح تائبٌ فى بدعةٍ، فإن وجد معنًى من الحق لم يعرف معنىً من الحقيقة.

وقال: إن الله سبحانه جعل العلماء، والصديقين أُسوة وقدوة فى تكذيب الجهال للقدوة، وفى تكذيب أهل الضلال، والجحد للمرسلين للتوحيد، فمن غضب لنفسه فى ردِّ الحق عليه، فليس فى شىء من الحقيقة، ومن كان انتصاره للحق فهو من جُند الله، وحِزبه، ولا يعرف تفضيل ما للهوى وآله فى ذلك إلا خبير من أهل المعرفة والعلم والبصيرة واليقين.

وقال: بعث الله عز وجل رسله وأنبياءه فى كل حين، وزمان بما

تحتمله عقولهم، وما تقوم به الحجة عليهم فى رأى أعينهم. وحذر النبى ﷺ من نشر غريب العلم لغير أهله، كما أخذ الله سبحانه على العلماء فى بيانه، فمن تأدب بغير آداب الله عز وجل، ورسوله ﷺ، فقد غلا وجفا، ومن تخلَّف عن ذلك بعد وجوبه عليه فقد ظلم، واعتدى، إلا أن يدخل على المتحققين حالاً بغلبة إظهار، أو كتمان، إما لقيام حجة، أو إلزام نقمة لتكذيب، أو نكرة ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيى عن بينة.

وقال: أبى الله عز وجل أن يفتح عين قلب مدعٍ لفهم هذا العلم بوجود حقيقة معناه، حتى يفتقر إلى الله عز وجل فى نفسٍ أغناه بوجود العلوم، وامتداد الفهوم، ويستغنى بربه فى نفس فقره على الاستعانة به، والاستعانة به فى كل خطره، ونظره، ولجه[١]، وهمه، كما حظر على محب الدنيا النطق بالحكمة اللدنية حتى يزهد فيها، ويؤثر الله على الحلال الصافى منها.

وقال: أشرف أخلاق العقل الحلم والإنصاف[٢]، وأفضل أخلاق العلم الخشية والنصيحة، وأرفع أخلاق المعرفة التواضع والرفق.

وقال: العاقل لا يحب أن يكون الخلق كلهم جميعًا إخوانه؛ لأن مزيد

(١) أى فى تردد كلامه فى نفسه [صحاح].

(٢) يتقارب معنى الحلم مع الصبر، لذلك يوضع أحدهما موضع الآخر، لكنهما مع هذا الالتباس يختلفان: فالحلم كف النفس عن الثار، أو مقابلة الأذى بمثله، أما الصبر فهو احتمال المكروه، كفقد عزيز، أو مرض عضال أو كارثة، أو ضياع مال.

والحلم منوط بالقدرة على العقوبة أو الانتقام، على حين أن الصبر موصول بما لا طاقة به للإنسان.

والحلم نقيض الغضب، والغضب مظهر من مظاهر الثورة، وعدم الاحتمال المقرون بالتحدى، أما الصبر فنقيض الجزع، والجزع سمة دالة على الضعف، وعدم الاحتمال المقرون بالاستسلام، والعجز عن التحدى. انظر: من أخلاق النبى ﷺ (ص١٥٩).

فائدته فى الحذر من نفسه بمطالبة أعدائه له، والأحمق لا يرغب فى وُدّ العاقل لمخالفته لهواه؛ لأن مزيد لذته فى طاعة عدوه، وإن كان فى ذلك ضرر فى دينه.

وقال: أصل العقل موهبة مع الانفصال إلى الدنيا، لأن به تقتضى عادة المنافع، ودفع المضار، وهو لا يعقله، فلما كبر بدنه زاد عقله إلى إدراكه، فإن زاد العقل بمزيد للمعرفة زادت الطاعة، وإن نقص العقل بنقص اليقين زادت المعصية، إلى حدود الأمنية فإن مَنَّ اللهُ على العاصى بالانتقال فهى علامة الرحمة، والقبول، وأما زيادة العقل بالمعرفة، فصاحبه عالم إلى الأربعين، حكيم إلى الستين، قطب إلى السبعين.

وقال: العقل نهرٌ فى البدن، ودره الحق، والحمق نهر فى البدن، ودره الباطل، فأيهما غلب على صاحبه فهو الحاكم فى الجوانح القاضى على الجوارح.

وقال: أصل العقل كله واحد، ولذلك لا يقع التنازع فى الإجماع مع الإنصاف، وأصل الحمق مختلف، ولذلك لا يقع الائتلاف مع الافتراق، وإن ظهر الاتفاق.

وقال: من شأن الحق أن يثقل من جهة الهوى، ويخف من جهة العقل، وربما خف من جهة الهوى للباطل، وثقل من جهة الحق للحق.

وقال: الفرق بين حال المريد، والمدعى: أن المريد يدعوك إلى الصدق فى المعاملة. والمدعى يدعوك إلى الصد عن المحاسبة، لأن حال المريد الخوف، والحزن والحذر، وحال المدعى الأمن، والاعتزاز، والفرق بين حال المراد، والمريد: إن المراد يدعوك بالتسهيل، والتقريب، والمريد يدعوك بالتشديد، والتعسير، لأن حال المراد الرفق، والملاطفة، وحال

المريد الجهاد، والمكالبة. والفرق بين حال العالم بالأمر، والعارف بالله: أن العالم يدعوك إلى إقامة الفرض ورعاية الحد، والعارف بالله يدعوك إلى الحياء، والمراقبة، لأن حال العالم الورع، والخشية، وحال العارف الشوق، والمحبة، والفرق بين العالم بالله والعارف بالله: أن العالم بالله يتكلم من بحر العلم على الحال بالرأفة، والرحمة، والعارف بالله يتكلم من بحر العلم من الحال على شواهد العلم بالإنصاف، والنصيحة، بأن العالم بالله رب للحال، فقيهٌ يعلم كل حال، والعارف عبدٌ للحال فقيه يُعبر عن الحال، ولا تجتمع الإرادة بمراد الحق على علم الأمر، والنهى بالمعرفة، والعلم بالله عز وجل، إلا فى عين من عيون الحق لسان من ألسنة الحق، ولا يفصل كل حال من هذه الأحوال فى العموم، والخصوص إلا ذو بصيرة، وفراسة، وتمييز، ومفاتشة، ومتى فقد ذلك من الطالب غَلط ولم تؤمن عليه الفتنة، حيث أخذ العلم من غير أهله، وتصور عليه من غير معدنه.

وقال: إذا عسر عليك أمرٌ فى الدنيا فاستعن بالله على الانتقال عنه إلى ما هو أسلم فى الدين، ينجح لك أمرك، ويتيسر لك عُسرك، وإذا صَعُبَ عليك أمرٌ من دينك فافزع فيه إلى ربك على الإقامة عليه بترك الحول، والقوة منك، والتعلق بالله فيه تنال الحال، أو ما هو أفضل فى الوقت، وإذا غاب عنك حال أمرى بمشاهدته فانظر رعايته لفرضه، ولا تطالب شواهده فى النوافل، فإن الفرض لا يحكمه إلا صادق، ولا يُقيم على حدود شرط فى الظاهر، والباطن إلا صدِّيق.

وقال: فى الصمت عما لا يَعنى ثلاث خلال محمودة، وفى الصمت عما يعنى ثلاث خلال مذمومة، وفى الكلام عما يعنى ثلاث خلال محمودة، وفى الكلام بما لا يعنى ثلاث خلال مذمومة. فأما الخلال

المحمودة فى الصمت: فحفظ السلامة، وتنزيه الحفظة، وتسبيح الأعضاء. وأما الخلال المذمومة فى الصمت: فترك الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والزهد فى طلب الواجب فى العلم، والإعراض عن النصيحة. وأما الخلال المحمودة فى الكلام: فإرشاد الضال، ودلالة الحيران، والمعاونة على البر، وإحلال الإيمان. وأما الخِلال المذمومة فى الكلام: فمباهاة العلماء، ومماراة السفهاء، والأذى لأهل الإيمان.

وقال: اصحب الناس على قدر دينهم، وخالق الناس على قدر مروءتهم، وخالط الناس على قدر عقولهم، واهرب من الناس على قدر جهلهم، وفِرَّ من الناس على قدر شرورهم، واحذر من الناس على قدر مكرهم.

وقال: ويلكم يا معشر النُّساك الجهلة بدينهم أظهرتم زهدكم بالعجز عن محاسبكم، واستعملتم تواضعكم فى لباسكم، وأخفيتم الكبر، والحرص فى صدوركم، فلا أنتم وجدتم راحة فى قلوبكم، ولا أنتم أرحتم الناس من أذاكم، فما ظنكم غدًا عند ربكم، إذا وضع ميزان الحق للخلق، وذهب الباطل؟ ويلكم يا معشر العلماء السوء الجهلة بربهم، جلستم على باب الجنة تدعون الناس إلى النار بأعمالكم، فلا أنتم دخلتم الجنة بفضل أعمالكم، ولا أنتم أدخلتموها الناس بصالح أعمالكم، قطعتم الطريق على المريد، فصددتم الجاهل عن الحق بعد علمكم، فما ظنكم غدًا عند ربكم، إذا ذهب الباطل بأهله، وقرب الحق أتباعه.

وقال: عَجبت لقوم عجزوا عن معرفة أنفسهم يدَّعون المعرفة بأحوال غيرهم، بل عجبت من قومٍ أطاعوا الله فى جهلهم فلما علموا واجبه عليهم عصوه بعد المعرفة به.

وقال: ليس العجب ممن عرف الآخرة فزهد فى الدنيا، إنما العجب ممن عرف الله عز وجل فحجبته رؤية مخلوق عنه.

وقال: عفت الطريق، وكثر أهل التدليس، والمتشبهون بدعاوى كاذبة، وحكايات مزخرفة، وصفات منمقة، وظواهر بالعلم فاسدة، وتعاطى حجج غير صادقة، كل ذلك لطلب دنيا، أو محبة لثناء، وقد قل أهل العلم بالبصيرة، وأهل المعارف بالحقيقة، فمن رأيتم يحفظ كلمته، ويبحث عن طعمته، ويصافى أهل الحق بالمودة، ويسلم غريب العلم، وأسباب القدرة، فشدوا به أيديكم، وتوسلوا به إلى ربكم، فإنه علم من أعلام الحق منار لأهل الوفاء، والصدق، ومن كان بغير هذا الوصف فإما جاهل فى عمله، أو أحمق فى علمه، أو دجال يكيد الطريق، وأهله.

وقال: طوبى لمن فرغ الله قلبه من الدنيا بعمران قلبه من الآخرة، وطوبى ثم طوبى لمن جعل الله همه همًا واحدًا فيه لا يريد شيئًا غيره.

وقال: الفائز من أعطى حظه مما عند الله، ومن كان الله حظه من كل شىء، فهو ملك الفائزين.

وقال: إذا كان هو حظك، فالفضل كله تابع لك، مدخول عليك بالمزيد منه عنده، وإذا كان بغيتك ما تناله منه، فأنت تابع للفضل موقوف على نيتك، ومقصدك، ومرادك، ولن يستوى من ابتغاء المسبب، وطالب الأسباب.

وقال: من منا لا يريد غيره؟ من منا لا يطلب إلا إياه؟ من منا لا يشتغل بسواه؟ من منا من يكون هو همه، ومقصده، وسؤله، ومناه، ومراده؟

وقال: كن من العبيد الخاصة، إن كانت لك همة،فإن حجبك حظك، فكن من عبيد الجملة، وإياك، وإياك، والانقطاع بالغفلة فتطرد ثم لا تترك

وقال: همم القوم تسمو إليه، وقلوبهم متأسفة عليه، ودموعهم لا ترقأ عند ذكره، هكذا فاجعلنى يا أملى فإن الأمر بيدك فهكذا كن إن أردت، غداً الرؤيا بكشف الحجاب.

وقال: ذكره الأكبر الذى لا يمازجه حظ لهم منه غيره، ومتى أردت بذكره غيره؟ لم تسلم من الآفات، والبليات، إما بطلان أو نقصان.

وقال: مغبون من أراد غيره خاسر، من لم يرد ما عنده فقير، من لم يستعن به ذليل، من لم ينصره مخذول، من لم يعزه ممنوع، من لم يمنحه فهان، من لم يكرمه إذا عرفك العبد بهذا، فصد عنك هل تقبله إذا رجع إليك؟ بلى كذا يكون الغنى وصفة من لا ينقصه العطاء

وقال: وده لك قبل محبتك له، وذكره لك قبل إجابتك له، وفضله عليك قبل رغبتك إليه عجبت كيف لا أؤثره وهو مولاى، وأنا عبده؟

وقال: ما أنصفت مولاى، هو يسألنى قرضاً مما أعطانى فضلاً ليجعله لى عنده ذخراً يوم يجزى كل نفس بما تسعى.

وقال: لو عرفته بالحقيقة لازمته، وما عصيته، ولو علمت جلالة قدره، وكبرياء عظمته لم ترد به بدلاً.

وقال: إنه يراك، ويسمع خفى نجواك، مطلع على ما فى الضمائر، لا يخفى عليه شىء سر فى ظلمة، ولا ضياء، فأين تذهب إن ربك لبالمرصاد؟.

وقال: إن كنت من العامة فعامله بالإنصاف فى المحبة، وإن كنت من

الخاصة فعامله بالإيثار.

وقال: بذل المهج فيك قليل وذهاب الروح فيك يسير.

وقال: ألم تعلم أنه من آثره أحبه، ومن أطاعه أكرمه، ومن عامله ضاعف له، ومن شكره زاده، ومن أناب إليه قبله، ومن شأنه العطف على المسىء، والإفضال على البخيل.

وقال: هكذا فرجهم به، فى دار البلوى، والامتحان، وهم ينظرون إليه بقلوبهم إيمانًا، ومعرفة، ويقينًا، فكيف طعم سرورهم به فى دار الكرامة، والكمال؟ وهم ينظرون إليه بأبصارهم بكشف الحجاب.

وقال: إذا تركت حظ نفسك له عرفت، وإذا لم يحجبك الخلق عنه وصلت، إذا كنت كذا فأنت عالم بين جهال، وحى بين موتى، وغريب بين الأهل، والأقرباء.

وقال: حزن الشهداء من الأبرار، يذهب عند اللقاء، وفرح الصديقين من المقربين، متصل فى الدنيا مع دوام دار البقاء.

وقال: أصل كل بر طلب العلم بالأدب،وأصل كل قربة العمل بالعلم على الصدق، وأصل كل درجة الورع بترك التصنع، وأصل كل مقام الزهد بقصر الأمل، وارتفاع أحوال الناس فى هذه المراتب بالعقل، والمعرفة، واليقين، ومزيد العقل بالتقوى، ومزيد المعرفة بالاستقامة، ومزيد اليقين بالمراقبة.

وقال: ما صحب العقل شيئًا إلا زانه، ولا صحب الحمق شيئًا إلا شانه.

وقال: إذا والف الحمق الحجب لم ينتفع صاحبه بعلم، ولا عمل، ولا أدب، ولا رياضة، وإذا والف العقل التواضع غطى ذلك كل عيب،

وجهل، وغره.

وقال: لا تعاتب من استغنى بالدنيا عن الدين، ولا تخالط من والف البدعة بترك السنة، ولا تؤاخ من صير علمه صلفًا، وعبادته عجبًا، وعاتب كل معترف بذنبه، وخالط كل مفتقر إلى ربه وواخ كل شحيح على دينه سميح بدرهمه.

وقال: كان سؤال الناس ما فى أيديهم من الدنيا عبدية، فصار قضاء الحاجة اليوم استعبادًا، وكان طلب العلم يزيد أهله فقرًا، وخوفًا، وهم اليوم يزيده غنى، وفخرًا.

وقال: كيف ترجو منفعة علم لم ينفع عالمه؟ وكيف تطمع فى أداء حق من ضيعه؟

وقال: ذهبت المواصلة بالبر، وتآلفوا على القطيعة بالإثم، وذهبت النصائح وتصافوا على الغش والفضائح.

وقال: إذا جهلت أبواب السلامة، فمتى تعرف طرقات الغنيمة؟وإذا عجزت عن شكر الغنى، والعافية، فأنت فى البلاء، والفقر أضعف تحملاً، وصبرًا.

وقال: كيف يفلح من لم يكن له إمام فى دينه، وشيخ يقتدى به فى حاله؟ وكيف يسلم مريد فى طريقة ليست له شأن من مواريث إرادته؟

وقال: من فارق شيخه، واستغنى برأيه، أو كان حظه منه طلب رفقة فى ملازمته، عمى عين قلبه، وعوقب بالدعاوى، والرؤية لحاله.

وقال: كل وجود يظهر على الجوارح من جهة المقامات، فصاحبه ضعيف معلول فى الحال، وكل وجود لا يعرف المتواجد وروده من حال الوارد عليه بتفضيل وجود من إيجاده فصاحبه جاهل مفتون، وهذا

موضع تدليس على النفس بالمغاليط، فبينما صاحبه مع الحق فى ورود الحال إذ صار مع العدو فى المداومة مع ذهاب الحال.

وقال: من فقد أنسه بربه فى الملأ، ووجده فى الخلاء، فهو ضعيف، ومن وجده فى الملأ، وفقده فى الخلاء فهو معلول، ومن لم يكن له أنس فى خلوته، ولا أنس فى ملأه فهو ميت.

وقال: ما دامت الأحوال تخفّ، وتثقل فى الخلاء والملأ، فصاحبها ضعيف، فإذا وافق السر العلانية فى الخلاء والملأ، خفت الأعمال من جهة الحق، وكذلك تخف من جهة الباطل، وصاحب هذا الحال مُحتاج إلى العلم لكثرة اشتباهه، وشبهه.

وقال: كل علم، وعمل يلحقه الوسوسة لا محالة، فإما عصمة تلحقه من الحق فيجازى فيه العبد بنيته، وإما خذلة من الحق بتخلف عنه فيذهب فيه أجره لتولى أجره عدوٌ له إلا أربعة أشياء، فإن الوسوسةً فيها ساقطة لقيام الحق بها من العبد: مزيد علم فى حقيقة التوحيد، وزيادة عمل يبتغى به وقار الله، وإجلاله، ودعاء يراد به التعبد لله، وبكاء يدخل على العبد خوف فوت الله عز وجل، وثلاثة ليس للعدو عليها سبيل: توبة خالصة أو نية صادقة، وخاتمة سابقة.

وقال: كيف يجد السلامة من لم يكف أذاه؟ وكيف يجد الغنيمة من لم تصح له السلامة؟ وكيف يعرف قدر الفضائل من حجبته الدنيا عن أحكام حقوق الفرائض؟

وقال: كل مُريد لا يداويه الفقر، والذل، لا يبرؤه الغنى، والعزُّ، وإن الله تعالى ليختبر عبده بالضرّاء، فإذا صبر لله ضعف عليه البلاء، فإذا رضى عن الله ابتلاه بالسراء، فإذا شكر لله زادت عليه النعم، فإن آثر الله

فى ذلك اتصل بالحقيقة، من الحق، وإن الله سبحانه ليختبر عبده بالسراء، فإذا شكره زاده، فإن آثره ابتلاه بالضراء، فإن صبر ضعف عليه البلاء، فإن رضى اتصل بالحقيقة من الحق، وعند الاتصال بالحقيقة من الحق يظهره الحق للخلق بما فيه من الحق ليكون حجة على كل مدعٍ فى حالة الغنى، والفقر، وإنما انقطع كل مقطوع به بين درجة الصبر، ومقام الشكر، وبين حالة الرضى، ورتبة الإيثار.

وقال: سوء ظنك بربك ألقاك فى أخذ ما حرم عليك، وسوء ظنك بشيخك بالغيبة عقوبة لخلافك له عند الخطرة، ومن لم يؤثر ناصحه بالمحبة، ويبذل جهده فى رضى ينفعه فليس بكامل العقل، والدين.

وقال: من لم يعرف من ينصحه ممن يداهنه بنور بصيرة إيمانه فيتبع الحق، ويترك الباطل بصفاء يقينه، فهو محبوس مع هواه، مسحور بنفسه، أسيرٌ بيد عدوه، ومن كان بهذا الوصف فوساوسه مذمومة لا تنقطع عنه وظنه الفاسد لا يفارقه، إلا أن يتداركه الله بتوبةٍ منه ومجاهدة بعون ومزيد.

وقال: متى يصلح من ترك الحق الذى يعرف بركته لظنه بالتوهم الذى لا يؤمن فتنته؟ ومتى ينجح من ترك صحبة العلماء النصحاء فى الدين لأهل الأذهان فى الدنيا؟.

وقال: إذا دخل على الطالب لعلم دينه الزهو على أشكاله، وعارض المريد لعلم حالة الرؤية لنفسه، متى يصل أولئك إلى الله تعالى؟ إلا بأن تكون النفس ذليلة حقيرة، والفقر إلى الله تعالى شعار، ودثار وأهل الحق أصحاب وأخدان[1].

(١) أخدان: أى أصدقاء [صحاح: خدن].

وقال: قسم الله جل وعز العقل على ثلاث معانٍ، فقسم منه موهبىّ، به تقتضى النفوس حظوظها، ومنافعها من الدنياً، وإن كان أهله لا يعقلون ذلك، ولا يهتدون إليه، وقسم منه طبيعى به تقتضى الروح أخلاق الدين، وشرف المنزلة عند الله عز وجل، وقسم منه ينال بالتجارب، وبه يؤخذ علم التمييز، والبصيرة، والاختبار، والاعتبار فى الدِّين، والدنيا، وأسباب الآخرة. فمن سُلب العقل الموهبىّ فليست له دنيا، ومن حرم العقل الطبيعى. فليس له دين، ومن فقد علم التجارب لم يكن له دين، ولا دنيا، ولا آخرة إلا بتكدر، وكدر، ونقص فى الدرجات.

وقال: كل بلاء وقع بالخلق مما هو ضرر بهم فى الدين والدنيا، فصمد ما فيه إلى الله عز وجل فحق على الله أن يكشفه، أو يدفع به من البلاء ما هو أعظم منه، أو يحفظهم فيما لا بد من كونه، وكل نعمة، أو نقمة حلّت بهم فقصدوا فيها غير الله عز وجل عوقبوا فيها إما بسلب الشكر، أو بفقد وجود الصبر حتى يراجعوا ربهم بالتوبة.

وقال: إذا كان طلب العلم بغير نية كيف يؤجر فيه؟، وإذا كان غير مستعمل به كيف يؤجر عليه؟ وإذا كان العمل بغير علم كيف يصح له؟ وإذا كان العمل بالعلم غير خالص لله كيف يقبل منه؟

وقال: طالبوا مواريث العلم، والعمل، فإن لم تجدوه فحاسبوا أنفسكم، وابحثوا عن دواء أدوائكم فإن لكل علم وعمل ميراث عاجل، وثواب آجل إذا صدق العالم، وأخلص العامل.

وقال: مواريث العلم فى الدنيا الخشية لله، والبصيرة فى الدين، ومواريث العمل فى الدنيا وجود الحكمة والتمييز بالفراسة.

وقال: كل أخٍ، وصاحبٍ، وخدنٍ، ورفيق، وجليس لا يَرى شكًا فى

دينك، ولا ينصحك فى عيبك، ولا يدفع عنك غيبة، ولا يُفرج عنك كربة فهو أضرُّ الأعداء عليك فى الدنيا، وأقل الإخوان نفعًا فى الآخرة.

وقال: لا يرشد الله عز وجل أهل المجلس إلى وجود حقيقة من أمره تكثر فيه أربعة، وتقل فيه أربعة، يكثر فيه ذكر الدنيا، ومطالب المؤمنين، والمراء فى غير الحق، والتضاحك من غير عجب، ويقل فيه التفقه بالاتباع، والتعلم للعمل، والحكمة للأدب، والبصيرة للاعتبار.

وقال: لا يُفلح طالب، ولا مريد حتى يترك ثلاثة أخلاق، ويلزم ثلاثًا من الأدب: ترك الحب، والخلابة، وأعمال أهل الغباوة. ويلزم العفة، والتعفف، وترك ما لا يعنى بالصيانة.

وقال: جعل الله عز وجل فى كل فرض حدًا ولكل حد فضل وحقيقة، ففرض الصبر التحمل، وحده، ترك الشكوى عند الامتحان، والبلاء، وفضله الرضا، وحقيقته التسليم، وترك الاختيار فيما نزل، وفرض الشكر، والثناء، والحمد، وحده معرفة النعمة من المنعم، وفضله الإيثار بالجهد، وحقيقته العمل بالجد، والاجتهاد كفعل الرسول ﷺ، وهذان أصلان فى المنع، والعطاء، والسراء، والضراء، من أحكم علم فرضهما، وحدهما، وفضلهما، وحقيقتهما تفقه فى كثير من علم أصحاب الأحوال.

وقال: فرض الصبر فى البلاء، وترك الشكوى، وفرض الشكر فى النعماء الحمد، والثناء، فمن بثَّ (١) لم يصبر، ومن لم يقنع لم يشكر.

وقال: حقيقة الصبر ذهاب التبرم، وحقيقة الشكر ألا تنفق النعمة فى معصيةٍ، ولا يدخرها عن طاعةٍ.

---

(١) البث: حال من الحزن [صحاح: بث].

وقال: لا يصبر على مرارة الصبر إلا صادق، ولا يصبر على حلاوة الشكر إلا صدِّيق.

وقال: جعل الله عز وجل للخوف والرجاء فرضًا، وحدًا، وفضلاً، وحقيقة، ففرض الخوف اتباع الأمر، واجتناب النهى، وحده اجتناب المحارم، والتوقف عن المآثم، وفضيلته التورع عن الشبهات، وحقيقته الزهد فى الحلال، وفرض الرجاء حسن الظن بالله وحده ترك اليأس من روح الله، وفضيلته الحذر من الاجتراء على الله، وحقيقته المسارعة فى الخيرات، والمبادرة، للصالحات، وهذان أصلان فى الترغيب، والترهيب من أحكم علم فرضهما وحدهما، وفضيلتهما، وحقيقتهما: فقه كثيرًا من علوم أصحاب الأحوال.

وقال: يُحكم بالخوف لكل من اجتنب النهى، ويُحكم بالرجاء لكل من اتبع الأمر، ومقام الخوف أعلى من درجة الرجاء، لأن الخائف لا يخاف عليه، والراجى قد يخاف عليه. والخوف يعقب الأمن، والرجاء ربما أعقب الخوف فالخوف سابق إلى كل خير ما لم يصحبه القنوط، والرجاء قائد إلى كل خير ما لم يصحبه الاغترار.

وقال: من بنى أصل إرادته على ثلاث ظفر بخير الدنيا والآخرة من الأعمال الصالحة، والنعيم الدائم: صبر يصحبه صدق، وشكر يمدّه إخلاص، وخوف ممزوج بالرجاء فالصبر يُورث الرضى، والصدق يورث الحياء، والشكر يورث مزيد المعرفة، والإخلاص يورث المحبة، والخوف يورث اليقين، والرجاء يورث الشوق، ومن حالة الشوق يجدون لذَّة الأنس، وعلم الإجلال، والعظمة.

وقال: لا يعرف داء نفسه، ومصائد عدوه إلا مريد صادق، ولا يميز بين مسائل هواه، وعقله فى متشابه النفس، والعدو إلا عالم صديق،

ومن ها هنا غلط كل عالم بالأمر غير متحقق بالمعرفة، وغلط أهل المعرفة الذين لم يتحققوا فى العلم بالله عز وجل.

وقال: من شأن النفس إذا سُومحت سخرت، وإذا سخرت استولت، وإذا استولت حكمت، وإذا حكمت قتلت، وليس لقتلاء النفوس ديةٌ، ولا قود كما ليس للمحارب حرمة ولا دية.

وقال: العدل صفة لمالك الأشياء، والجور مردودٌ إلى كل محدث مخلوق فمحفوظ، ومتروك بين الأمر، والنهى فنحن مأمورون، ومنهيون، وداؤنا منا، المخلوق منا فى أنفسنا، وداؤنا موجود بتوفيق الحق لنا فينا المخلوق فى عقولنا، وعلم ذلك كله مردود إلى ربنا، ونحن رهائن بين قضائه، وقدره موقوفون بين مشيئته، وحكمه[1].

وقال: ليس الهالك من ذهبت نفسه، إنما الهالك من ذهب دينه، وليس المغبون من خدع فى ماله، إنما المغبون من غبن عُمره، ولستُ أعجب ممن استفزه التأويل، إنما أعجب ممن عبد الحق على يقين، ولست أعجب ممن انتصاره غضبًا لنفسه، إنما أعجب ممن لا يغضب لله على نفسه، ولست أعجب من جاهل مقيم على جهله، إنما أعجب من عالم لا يردعه علمه قد أفتنه ثناء الجهال عليه، وهو لم يثق بالله على الحقيقة فى رزقه، ولا حال خوفه دون خوف مخلوق يحذره.

---

(١) العدل: إعطاء كل ذى حق حقه من غير تحيز، أو محاباة أو تفرقة بين المستحقين، أو تدخل لهوى النفس. وعكسه الجور، والحيف، والظلم، فالجور العدول عن الحق، والحيف الميل فى الحكم والجور فيه، والظلم مجاوزة الحدّ، ومفارقة الحق، ووضع الشىء فى غير موضعه المختص به، إما بزيادة، وإما بنقصان، وإما بعدول عن مكانه أو زمانه، وهو وخيم العاقبة.
ومن أسمائه جلَّ شأنه: العدل، ومعناه المنزه عن الظلم والجور فى أفعاله وأحكامه، الذى يعطى كل ذى حق حقه، ويضع كل شىء موضعه.
وقد ذكر العدل فى القرآن الكريم (١٨) مرة، ووردت مادة (القسط) بمعنى العدل (٣٣) مرة.

وقال: إذا لم تتخذ القرآن إمامًا، والعلم حجة، والأدب جُنة، فالجاهل أعذر، ولا عذر له، وإنما أنزل الله سبحانه كتابه، وبين حلاله من حرامه، ليعمل به على الحقيقة، لا أن يتخذ الناس به خولاً، ويتخذوهم أربابًا قد بين الله عز وجل ذلك فى تنزيله، وحدد ذلك، وأيده، فقامت الحجة، وسقط العذر، والعرض على الله يوم تجزى كل نفسٍ بما عملت، وتوفى كل نفسٍ ما كسبت، وهم لا يظلمون.

وقال: إذا كان الاجتماع على الذكر، والقرآن لا يزيد به الإيمان، ولا ينقص به الفسق، وإذا كان الاجتماع على مدارسة العلم، ومذاكرته، لا يزيد به اليقين، ولا ينقص به حب الدنيا، فتلك أحوال ممقوتة حجبها عن وجود الحق، فقد الصدق، وعدم الإخلاص، ووهاء الخشية، وحب المباهاة، والرياء.

وقال: قُل لطالب العلم المرائى، اعلم ما شئت من علم الحجة فلن تزداد به على ترك العمل، إلا مقتًا، وبعدًا، وللدنيا حبًا، وجمعًا، وقل للمريد التارك: اعمل ما شئت من البر فلن تزداد على ترك الصدق إلا طردًا، وسخافة، وحمقًا، ولأبناء الدنيا عبدًا.

وقال: اعلم ما شئت من العلم، واعمل ما شئت من الخير، واصحب ما شئت من الأخيار فلن تجد نورًا، ولا ميراثًا، ولا بركة إلا بثلاث فى الباطن، وثلاث فى الظاهر، فأما الباطنة: فعقد نية الصدق، محل نية الكذب، وعقد نية الإخلاص محل نية الشرك، وعقد نية الاتباع، محل نية الابتداع، وأما الظاهر: فترك ما لا يعنى، والصمت فيما يكفى، والاقتصار على أخذ البلغة من الحلال.

وقال: احذر أن تخدع عن صحبة ثلاثة، خائف مشغول بنفسه، أو عارف بصير بدينه، أو عالم إشارته متصلة بربه، واحذر أن تخدع بصحبة

ثلاثة، مكب على دنياه، وإن كان أعلم الناس فإنه يجرك إلى فتنته. وعامل بغير علم، وإن كان أجهد الناس فإنه يجرك إلى حماقته. وبخيل بماله، وإن كان أورع أهل زمانه فإنه يجركَ إلى خلقه، وتَعلق بك دناءة همته.

وقال: طبع الخلق أجمع على أربع: إيمان بصدق، وهم خاصة الخلق، وإيمان بشرك، وهم أهل الجحد بالرسل، والأنبياء، والبعث، وظاهر إيمان بكفر الباطن، وهم أهل النفاق، والزندقة، وكفر ظاهر بعقد الباطن، وهم أهل التعطيل الجاحدون للتوحيد، وطبع أهل الإيمان من خاصة الخلق على أربعة أخلاق فمنهم من جمعها، ومنهم من جمع بعضها، وهى الرحمة بينهم، وهى تُورث السماحة، والتواضع لربه، وهو يُورث حسن الخلق، والنصيحة فى الدين، وهى تورث التعاون على البر، والتقوى، والإنصاف فى الدنيا، وهو يُورث التناهى عن الإثم، والعدوان ثم افترق بهم طبع الإيمان على أربعة أصول فى التعبد، كل أصل يفترق على ثمانية عشر فمن جمعها حاز أجزاء الإيمان البضع وسبعين جزءاً فمنهم من يعبد الله على إيمانه بالنية لم يقسم له غير ذلك، ومنهم من يعبد الله على إيمانه بالنية، وطلب العلم، لم يقسم له غير ذلك، ومنهم من يعبد الله على إيمانه بالنية، وطلب العلم، ومزيد المعرفة، لم يقسم له غير ذلك، ومنهم من يعبد الله على إيمانه بالنية، وطلب العلم، ومزيد المعرفة، وزيادة اليقين، وكل شىء من العلم، والعمل له حد، وغاية ما خلا المعرفة، واليقين فإنه لا حد، ولا نهاية لهما.

وقال: الصبر أصل كل حال، وبه يوجد الصدق، والصدق أصل كل درجة، وبه يوجد اليقين، واليقين أصل كل مقام، وبه يوجد مزيد

المعرفة، ومنه تتشعب أصناف الخوف، والرجاء، والأنس، والزهد، والمراقبة، والحياء، والمحبة، والرضى، والتوكل، والإجلال، والإعظام، والهيبة، وإنقاذ بصائر القلوب فى حجب الغيوب بالتفكر، والاعتبار فمنهم من يكون حظه فى الحضور، وليس له غير ذلك، ومنهم من يكون حظه فى الحضور، والنظر، وليس له غير ذلك، ومنهم من يكون حظه فى الحضور، والنظر، والاستماع، والنطق، والمراجعة، وهذه مقامات منازل القلوب فى مقامات القرب، وحقائق التقريب **﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾**(١).

وقال: طبع أهل الحقيقة من أهل الحق على أربعة أخلاق: سلامة الصدر بصحبة الغفلة، وهو ستر الحق لهم من الاطلاع على سره فى العبد وجد القلب بسرعة الظن، وهو كشف الحق لهم عند القيام بحقه فى الأحكام، والحقوق، والحدود، والواجبات، وسلامة الصدر بنصيحة القلب، وهو موضع فناءهم من حظوظهم ببقاء ما للحق فيهم، وبصيرة القلب بسلامة الصدر، وتمييز أحوال الخلق، ونزولهم مراتبهم فى الدرجات، والمقامات بصحبة التوفيق، ونور هدايات المحسنين، وهذا

---

(١) قال العلامة ابن قيم الجوزية: [الإمامة بالصبر واليقين] وقد أخبر سبحانه أن هذه الإمامة إنما تنال بالصبر واليقين، فقال تعالى: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ [السجدة: ٢٤].

فبالصبر واليقين تنال الإمامة فى الدين، فقيل: بالصبر عن الدنيا وقيل: بالصبر على البلاء، وقيل بالصبر عن الملاهى، والصواب: أنه الصبر فى ذلك كله، بالصبر على أداء فرائض الله، والصبر عن محارمه، والصبر على أقداره.

وجمع سبحانه بين الصبر واليقين إذ هما سعادة العبد، وفقدهما يفقده سعادته، فإن القلب تطرقه طوارق الشهوات المخالفة لأمر الله، وطوارق الشبهات المخالفة لخبره، فالبصبر يدفع الشهوات وباليقين يدفع الشبهات، فإن الشهوة والشبهة مضادتان للدين من كل وجه، فلا ينجو من عذاب الله إلا من دفع شهواته بالصبر، وشبهاته باليقين. انظر: رسالة إلى كل مسلم (ص١٥، ١٦) بتحقيق شيخنا فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور أسامة عبد العظيم حفظه الله.

موضع بقائِهم بالحق على فناء الأسباب منهم ﴿**والله ذو فضل عظيم**﴾ .

وقال: إنما تباين الناس فى العلم، والجهل، وإنما تفاضل الناس فى المعرفة، واليقين فأعلمهم بحلال الله، وحرامه على العمل به أخشاهم له وأعرفهم بقدره، وجلاله، وعظمته أطوعهم له، وأورثهم يقينًا أرحمهم بعباده، وأنصحهم لخلقه.

وقال: ليس فى الناس أقلّ من إيمان بصدق، وليس فى أهل الإيمان أقل من العاملين بإخلاص، وليس فى العاملين بإخلاص أقل من الصابرين بشكر، وليس فى الصابرين بشكر أقل من العارفين بيقين لأنه لم ينزل من السماء إلى الأرض شيء أقلّ من اليقين.

وقال: أخرج من اليقين المحفوظ تحت العرش إلى هذه الأمة ثمانية مثاقيل، المثقال كأحد أكرم الله عز وجل به هذه الأمة فهم أرجح الناس يقينًا، ومعرفة لأنهم أفضل الناس علمًا، وحلمًا فأعطى النبى ﷺ، وشرف، وكرم منه أربعة مثاقيل، وزيد ذخيرة من الخصوصية فلذلك وزن بالأمة فرجح بهم وأُعطى أبو بكر المكرم بالصديقية العظمى منه مثقالين، وزيد ذخيرة من الخصوصية، فلذلك وزن بالأمة فرجح بهم، وأُعطى عمر بن الخطاب المكرم الفاروق الأكبر منه مثقالاً، وزيد ذخيرة من الخصوصية فلذلك وزن بالأمة فرجح بهم ثم قسم مثقال بين سائر الأمة على قدر عقولهم، ومنتهى فهمهم، ومبلغ فِطن أذهانهم فمنهم من أخلص له قسمه من اليقين، ومنهم من زيد مع اليقين قسمة ذخيرة خُص بها دون غيره ذلك بأن الله يخص من يشاء بفضله من عباده.

وقال: أهل الصدق فى طلب الصديقية بعلم الإرادة على طريقين، فمريد طلب الحكمة بعد أحكام دينه فهو رحمة لنفسه رحمة لغيره، ومريد يطلب التفقه فى أحكام الشرع لإحياء دين الله عز وجل، وسنة

نبيه ﷺ بعد أحكام علم دينه، ومعرفة وجود الحكمة فهو رحمة لنفسه رحمة لغيره فى الدنيا، حسرة على أبناء جنسه المتخلفين عن درجته فى الدنيا، والآخرة.

وقال: لكل عالم حظ من الخشية بقدر خوفه، ويقينه، ولكل عارف حظ من الحكمة بقدر زهده، وبصيرته فمن كانت بدايته الإخلاص فى العمل بالعلم على الاقتداء، ورث حكمة الأوقات فى المعاملة، وهو صاحب حال ينطق من حاله، وإن كانت بدايته الصدق فى طلب العلم للعمل به، ونشره بصحبة العباد ورث حكمة الأوقات، والإصابة فى الاختلاف، واستخرج منه علم غير الوقت، وهذا ربّ حال ينطق من حاله، ولا يجتمع هذان الأصلان فى البداية، وهذان الفرعان فى النهاية لا لمراد مخصوص بالولاية الكبرى، والصديقية العظمى يريد الله عز وجل، أن يجعله إمامًا للخلق فى وقته لسانًا للحق عينًا للحق يدمغ به نواعق الضلالة، ويمحق كل شبهة، ويقطع به قرون كل بدعة(١).

(١) قال صاحب البصائر: والصدق: مطابقة القول الضمير، والمخبر عنه معًا، ومتى انخرم شرط من ذلك لا يكون صدقًا تامًا، بل إما ألا يوصف بالصدق، وإما أن يوصف تارة بالصدق وتارة بالكذب، على نظرين مختلفين، كقول الكافر من غير اعتقاد: محمد رسول الله، فإن هذا يصح أن يقال: صدق لكون المخبر عنه كذلك، ويصح أن يقال: كذب لمخالفة قوله ضميره، وبالوجه الثانى: إكذاب الله تعالى المنافقين حيث قالوا: إنك لرسول الله فقال: ﴿والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ اهـ.

هذا ما قاله صاحب بصائر ذوى التمييز (٣٩٧/أ)، وهو كلام له وجاهته العلمية حيث إن الصدق إخبار الإنسان بما يعتقد أنه الحق، ويشمل الإخبار عن كل ما يفهم المقصود سواء كان بالكلام أو بالعمل، كالكتابة والإشارة، وعكس الصدق الكذب، وهو إخبار الإنسان بما يعتقد أنه غير الحق، ويشمل الإخبار الصمت الذى يغير الحقيقة، أو يخفيها، ويشمل حذف بعض الحقيقة، إذا كان لما حذف تأثير فيما ذكر، فكل من الصمت والحذف يعتبر كذبًا.

وقد اعتبر القرآن الكريم قول المنافقين لرسول الله ﷺ ﴿نشهد إنك لرسول الله﴾ كذبًا فقال تعالى: ﴿والله يعلم إن المنافقين لكاذبون﴾ [المنافقون:١] وذلك لأنه إخبار بما لا يعتقدون صدقه. انظر: (أخلاقنا للأستاذ محمد ربيع جوهرى - ص٣١٣).

وقال: لله سبحانه عباد ضنَّ بهم عن العامة، وأظهرهم للخاصة فلا يعرفهم إلا شكل، أو محب لهم ولله عباد ضنَّ بهم عن الخاصة، والعامة، وعباد أظهرهم للخاصة، والعامة، ولله عباد يظهرهم فى البداية، ويسترهم فى النهاية، ولله عباد سترهم فى البداية، ويظهرهم فى النهاية، ولله عباد لا يظهر حقيقة ما بينه، وبينهم إلى الحفظة فما يتواهم حتى يلقونه بما أودعهم منه فى قلوبهم، وهم شهداء الملكوت الأعلى، والصفح الأيمن فى العرض، الذين يتولى الله قبض أرواحهم بيده فتطيب أجسادهم به فلا يعدو عليها الثرى حتى يبعثوا بها مشرقة بنور البقاء المجعول فيهم ببقاء الأبد مع الباقى الأحد.

وقال: لله سبحانه سرٌّ فى العافية يظهره عند الموت، وهو علم الخاتمة المشهور للخلق ظاهره. ولله سبحانه سرٌّ فى الخاصة يُظهره فى العامة، وهو علم ما أراده منهم، وهم فى ذلك المشهد على خمس مقامات: منهم من يراد منه علمه، وعقله بعد إيمانه، ومنهم من يراد منه علمه، وعقله، وإيمانه، ومنهم من يراد منه علمه بعد عقله، وإيمانه، ومنهم من يراد منه بدنه بعد عمله، وعلمه، وعقله، وإيمانه، ومنهم من يُراد منه قلبه، وهمه، وقصده بعد بدنه، وعمله، وعلمه، وعقله، وإيمانه، وقد يُراد من أهل جملة الإيمان الجزء، والجزءان، والثلاثة، والأكثر، ولا تجتمع أربعة أجزاء إلا فى لسان للحق، ولا تتم الخمس إلا فى لسان للحق عين للحق محفوظ به الخلق، فالمراد منه عقله بعد الإيمان عبد محبوب، والمراد منه علمه بعد عقله، وإيمانه محبوب مقرب، والمراد منه عمله بعد علمه، وعقله، وإيمانه محبوب مقرب مختار، والمراد منه بدنه بعد عمله، وعلمه، وعقله، وإيمانه محبوب مقرب مختار مجتبٍ، والمراد منه قلبه بعد بدنه، وعمله، وعلمه، وعقله، وإيمانه مصطفى مُكَرم

بكرامة الله عز وجل.

وقال: موضع الإيمان التصديق، وشاهده الصدق، وموضع العقل الطاعة، وشاهده الإخلاص، وموضع العلم الخشية، وشاهده الورع، وموضع العمل التواضع، وشاهده الزهد، وموضع البدن الصبر، وشاهده الرضى، وموضع القلب الشكر، وشاهده الإيثار، ومع الإيثار يقع علم محبة الخصوص البائنة من محبة العموم، وشاهد ذلك الرأفة، والرحمة، والإنصاف، والنصيحة، وشىء آخر، وهو إقبال القلوب عليه، والله واسع عليم.

وقال: تصديق الإيمان بنور بصيرة العقل يشهد العبد الحقوق الواجبة عليه، فيأتى بها طوعًا فى معانى التعبد، وحقيقة التصديق بنور ضياء الدين ليشهد العبد ملكوت السموات، والأرض، ويفضل به درجات الخصوص فى مقامات التعبد، فوصف حال الإيمان فى الصدق العمل بظاهر علم الأمر، والنهى عن التصديق بنور اليقين. ووصف حال الحقيقة التصديق بنور اليقين، والخشية فى الظاهر، والباطن على التحقيق فكلما يزيد العبد إيمانًا من جهة التعبد ازداد علمًا بربه، ومعرفة له، وعلامة ذلك اشتهار الذِّكر، ومخالفة الشكر، والصبر فى معاقل الضُّر، والفاقة، والفقر، وكلما يزيد العبد يقينًا من جهة العبودية، ازداد علمًا، ومعرفة، وعلامة ذلك إطراق القلب، والجسم برؤية القيام، ويَحضر الجسم، والقلب حياء، ومراقبة، والحال الأول ينطوى فيه الزهد، والأنس، والحال الثانى قد ينطوى فيه الرضى، والتوكل، والتسليم **﴿والله ذو فضل عظيم﴾**.

وقال: ليس لمقامات اليقين حَدٌّ، ولا غاية فى اعتبار العلم، وأما حدود درجات الإيمان فهى معرفة من جهة السُّنة المشروحة فى أجزاء

الإيمان لكل جزء منها فرض معلوم فيه أمر، ونهى، وإباحة عند الضرورة ذلك تخفيف من ربكم، ورحمة.

وقال: مقامات اليقين فى الفضائل مذمومة فى درجات الإحسان، ودرجات الإيمان فى الفرائض مذمومة فى اجتناب النهى، واتباع الأمر، فمن جمع الله عز وجل له العلمين، علم اليقين فى الحقيقة بعلم الإيمان فى الحق الواجب، فهو سبب من أسباب الحق فى الأرض إما رحمة، وهداية، أو رحمة، وسلامة.

وقال: حكم علم اليقين فى القلب، وشواهده، أوصاف حال التعبد، وحكم علم الأمر، والنهى فى الظاهر، ولله عز وجل علم غيبه، ألا ترى لقول النبى ﷺ «العلم علمان: علم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم، وعلم فى القلب فذلك النافع أهله» فعلم القلب اليقين فى ذات الله، وهو العلم بالله، والمعرفة لله عز وجل، وعلم اللسان الوعد، والوعيد، والأمر، والنهى، والترغيب، والترهيب، وهو علم دين الله الذى تعبد به عباده، ولا غنى لأحدهما دون صاحبه غير أنه لكل عبدٍ سند من علمه، وعمله، ودرجته، ومقامه، ومتى غاب علم القلب صار علم اللسان نفاقًا، ومتى ترك علم اللسان لم ينتفع بعلم القلب، دين الله الإسلام الخالص، وكلمته التامة العليا وقوام دين الله وكلمته، وتوحيده، وجماع ما أتت به الرسل، والأنبياء من الإيمان، والعلم، والكتب، والحكمة جمع الله ذلك كله لنبيه محمد ﷺ فى أربعة أصول استعمل بها نبيه، وأدب بها صحابته، ودرج عليها التابعون لهم بإحسان الأمر، والنهى، والترغيب، والترهيب، فالأمر، والنهى فرض فى فرض لفرض لازم، والترغيب، والترهيب سنة لسنة طلب الفضيلة، وباتباع الأمر، والنهى يزيد الإيمان، وبالعمل بالترغيب، والترهيب يزيد اليقين فمن

تعدى هذه الأصول الأربع فليس فى شىء من الحقيقة.

وقال: أصول أهل الإرادة عشرة، وآدابها عشرة، وأخلاقها عشرة، من أحكم علم العمل بها، وجد علم الحقيقة به، واليقين من العلم بالله، والمعرفة فى ذاته، والبصيرة فى دينه. ومن أصَّل إرادته على غيرها لم يكن له شأن فى العلاء، ولم يكن له درجة فى الحقيقة مع الأولياء، ومن جمعها كان معه بيان يدحض به كل حجة، وبرهان يستضىء به فى كل منار، ومحجة، وعُدة جيدة، يقطع بها كل مفازة، وسبب يصل به إلى كل مكرمة.

فالحال الأول: اتباع الأمر، واجتناب النهى، وآدابه الرفق، وخلقه الحلم.

والحال الثانى: موافقة الاقتداء باتباع السنة، وآدابه التواضع للخِلِّ، وخلقه الاستقامة على الحق.

والحال الثالث: الصدق فى الظاهر على الإخلاص فى الباطن، وآدابه ذل النفس، وموتها، وخلقه ترك الانتصار، والمقاومة.

والحال الرابع: الخوف، والرجاء، وآدابه الحذر، والإشفاق، وخلقه الورع، والزهد.

والحال الخامس: الصبر، والشكر، وآدابه ترك التبرم، والشكوى، وخلقه الكتمان، والإيثار.

والحال السادس: التعفف بكسب الحلال، وآدابه كف الأذى، وخلقه الرضا، والقناعة.

والحال السابع: الإنصاف للناس، وآدابه الموالاة لله، والمعاداة لله، وخلقه الرأفة، واللطف.

والحال الثامن: النصيحة لله، وآدابه الرحمة، وخلقه السماحة.

والحال التاسع: الصمت بعلم، وآدابه ترك ما لا يعنى، وخلقه ترك الغلظ، والجفاء.

والحال العاشر: التكلم بعلم، وآدابه إيصال النفع، وخُلقه السلامة من دعوى الخلق.

وبالله توفيقه.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الثانى

قال عبد الرحمن محمد: مراتب العلماء، وأهل المعرفة التى ينتقل فيها أهل البداية، وإليها ينتهى أهل النهاية على عشر منازل، فسبع مقامات لأهل البداية، وثلاث درجات لأهل النهاية، ولكل مقام، ودرجة أصل، وفرع، وخلق، وآدابٌ لا يستغنى طالب، ولا مريد، ولا متطرقٌ، ولا قاصدٌ إلى الله عز وجل عن علم ذلك، والمعرفة به لأن الخلق كلهم فقراء إلى طلبه، والبحث على أسبابه، ولقاء أهل العلم، والمعرفة، واليقين، والبصيرة فيه لبيان شرحه، ومزيد فائدته، وذلك أنه لا ينال أحد وجهًا من التعبد، ولا بابًا من الحقيقة فى العبودية إلا بأحكامه، وعلمه، ومعرفته. فبأحكامه تنال هدايات القلوب، وبعلمه ينشرح الصدر، وبمعرفته تدرك أسباب السعادة، وتتم للعبد الطهارة، وبالعمل بذلك ينال أحوال الأتقياء، ومراتب النجباء، وخصوصية البدلاء، وكرامات الأوتاد، وفوائد القطب، وبذلك يوجد صفاء الولاية الكبرى، وصحة الصديقية العظمى، ووجود العلم النافع، وإصابة الحكمة البالغة، وألطاف ما يجريه القادر من ذخائر لطائف القدرة، ويخف ما يمنحه الواحد من مزيد علم توحيده، وخالص معرفة تفريده فيما بطن فى القلوب علمه، وظهر فى الأحكام وصفه، والله عنده حسن المآب.

وقال: مقام لأهل البداية من الطلب، والرعاية التوبة التى ينجو بها العبد من العذاب، ويستوجب بها محبة أهل الإياب، ثم الورع الذى يسلم به من العتاب وينجو به من عقوبات الحجاب ثم الزهد الذى

يخلص به من الآفات، ويرفع به فى الدرجات، ثم المحبة الذى ينال بها القربات، ويعلو بها فى المقامات، ثم الحياء الذى يجد به مزيد الهدايات، وتدوم به أنوار الكرامات ثم الرضى الذى يصل به إلى السلامات، وبه ينال الغنيمات، ثم التوكل الذى يعلو بأهله الغايات، ويظفر أهله بالغنى، والعزِّ، والدرجات.

وقال: درجة أهل النهاية رسوخ علم المعرفة بما أزادهم الله به من العلم به، وبأمره، ونهيه، وأيامه، ثم رسوخ إثبات علم اليقين بما خص الله به العلماء به، وبأمره، ونهيه، وأيامه ثم رسوخ علم حقيقة الأدب وفى موافقة الحق الذى أدب الله به العلماء بأمره، ونهيه، وأيامه.

وقال: جمل العشرة الذى بها ينال المطيعون فوزهم، وأما شرح معانيها فى الفروع، والأصول، والآداب، والأخلاق.

وقال: التوبة بعد صحة عقد الإيمان، والعلم بالشرائع الظاهرة فى الحدود، والأحكام، ثم الطهارة من الذنوب، والمعاصى سرًا، وعلانية.

وقال: التوبة الندم بالإقلاع، والاستغفار يحل الإصرار.

وقال: التوبة التخلص من الظلم، والمظالم برد التباعات، والمبادرة لإصلاح ما ضاع من الفرائض الواجبات، وأدب التوبة الصدق فى طلب العلم، والإخلاص فى العمل به، والصبر على البلوى، والامتحان، والشكر على النعم، والمواهب، والخوف من إقامة عدل الله، والرجاء فى عفو روح الله فمن أحكم هذه الأصول صحت له التوبة إن شاء الله.

وقال: الورع محاسبة النفس فى كل خطرة، والقيام على النفس فى كل همة، والمفاتشة على طلب القصد، وصحة المراد فى كل لائح،

ورائح، ونية.

وقال: الورع أخذ ما صفى للحق، وترك ما مازجه الباطل.

وقال: الورع كف الأذى، وترك ما لا يعنى.

وقال: الورع: التوقف عن الشبهات، والإشفاق فى أخذ الشهوات، والتعفف، وترك الرغبة، والحرص، والقناعة، والقصد بمدافعة لذة الشهوة خوف عادة الشره[1].

وقال: الزهد قصر الأمل بإخراج الدنيا من القلب، فى اليد.

وقال: الزهد أخذ المعلوم للوقت، وإخراج الفضل.

وقال: الزهد الأنس بالله، وبذكره، وسعة الخلق، والانبساط، والتواضع لغير طمع.

(١) قال الإبيارى فى حقيقة الورع: اعلم أن الورع يطلق صفة، ويطلق مصدرًا، فإذا أطلق صفة، فقد تنازع أهل اللغة فيه، فذهب الأكثرون إلى أن الورع الرجل الجبان، وقال ابن السكيت: وأصحابنا يذهبون إلى أن الورع الرجل الجبان وليس هو عندى كذلك، وإنما المراد به الصغير الضعيف... وغرضنا الذى تصدينا لبيانه الورع الذى هو مصدر دون الصفة، فحدّه من اللغة التجنب مطلقًا أو الحبس أو الكف على ما تقدم بيانه من غير تخصيص واقتصار، وحدّه عند أهل الشريعة: اجتناب المباح، ونحن نبين جهة التجوز فيه إذ لابد بين المجاز والحقيقة من نوع مداناة، وذلك أن ترك المباح إنما يحسن تسميته ورعًا، إذا ترك المباح وأتى بعبادة يكون المباح مانعًا منها، فيكون مثابًا على ما أتى به من العبادة عند ترك المباح لا على ترك المباح ولما كان تارك المنهى عنه مثابًا على تركه، وتارك المباح مثابًا عند تركه حسن تسمية ترك المباح ورعًا على ما قررناه.

فإن اعتقد أنه مثاب على مطلق الترك كان غلطًا وإن وقع الاعتراف بالاقتراب وصرف الثواب إلى جانب الفعل دون الترك فلا نزاع من جهة المعقول والمنقول ولإطلاق اللفظ مجاز أوجه قد سبق، والذى يحقق ما قلناه أنا نطلب الورع المطلوب فى الشريعة الواقع قربة وطاعة، وحد المباح هو الذى خير الشرع بين فعله وتركه من غير مدح ولا ذم على تركه وفعله، فإذا تحقق النهى والاستواء شرعًا لم يتصور أن يكون التارك مطيعًا لعدم تعلق الطلب بالترك، بل كما يستحيل أن يكون تارك الواجب والمندوب متورعًا شرعًا لكون الشرع لم يطلب الترك فيهما، فكذلك يستحيل أن يكون تارك المباح متورعًا شرعًا.. انظر: (الورع ص١٦).

وقال: الزهد السلامة، والسماحة، والشجاعة، وتحمل الأذى بترك الانتصار للنفس، وطلب الغنيمة بالتبرى من دعاء الخلق على إقامة الأعذار لهم.

وقال: المحبة اتباع الكتاب، والسنة، والأخذ بالإجماع، والاقتداء بالسلف.

وقال: المحبة الشوق، والكمد، والتبرم بالبقاء، وطلب الخروج من الدنيا لوداد سرور اللقاء.

وقال: المحبة الإيثار بالجهد، والاعتذار من التقصير والحذر خوف الفوت، ومنع الحجاب.

وقال: المحبة ذكر النعم، والآلاء، والأيادى، والمنن، والفضل، والجود، والكرم، والطول، والإحسان من الرحيم الودود[1].

---

(١) الحب والإسلام: قال الشيخ صالح أبو خليل الشافعى فى كتابه «كشف الغطاء» (ص١٠٧):
«إن كل من أوتى حظًا من المعرفة، ونصيبًا من الفهم، والتذوق لنصوص الإسلام من آيات قرآنية وأحاديث نبوية تتضح أمامه الرؤية، ويعلم يقينًا أن الإسلام دين الحب، وأن المؤمن لا يجد حلاوة الإيمان إلا إذا أحس حرارة الحب.
وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار» [رواه البخارى ومسلم].
بل إن ديننا الحنيف أمرنا أمر إيجاب بالحب ودعانا إلى تحقيقه وحضنا عليه، فيقول الرسول ﷺ: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبونى لحب الله إياى، وأحبوا آل بيتى لحبى» رواه الترمذى عن ابن عباس مرفوعًا.
فنرى من ذلك: أن الإسلام يدعو إلى المحبة: محبة الله تعالى، ومحبة رسول الله ﷺ، ومحبة آل البيت والصحابة، ومحبة الدين والعقيدة، ومحبة الخلق الأسوياء. «فالحب بكل معانيه الإيجابية الروحية سمة لازمة، لا يكمل إيمان ولا يتم إسلام إلا به، فهو عاطفة جياشة بالخير والعطاء والنور والصفاء يزدان بها الجو الإسلامى وتعبق أجواء المحيط الدينى، وتعلى شأن المجتمع العقدى» [الحب فى القرآن لمحمود الشريف].

وقال: الحياء المراقبة لله عز وجل بمشاهدة قربه، واطلاع نظره.

وقال: إجلال قيام الله، وإعظام وجود قرب الله.

وقال: الحياء هيبة الاطلاع، والإطراق بالسكينة، والوقار.

وقال: الحياء إخراج ما فى القلب والجوارح لغير الله.

وقال: الرضى ترك التدبير، ورفع الاختيار على الله عز وجل.

وقال: الرضى التفويض فى كل الأمور إلى الله عز وجل.

وقال: الرضى التسليم بانطياع القلب، واللسان لله عز وجل.

وقال: الرضى ترك الاعتراض، والسكون، والطمأنينة، للوارد فى الله بقبول أحكام الله على حسن الظن بالله تعالى.

وقال: التوكل الثقة بالله، والتصديق بموعود الله.

وقال: التوكل الاعتماد على الله، والتعلق فى أسباب الدين، والدنيا، والآخرة بالله تعالى.

وقال: التوكل ترك السؤال، والتشوق إلى غير الله تعالى.

وقال: التوكل الإيراد على الله كل صافٍ يرد من الله تعالى، ولا يدخر فضلاً عن وقته لله، ولا يسكن إلى مخلوق، ولا إلى سبب دون الله، ومن أدب التوكل عند خاصة الخصوص ألا ينتظر الوقت شغلاً برب الأوقات، ولا يسكن إلى المستخرج فى وقته دون من استخرجه، ولا يطمئن إلى الانتفاع به فى إثبات الروح، والفعل، والقول دون مالك الأشياء الذى به قامت الأرض، والسماء، وهؤلاء أفقر الخلق فى نفس غناهم، وأغناهم فى نفس فقرهم، ولهم فى أدب التوكل معافى فوق هذه معقودة بينة، وبينهم عرفوها يقينًا منه، وعلموها حقيقة من عنده،

والله واسع عليم.

وقال: شرح السبع مقامات التى درج فيها أهل البدايات إلى أسباب النهايات، وأما شرح علم الثلاث درجات التى تحقق فيها أهل الرسوخ بعلم ما تقدم ذكره.

وقال: علم معرفة ما أراد الله سبحانه من العلماء الراسخين فى علمه، القائمين بحقه ألا يخافون غيره، ولا يرجون سواه، ولا يؤثرون عليه غيره، ولا يهابون إلا هو.

وقال: ما أراد الله من العلماء الراسخين معرفة وجود الخشية له بتميز بصائر نور هدايته.

وقال: ما أراد الله من العلماء الراسخين دعوة الخلق إلى الله وحده.

وقال: ما أراد الله من العلماء الراسخين التواضع لعباده، وصيانة العلم عن غير أهل الله.

وقال: إثبات اليقين بما خصَّ الله به العلماء الراسخين فى العلم، والمعرفة، والتصديق بالقدر.

وقال: إثبات اليقين بما خص الله به العلماء الراسخين فى العلم، والمعرفة المحبة لأهل الإيمان بالقدرة، والإجلال لحقهم.

وقال: إثبات اليقين بما خصَّ الله به العلماء الراسخين فى العلم، والمعرفة التوسل إلى الله بأهل الإيمان بالقدرة، والتقرب إليه، بالانتصار لأعراضهم.

وقال: فى إثبات اليقين بما خص الله به العلماء الراسخين فى العلم، والمعرفة طمع النجاة من عذابه بهم، والذلفى بمعرفتهم.

وقال: حقيقة الأدب فى موافقة الحق الذى أدب الله به العلماء الراسخين فى العلم النظر إلى الخلق بعين الرحمة.

وقال: حقيقة الأدب فى موافقة الخلق الذى أدب الله به العلماء الراسخين فى العلم مواصلة الفضل، والإحسان مع المخالفة، والإعراض، والإحسان.

وقال: حقيقة الأدب فى موافقة الحق الذى أدب الله به العلماء الراسخين فى العلم الإقبال مع التولى، والذكر مع الهجران، والحلم مع الإساءة، والعفو مع المقدرة، والبذل مع البخل، والتكرم مع الدناءة، والإرشاد مع النكرة، والدلالة، والنصيحة مع الجفاء، والخرق.

وقال: ونحوه صفة الأخلاق المرضية، وآدابهم الزكية التى استعملوا بها مع الجفاء القاسية قلوبهم، فطوبى لمن أحبهم، وأحبوه، وطوبى ثم طوبى لمن أحبوه، وأحبهم، وخصوه، وآثرهم، وقد جمع الله سبحانه هذه الآداب المرضية لنبيه محمد ﷺ فى آية من كتابه قوله عز وجل: ﴿**خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين**﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وقال ذلك رسول الله ﷺ لبعض صحابته، وبيته، فقال: «أعط من حرمك، واعف عمن ظلمك، وأحسن إلى من أساء إليك» وبالله توفيقه، ورشده، وتسديده.

وقال: العلماء ثلاثة: حجة، ومحجاج، ومحجوج:

فالحجة: العالم بالله العالم بأمر الله العالم بأيام الله علامته الخشية لله، والورع فى دين الله، والزهد فى الدنيا، والإيثار لله عز وجل قد حفظه الله من الجدل، والمراء، والخصومة، والتكلف، والاعتداء، فهو خير عليم على صراط الله المستقيم.

والمحجاج: العالم بالله العالم بأمر الله العالم بأيام الله علانيته الخشية لله، والورع فى دين الله، والزهد فى الدنيا، والإيثار لله عز وجل مدفوع إلى إقامة الحجة، وإطفاء نار البدعة، قد خصم المتكلمين، وأخرص المتخرصين، فتبيانه قاطع، وحقه لا ينازع فيه، شواهده نيته، ونجومه نيرة، قد حمى به الدين، وعرف بواضح برهانه حبل الله المتين، فهو ربانى عليم على صراط الله المستقيم.

والمحجوج: العالم بالله، وبأمر الله، وبأيام الله، قد فقد الخشية لله برؤيته لنفسه، وحجبه عن الورع، والزهد، والرغبة، والحرص، وأبعده من بركات علمه، محبة العلو، والشرف، وخوف السقوط، والفقر فهو عبد لعبيد الدنيا خادم لخدمها، مفتون بعد علمه، مغترٌّ بعد معرفته، مخذول بعد بصيرته شأنه الاحتقار لنعم الله، والازدراء بأولياء الله، والاستخفاف بالجهال من عباد الله، وفخره بلقاء أميره، وصلة سلطانه، وطاعته القاضى، والوزير، والحاجب له، فقد أهلك نفسه حين لم ينتفع بعلمه، وأهلك الجهال، وأهلك الأتباع له، ومن يكون بعده ممن يكون له قدوة به، ومراده من الدنيا مثله فنعوذ بالله من علم لا ينفع، وأذنٍ لا تسمع، وقلبٍ لا يخشع، وعينٍ لا تُبصر.

وقال: الأول حجة على أهل وقته، ومن بعده من العلماء.

وقال: حجة على أهل زمانه، ومن بعدهم من أهل الاختلاف.

وقال: علمه حجة عليه فهو محجوج بعلمه، ومعرفته ترحاله النقلة ما لم يدع إلى الرحلة، واتباع العلماء ثلاثة مراد باليقين فى طلبه، ومراد بالعلم فى طلبه، ومريد للدنيا بطلبه فعلامة المراد باليقين الوقار، والأناة، والرفق، والسكينة، والبحث على أسباب النجاة فى الفرض، والدرجات فى النفل قد رضى عن ربه، وتوكل عليه، ولزم ما يعنيه، ولهى عما

يفتنه، ويطغيه، وعلامة المراد بالعلم الوقار، والأناة، والرفق، والسكينة، والبحث على أسباب النجاة فى الفرض، والدرجات فى النفل قد قنع برزقه، وأخذ بالتسبب، والحركة فهو يأخذ المال من حقه، ويصرفه فى وجهه، ويبقى منه ما أبقى صيانة لعرضه، ودينه، وعلامة المريد للدنيا بطلبه الطيش، والعجلة، والعنف، والغلظة، والبحث عن الاختلاف، والرّخص، والشواذ، وما يورث البغضة، والفرقة، والتنازع، والتدابر، والحسد، والتنافس، والغل، والحقد، والفخر، والعجب، والزهو، والافتخار، والاحتقار قد اتخذ العلم متخذًا، والخديعة مشعرًا إيذاء من يخلفه، ويؤذى من يأمنه، ويجهل من هو أعلم منه، ويتخذ من هو خير منه يعظم العلماء ليكرموه، ويسعى إلى أبواب لبناء الدنيا ليواصلوه، كل ذلك للدنيا، وزخرفها، ونفسه، وحظها، وهذا الغافل المسكين تُرجى له التوبة ما لم تعاجله المنية.

وقال: افترق أهل الحقيقة فى الترك للدنيا، ونبذها عن ثلاث منازل، فأعلاهم رتبة أهل التوكل على الموافقة، واللحاق به أهل الرضى على الإيثار، واللحاق به أهل الصبر على أخذ البلغة.

وقال: ملكٌ متوجٌ قد استراح لا اعتراض له فيما أتى من الدنيا، ولا ما ذهب، ولا ما أبقى عليه الحق، ولا ما أخرجه منه، ولا ما أغناهُ به، ولا ما أفقره إليه هو فى جميع ذلك موافق لما أراده عز وجل به، لا يُوحشه حال دون حال، لأنه متحقق بمعرفة رب الحال الذى هو أعلم بصلاح حاله.

وقال: ملكٌ قد استراح من النظر لمجارى الأسباب، غير أنه مجاهد لخوف فساد حاله، فهو محبٌ مؤثر.

وقال: ملكٌ متعب مكابد عفيف متحمل قنوع شاكر، وافترق أهل

التخلى بالدعاوى فى ذلك على ثلاث طوائف.

وقال: عجزت عن المكسب بعد اقتدارها عليه، فجعلت الترك سترًا لراحة أبدانهم، وصيدًا للدنيا لأخذ مهناهم.

وقال: جلست بغير حقيقة علم، ولا يقين جهلاً منه بأحوال أهل الطريق، فاضطرتهم الحقوق مع قلة صبرهم إلى التصدى لأبناء الدنيا، وموافقة محبوبهم حتى داهنوا الظلمة، وأخذوا أموال الفجرة استحياءً من الحركة بعد السكون، والتسبب بعد الترك، ودخول الأسواق بعد الخروج منها، وطائفة توصلت بالترك إلى الخيانة، والفسق، والفجور فهم أسخف الناس عقلاً، وأقلّهم دينًا، همهم بطونهم، ومجهودهم تغاشى أجسادهم، قد أظهروا الجود بأبدان قلوبها قاسية، وادعوا الفهوم بعقول فاسدة، فويلٌ لمن محبوه فى دنيا، وويل لمن صحبهم فى دينه وكل هذه الفرق، آكلٌ بدينه غير منصف لله فى نفسه، ولا ناصح له فى غيره، قد تراهم إن أُعطوا من الدنيا رضوا بالمدحة لمن أعطاهم، وإن منعوا من الدنيا رضوا بالذم لمن منعهم، وقد نسوا من قسم الأرزاق، وجرى الأسباب، وقدر الأقدار، وفرغ من مقادير العباد، فنعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى، ومن الحيرة، والنقوص، والعمى.

وقال: أفسد الناسُ الناس، وصلح حال الناس بالناس، وثم حال الناس بالسابق لهم عند رب الناس، فأفسد العالم الجاهل بترك الأدب، والنصيحة له، وأفسد العالم الجاهل بالثناء عليه، والمدحة له، وأفسد الأغنياء تواضع الفقراء، وأفسد الفقراء مداهنة الأغنياء.

وقال: أعظم آفة دخلت على الأغنياء محبة تواضع الفقراء لهم، وهو ذهاب دين الفقراء، وبطلان ثواب الأغنياء.

وقال: سيد الناس فى هذا الزمان من وهبه الله عز وجل ثلاثة، وإن

قل علمه، وعمله حفظ فرضه، وضبط لسانه، وإصلاح طعمته. وشر الناس فى هذا الزمان من منع فى ثلاثة، وإن كثر علمه، وعمله من استبدل بصحبة أبناء الآخرة رضى أبناء الدنيا، ولهى بالتكاثر من الدنيا بعد التقلل منها، وقنع من معرفة نفسه بتزكية الجهال له.

وقال: ليس اليوم فى الناس أقل من أهل السنة، وليس شىء فى أهل السنة، فمن يعمل بالسنة، وليس فى العاملين بالسنة أقل من المحفوظين بالسلامة، وليس فى المحفوظين بالسلامة أقل من العلماء بالبصيرة.

وقال: ما دام المريد متعلق بالله عز وجل فمسائله متصلة بالحق على المكاشفة إما بإيمان، أو علم، أو معرفة، أو يقين، فإذا رجع إلى نفسه فى تدبيره، أو رؤية لحاله بنسيان النعمة من ربه، كشط عنه الحال، ومنع من فهم مسائله بقدر ظلمة حجابه، وبعده من ربه لأجل جنايته طرفة بطرفة، ولمحةٌ بلمحة، وخطرة بخطرة، إن ربك سريع العقاب، وإنه لغفور رحيم، هذا لمن تاب، وأناب فى الآخرة.

وقال: احذر الإملاء، ولا تأمن المكر فإن الاستدراج خفى فى أسباب الدين، والدنيا، واعمل للآخرة، ثم اعمل، ولا تأس، واطمع، ولا تقنط، فإن ربك يغفر للمصرٍّ إذا شاء، ويُطالب أهل التحقيق، ويجازى المحسنين إذا أراد، وينتقم من المذنبين إذا شاء، وهو على كل شىء قدير.

وقال: من لم يكن له إمام يقتدى به فى دينه فهواه إمامه، ومن ازدرى بشيخه، أو احتقر بعلم معلمه، وأدبه، فقد تحكمت فيه دواعى هواه، ونفسه، وحرم درجة إمامه فى عاجل دنياه، وآجل آخرته(١).

(١) قال الشيخ العارف بالله صالح أبو خليل: «لما كانت الحكمة من وجودنا فى هذه الحياة هى: =

وقال: صحبة أهل البدع تورث الإعراض عن الحق.

وقال: إذا أضل المريد بدايته التشوف، والطمع لما فى أيدى الناس، متى يصح له الأخذ من يد الله تعالى؟ وإذا بنى إرادته على مسائل غيره، متى ينتقل عن دواعى نفسه؟

وقال: باب الإرادة طلب الواجب من العلم، ومجلس الإرادة الجد، والاجتهاد بالعلم، وغنيمة المريد وجود مسائله، وراحة المريد قيامه بالأدب على نفسه، وسعادة المريد طاعة عالم عارف بصير.

وقال: ليس شىء أضر بالمريد من مسامحة النفس فى ركوب الرّخص، وقبول التأويلات.

= معرفة الله تعالى علمًا ومذاقًا، وحيث إنه قد لوحظ فى عصرنا الحديث انتشار المعاصى وفساد القلوب بما لم يعهد من قبل، فإنه يجب على من انفرط عِقْدُهُ من ربه، وعجز عن أن يقدم لربه توبة نصوحًا يتطهر أثناءها من أدران المعاصى، أن يأخذ الطريق على يد شيخ مجرب فى تطبيبه للقلوب وإصلاح الخلق على علام الغيوب ويتأكد الوجوب أكثر على علماء الشريعة فقد قال أحد العلماء المحققين: إن العالم إذا لم يتصوف على يد عارف بالله يخشى عليه من سلب الإيمان!؟

فقد قال الإمام الطيبى رحمه الله: «لا ينبغى للعالم ولو تبحر فى العلم حتى صار فريد عصره، وواحد زمانه أن يقتصر على علمه، وإنما الواجب عليه الاجتماع بأهل الطريق ليدلوه على الطريق المستقيم، حتى يكون من فيه يحدثهم الحق فى سرائرهم من شدة صفاء باطنهم، ويخلصهم من الأدناس.

وأن يجتنب ما شاب علمه من كدورات الهوى، وحظوظ نفسه الأمارة بالسوء، حتى يستعد لفيضان العلوم الدينية على قلبه، والاقتباس من مشكاة أنوار النبوة، ولا يتيسر ذلك عادة إلا على يد شيخ كامل عالم بعلاج أمراض النفوس وتطهيرها من النجاسات المعنوية، وحنكة معاملاتها علمًا وذوقًا، ليخرجه من رعونات نفسه الأمارة بالسوء ودسائسها الخفية.

فقد أجمع أهل الطريق على: وجوب اتخاذ الإنسان شيخًا له، يرشده إلى زوال تلك الصفات التى تمنعه من دخول حضرة الله بقلبه، ليصحح حضوره وخشوعه فى سائر العبادات».

ولا شك أن علاج أمراض الباطن واجب، ولا يمكن لإنسان أن يعالجها بنفسه، وقديمًا قالوا: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.. انظر: كشف الغطاء عن أهل البلاء ص٤٢/٤٣).

وقال: الإرادة استدامة الكدّ، وترك الراحة لله، وفى الله، ومن أجل حق الله.

وقال: إذا ظهر البخل فى الأغنياء، والحرص فى الفقراء، أدَّى لسفه فى العلماء، وسخف فى القراء، والفسق فى الأمراء، والرشوة فى الوزراء، والاستحلال فى العامة، والدهان فى الخاصة، فالموت تحفة لكل صادق، والحياة نقص لكل محقق.

وقال: قضاء الحوائج بين الناس سنة فى معروف، وفساد ذلك كله بالمن، والأذى، وكثرة الحوائج إلى الناس من دناءة الهمة، وفقر القلب، وهو أسباب البغضة، والتقاطع.

وقال: التعلق بالناس فى قضاء الحوائج من غير ضرورة يُورث ثلاثة مذمومة، استجلاب الحرص، والرغبة، والمسرة، وذهاب الحياء، والمروءة، وثقل طلب الحلال بخفة المداهنة، والتعلق بالله عز وجل فى قضاء الحاجة، يوُرث ثلاثة محمودة تعظيم النعمة، وإسقاط الملامة، وإدخال المسرة، وهذه الثلاث تورث ثلاثة مشكورة القناعة بالتعفف، والرضى بترك التمخط، والإيثار بالفضل بعد القوام.

وقال: أخذ الحلال بالشكر يُورث سلامة الصدر، والتحرى للصدق يُورث الغضب لله فى مواطن الحق، وأخذ الشبهات يُورث دوام الغفلات، وقلة التحفظ فى المنطق يُورث السخافة، والخرق، وأخذ الحرام لغير ضرورة يورث عمى القلب، والسفولة، واعتماد الكذب يُورث عمى القلب، واللهو، واللعب.

وقال: صادق لا يرضى بالإفك، صديق جيدٌ لا يسكن إلى غيبة عالم، لا يفتنه الحسد، عارف لا يغيره المنع، مؤمن لا يفتنه العطاء،

اطلبوا هذه الأخلاق من أنفسكم، فإن وجدتموها فاشكروا، وإلا فاطلبوا، فإن منعتم فاصبروا، وانتظروا، فإن الكريم يزداد جوداً مع الإلحاح.

وقال: من تحرى الصدق في منطقه، ورضى بالدونة في الدنيا في سلامة دينه، فذلك المقرب غداً من ربه الفائز برحمته، والناجي من عذابه.

وقال: الغضب في ذات الله تعالى يُورث الرفق، والرحمة، والإنصاف، والنصيحة، والغضب في ذات النفس يورث الشدة، والعظمة، والحمية، والعصبية، فطوبى لعبد كان غضبه لله على الناس، وعلى نفسه، ولم يكن رضاؤه عن الناس لنفسه في معصية ربه.

وقال: سعد من غضب على نفسه لله، ولم يغضب لنفسه على الله تعالى، وشقى من غضب على الناس لنفسه، ولم يغضب لله على الناس.

وقال: صحة عقد المحبة لله، والعداوة في الله لا تثبت إلا لقلب مريد صادق، أو عالم خائف، أو عارف موقن، لأن الولاية في الله لا يصح إلا بعد الطهارة، والعداوة في الله لا يصح إلا بعد الإرادة.

وقال: المحبة في الله يُهيجها رواجع الرجاء، والعداوة في الله يهيجها زواجر الخوف، فمن لم تثبت له محبة، ولا بغضة بالحقيقة فليس في جراب قلبه خوف، ولا رجاء.

وقال: صحة المحبة بالإيثار تنمو، وسقم العداوة بالطمع تضمحل.

وقال: حرامٌ على أهل الإيمان أن يعتقدوا المودة بالقلب لأهل الخلاف لهم، وحرام على أبناء الإرادة أن يعارضوا أهل الإنكار للقدوة بالعلم

المكنون اللدنيّ.

وقال: لما يضطر المسكين إلى نفسه بالغفلة عن خالقه، وأخذ برأيه فى دينه، وقاس أمر الله على عقله، قصرت معرفته عن حمل قدرة ربه فأنكرها بجهله.

وقال: من قصرت معرفته بنفسه أنكر وجود قدرة الله فيه، وقدرته عليه بالغلبة، انقياد المشيئة، وهم أهل الضلال الدين نسبوا الأقدار لأنفسهم دون ربهم، ومن قصر علمه بالله، وبصفاته، وأسمائه أنكر قدرة الله فى نفسه، وفى أوليائه، وهم أهل الغفلة المتسبون إلى السنة ممن عمى عن فهم الآثار المروية، والشواهد القائمة.

وقال: أول قدم للمريد فى الإرادة موت النفس بترك الانتصار، والتصديق بمواهب الجبار، وأول قدم للخاصة فى الحقيقة الرضى، والتسليم، والفقر إلى الله تعالى.

وقال: سبحان من وسَم الدنيا بالوحشة، وأظهر عوارها لأهل التأمل بالعبرة، ولم يجعل للبيب فيها راحة، ولا لعارف فيها لذة، وجعل فى كل شىء منها آفة، ولكل معنى منها ضدًا تنبيهًا لأهل الغفلة، ومزيد علم لأهل اليقظة.

وقال: عقبى الشباب الهرم، وعقبى الحياة الموت، وعقبى الفرح الترح، وعقبى الأنس الوحشة، وعقبى الاجتماع الفرقة، وجعل ضد الإيمان الكفر، وآفته افتراق الذنوب، وجعل ضد العقل الحمق، وآفته العجلة، وجعل ضد العلم الجهل، وآفته النسيان، وجعل ضد العمل الفترة، والعجز، وآفته الملالة، والكسل، وجعل ضد اليقين الشك، وآفته الغفلة.

وقال: عقبى أعلام الدار، وأضداد أعلامها ليستدل بها المريد على كثير من معانيها.

وقال: الحسد آفة الدين، والعجلة آفة بنى آدم، وما تناظر اثنان فى حجاج حق فأحب أحدهما أن يحظى الآخر، إلا إن كان ممن أحب أن يعصى الله فى الأرض أصاب الحق بعدًا، وأخطاءً، ولا تناظر اثنان فأحب أحدهما إرشاد صاحبه، وهدايته إلا كان ممن أحب أن يطاع الله فى الأرض أصاب الحق بعدًا، وخطأ.

وقال: إذا أحببت أن تؤجر بمعصية الله الناس فيك فلست بناصح لله فيهم، ولا منصف لهم فى ولاية الدين وإذا أحببت لهم السلامة من الإثم فقد شركتهم بالنية فى كل خير، ومعروف، وبرٍّ.

وقال: متى تفلح وأنت معرض عن من نصحك؟ إن كنت تفهم فخذه من معدنه، وإلا فاطلبه من العلماء الراسخين واقبله من العقلاء العارفين.

وقال: كيف تُفلح، وأنت تهرب عن من ينصحك فى خلاف هواك، وطاعة نفسك، وعدوك، وتقبل على من داهنك، وغرك، وخدعك، إن كنت فخذ الأمرين من معدن الحق، ومعدن الباطل فاقتنى البر، وانبذ الإثم إن كنت تريد الله عز وجل، والدار الآخرة، إن الله عز وجل غنى عما يُراد به وجهه متعالٍ عما أشرك فيه لغيره، ولا يقبل إلا ما خلص فيه الإيمان، وصدقت فيه الأعمال، وسلك به مناهج الأتباع، وصحبه الفقر، وهو التبرأ من الحول، والقوة فيه بمعرفة النعمة من الكريم المنعم، إن فهمت رغبة نفعه لك، وحسن مثوبته راجعة عليك اضطرتك المعرفة إلى محبة من دعاك بأن تكون كذلك فإن أرشدك نور العلم إلى حقيقة العبدوية، قلت: لا أريد بعد إلا أنت فإن عقلت المخاطبة منه قلت، وأنا لا أريد إلا أنت فأنت أنت.

وقال: ما أكثر الباطلين، وأقل المصادقين، وأقل المتحققين، وأكثر المدعين سبحانه من ستر الجميع، وستر يوم الجمع جمعًا كثيرًا ليريهم فضله، وغناه، وكرمه فى الدارين إنه بعباده رءوف رحيم.

وقال: كل حريص فى دنياه لا تجده إلا أحمق فى آخرته، وكل بخيل فى دنياه لا تجده إلا سميحًا بدينه جبانًا فى طلب آخرته، وكل مريد منصور موفق مسدد فى دينه ودنياه، وآخرته، إن الله عز وجل يحب الرفق، والقصد، والتؤدة، ويبغض العنف، والغلو، والشدة.

وقال: اطلبوا مزيد العقل بصحبة العقلاء، واطلبوا مزيد العلم بصحبة العلماء، فلأن يزيد فى عقل أحدكم مثقال ذرة خيرًا له من إنفاق جبل ذهب فى سبيل الله، ولأن يزيد فى دين أحدكم معرفة باب من الفرض أفضل له من ألف حجة مقبولة، وإياكم من صحبة النساك الحمقاء، والعلماء الجهال بأنفسهم فإن فتنتهم عمى فى القلب، ونقص فى الدين، والعقل.

وقال: ما أكثر البكائين، وأقل من يحسن البكاء، وأغرب فيمن يحسن البكاء ما أحقه أن يبكى عليه، إن كنت تفهم فابك ثم ابك على من يستحق البكاء عليه.

وقال: البكاء رحمة من الحق إذا هاج من حق، والبكاء خدعة من العدو إذا هاج من باطل فعلامة صحة البكاء فى مواجيد الحق الانتقال، والتحول عن المعاصى، والذنوب، ومزيد مواريث الجد، والاجتهاد فى الطاعة، وعلامة سقم البكاء فى مواجيد الباطل ثقل الطاعة، وخفة العمل بالمعصية.

وقال: كل بكاء عن حق يزيد به الخوف، وكل بكاء عن حقيقة يزيد

به الحب، وكل بكاء عن غفلة يزيد به السهو، وكل بكاء على إصرار يزيد به التخليط من البكاء ما هو نعمة علامته الإقبال على الله عز وجل، ومن البكاء ما هو عقوبة علامته الإعراض عن الله عز وجل.

وقال: عجبت ممن يأمر الناس بالعمل، وهو مضيع للورع بل عجبت ممن يأمر الناس بطلب العلم، وهو عامل بالجهل، وأعجب من هذا قارئ كتاب الله لا يروعه ترهيبه، ولا يشوقه ترغيبه.

وقال: لا يعجبك قارئ للكتاب مضيع لحدوده، واغتبط مريدًا صادقًا، ولا يغبطك جامع للعلم غير عامل به، واغتبط بعارف بصير، ولا يُغبطك عامل ذو اجتهاد على تخليط، واغتبط بعاقل له أدب، ودين، ولا يغبطك ذو مال، وجود قليل الورع، واغتبط بزاهد قد رضى من الدنيا بالقوت.

وقال: إذا وجدته عالـمًا بالدين عارفًا بالتمييز بصيرًا بزمانه حذرًا من أبناء جنسه سمحًا بما فى يديه شحيحًا على دينه فاعلم أن حاله قد كمل فى الظاهر فإن وقف يدرأ شهوته بترك ما لا يعنيه، وترك الانتصار لنفسه لمعرفته بها، ولزم الفقر إلى ربه بعد جهده، وصحبه التسليم فى كل ما ورد عليه، وكان له حال يسكن به إلى ربه فاعلم أن حاله قد كمل فى الباطن ما لم يمازجه رؤية أو تصور على الأحوال للقال، والذكر.

وقال: موالاة أهل البدع بالمودة تذهب بنور القلوب، وتحسن أفعالهم يُورث المقت من الحق، والبعد عن الله عز وجل.

وقال: كل نعيم لأبناء الدنيا من الدنيا للدنيا يذهب بزوال وقته، ويُبقى على القلوب ضرره، وفى الآخرة حسابه، وكل نعيم لأبناء الآخرة من الدنيا لله عز وجل يبقى نوره وبركته بذهاب وقته ولذته، ونعيمه فى الآخرة.

وقال: كل فرح من الدنيا للدنيا عاقبته حزن، وكل حزن من الدنيا للدنيا يبلى الأحزان التائب على ذنبه، وحزن الخائف على فوت ربه.

وقال: التصبر للمؤمن حرز من الآفات، والصبر للمؤمن جنة من الضلالات، والشكر للمريد معدن للزيادات، والرضى للعلماء كهف للسلامات، والمراقبة للعارف طريق فى المحبة، والتوكل للموفق درجة فى الغاية، ومن لم يتصبر لم يصبر، ومن لم يصبر لم يشكر، ومن لم يشكر لم يرض، ومن لم يرض لم يحب، ومن لم يحب لم يتوكل.

كيف يريد تأديب الناس بالتقلل، والترك للدنيا من غلبه الحرص، والشره؟ ولم ترض نفسه بالتجوع، والعطش، وبدنه بالعرى، والفقر، وكيف تصح الموعظة ممن جهل طريق الورع، والزهد، وغاب عنه معرفة الناس من جهة الفِراسة، والتمييز لأحوالهم؟ وكيف ينتفع الناس بعلم عالم؟ قد انسلخ من خيره، وبركته، وورث منه الحب، والمداهنة، والغل والحسد، وحب الغلبة.

وقال: كل من عمل لله بهدى العلم ورث حقائقًا من المعرفة فإن وَرِع ورث حقائقًا من المحبة، فإن زهد ورث حقائقًا من الأنس فإن استحيى ورث حقائقًا من المراقبة، فإن هاب، وأجل مقام ربه، وعظم قدره فى نفسه على الغالب من أوقاته ورث من العلم، واليقين، والبصيرة، والتمييز فى الدنيا ما لم يخطر على القلوب، ولم تنطق به الألسن، وأعطاه ربه فى الآخرة ما لم تشهده الأبصار، ولم يخطر فى الأسرار، وكل من عمل لما عند الله بعد العلم ورث مزيدًا من الورع، فإن قنع ورث مزيدًا من التعفف، فإن صبر ورث مزيدًا من الشكر، فإن آثر ورث مزيدًا من المحبة، والحياة، وأعطاه الله فى الآخرة مما وصف لكم ما تلذ به نفسه، وتقر به عينه.

وقال: كل من عمل لله عز وجل العمل الذى يبتغى به ما عند الله لم يخرج من الدنيا حتى يوجده من العلم، والمعرفة، واليقين ما لم يخطر على القلوب إما أن يظهره الله بذلك، وإما أن يستر حاله عن الخلق، ويذيقه مع ذلك القلة، والفقر، والبلوى، والامتحان، وكل من عمل لغير الله العمل الذى يراد به ما عند الله لم يخرج من الدنيا حتى يوفيه أجره بسبعة من دنياه ينعم بها، أو رئاسة فى الدنيا يستطيل بها على أبناء الآخرة، ويذيقه مع ذلك العز، والشرف، والمعافاة، والصحة، ويفسح له فى الأجل، ويمد له فى الصوت حتى يقدم بالنعم موقرًا، ومن خالص الأعمال الصالحة مفلسًا.

وقال: إذا لم يشأ وعدلك بين أهل الفقر، والغنى فى التواضع، والرحمة فقد ركبت سفينة الغرق فى بحر الهوى، والفتنة، وإذا لم تقم الحق على الجاهل، والعالم بالإنصاف، والنصيحة، فأنت عون، وشريك لهم بالخيانة، وفساد النية.

وقال: الفقر بلا صبر بلاء، والغنى بلا شكر ابتلاء، وهما مذهبان للدين، والمروءة، ومبلغان إلى كل فضل، ومكرمة.

وقال: ما ضرب العبد بمحنة فى الإسلام أشد عليه من بلاء بلا يقين، ولا عوقب ببلية فى الإسلام أفسد له من صحة بلا طاعة، وخفة ظهر بلا استقامة.

وقال: ليس شىء أضر على أبناء الدنيا من الحسد، والحرص، والشره، وليس شىء أضر على أبناء الآخرة من الرياء، والعجب، والتزين فمن نجى من هذه الستة خلص من ستة أخرى: البغى، والرغبة، والبخل، والتصنع، والاحتقار، والدعاوى.

وقال: إذا رأيت صاحب الدنيا يستقل ما فى يده، ورأيت صاحب

الآخرة يحب ما فى يد غيره من الدنيا، ورأيت صاحب الدنيا يمدح أبناء الآخرة، ولا يواصلهم، ويذم أبناء الدنيا، ولا يباينهم، وصاحب الآخرة يُداهن أبناء الدنيا، ولا ينصح أبناء الآخرة فاعلم أنهما ليسا فى شىء من الحقيقة، وإنما هو حُب، وخلابة، وتصنع، وتنطع منهما(١).

وقال: من طلب الرضى من أهل السخط، والاستقامة من أهل التخليط، والإنصاف من أهل الفجور، والنصيحة من أهل الباطل فقد جهل موضع العلم، وسلك به غير سبيله.

وقال: إذا رأيت الرجل يسفه الحق، ويغمص الناس فاحذره، فإذا رأيته يتواضع للحق، ويعظم أهل الإيمان لغير طمع، ولا مكافأة فاصحبه.

وقال: علامة المرتضى المقبول فى هذا الزمان رعاية الفرض، والصمت، والهرب، ومناكرة المعارف، والدعاء للأمة بالصلاح، والتخفف من الكثرة، والعيلة، والتحرى فى الملبس، وسد الجوعة ليس هو بزمان أنس، ولا اجتماع، ولا مؤاخاة، ولا مصافات، ولا مخالطة، ولا انتصار لفساد القلوب، وفيض الحرام، فطوبى ثم طوبى لمن لم

---

(١) قال الإمام الشعرانى رحمه الله: ومما منَّ الله تبارك وتعالى به علىَّ: نفرة نفسى من الدنيا وأبنائها فلا أتمنى قط أن يكون شىء مما بأيديهم فى يدى، ولا أن يكون لى مثل ذلك أبدًا، وهذا من أكبر نعم الله تعالى علىّ، فإن غالب الناس ينظر إلى ظاهر الدنيا دون ما فى باطنها من السموم القاتلة والأباطيل والخداع والمصائد، ولذلك تزاحموا عليها وتحاسدوا وتباغضوا، وانقبضوا لفقدها، وانشرحوا لوجودها، ويعد أحدهم اليوم الذى يقوم فيه من النوم، ويجد عند رأسه شكارة فيها عشرة آلاف دينار ذهبًا يوم عيد، وأنا بحمد الله تبارك وتعالى بالعكس من ذلك. . وقد ذقت بحمد الله عز وجل هذا المقام، ولذلك ما أعلم أحدًا يكرهنى قط إلا حسدًا، فإنى لم يقع لى أننى زاحمت أحدًا على تدريس علم ولا وظيفة، ولا تزوجت له امرأة فى حال حياته، ولا غير ذلك، فافهم هداك الله، والحمد لله رب العالمين اهـ. انظر: لطائف المنن (ص١٠٨).

يعرفه أهل الزمان، ولا عرفهم فإما هاربٌ منهم أو متحمل للأذى، والجفاء منهم.

وقال: ليس شىء أضر على المريد من الأكل لغير فاقة، والكلام لغير ضرورة، والمشى لغير حاجة، وليس شىء أنفع له من التقلل، والصمت، والخلوة، والنظر.

وقال: آفة أبناء الدنيا النظر إلى أجناسهم، وهو الذى يُورث الحرص، والحسد، وآفة أبناء الآخرة النظر إلى أنفسهم، وفعلهم، وهو الذى يُورث العجب، والفخر.

وقال: غفلة الحكيم عن ربه التبسط فيما أُبيح له، وغفلة العالم عن نفسه الدخول فى السعة، بالتأويل فيما اختلف فيه، وغفلة الجاهل عن ربه، ونفسه، التورط فيما حرم عليه، وهو الهلاك إلا أن يتداركه الله عز وجل فغفلة الحكيم تعقبه عدم الفهم، والفطنة فى مزيد العلم بحاله، وهو فقره، وفاقته إلى ربه، وغفلة العالم تعقبه عدم الذم، والازدراء على نفسه، وهو خوفه، وخشيته، وغفلة الجاهل تعقبه التمادى، والإصرار فى عينه، وطغيانه.

وقال: أبى الله عز وجل إلا أن يدخل على أوليائه فترة ليزدادوا به علمًا، ومعرفة، وهى استعجال مكرمة من الحق لهم، ورحمة لأهل المضيق، وعطفًا على المريد، وأبى الله عز وجل إلا أن يدخل الملالة على كل مدعٍ كى يظهر أمره لكل مستدرج، ومفتون عقوبة له، وحجة عليهم.

وقال: أبناء الآخرة مقتطعون بوجود حلاوتهم فى العلم، والعمل، والذكر، والدعاء، وغير ذلك من أعمال البر لأجل حظوظهم، وأهل العلم من العارفين موصلون بتلك الأحوال مقتطعون عن الخلوات

لوجودهم حقيقة من شاهدوه، وحضورهم لمن خاطبوه، وقيامهم لمن راقبوه، وانبساطهم لمن أحبوه، وآثروه.

وقال: الخصوص فى مقامات الذكر على درجتين، ذاكرٌ لربه بوجود خوف مقته بالإقامة على ذكره، وذاكرٌ لربه بوجود رجاء روح قربه على الانزعاج عنه لما فيه لخلقه، والإقامة عليه منه له فى فنائه، وبقائه، فالأول طالب، والثانى مطلوب، والثانى: جالس منبسط، والأول قائمٌ منقبض.

وقال: لا يوازى مقام من يريد أن يستغنى بحظه درجة من يراد بالغناء ليباهى به فى العلاء عند ربه(١).

وقال: أبى الله سبحانه أن يفتح عيون قلوب المترقبين من أبناء الدنيا إلى فهم حقيقة ما وجد العارفون من أبناء الآخرة، وخطر أن يخرج عبداً

---

(١) قال الشيخ ابن عربى: فى منزل الفانى عن الذكر بالمذكور: اعلم يا بنى جردك الله من كل كون وتكنفك بجناح الغيرة والصون، إن القلب الذى تمر عليه هذه الأسرار أسرار الشهداء ويعاين من الملكوتين هذا القدر العظيم إذا عاينها مسخرة تحت فهو مسخرها كنفسه، فلا يعرج لها من جهة الوقوف معها، ولكن يجعلها كالمعونة لما ألهمه متعلقة به مرتقية إليه، فإذا استمر عليه هذا وطلبته الملائكة معها فلم تجده إلا مشغولاً بأعلى من ذلك، وعرف الحق صدق ذلك الطالب والتوجه اختطفه على كل كون خارج عنه، ثم أوقفه مع أكوانه فذلك حظه، ويكون برزخى الموقف، فإن لم يقف ونظرها كما نظر الآخرين اختطف عن أكوان نفسه، وعن ملاحظة كل كون أصلاً، وهذا المقام الذى أشار إليه صاحب المواقف.

وقال لى: كل جزء من الكون حجاب، فإذا حصل القلب واختلف بالكلية، وفنى بالمذكور عن الذكر ارتاحت الأسرار لطالبه، واشتاق الملأ الأعلى لتسبيحه فضرب بينه وبينهم سبعون ألف حجاب إلهية، يقف دون المشتاقين إليه، فإن وقف هنا كان هذا مقامه لا يبرح منه، فإن فنى عن المذكور بالذكر ضرب بينه وبين صاحب المقام الأول سبعمائة ألف حجاب، وأما ما يحصل له من هذه المقامات فلا يمكن أن يوصف ولا يحد إذ ليس ثمة ما يشبهه ولا ما يقاس منزل الفانى عن المذكور للمذكور لا بالمذكور وهو أعلى الفناء، وهنا المنتهى، وليس وراء هذا مرمى ليرام، ولكى يقع فيه التفاضل بين الرسل فى نمطهم والأنبياء فى نمطهم، والأولياء فى نمطهم، وكل له شرب معلوم ينال الأعلى ما نال الأدنى وزيادة.. انظر: مواقع النجوم (ص١٥٤، ١٥٥).

إلى الحقيقة على أيديهم فى طريق الترك، والإيثار، وحجبهم عن معرفة أهل الحقيقة بالحقيقة، وحرمهم أن تثبت لهم محب فى الله ، أو عدو فى الله على شرط الأخوة على الصفاء، والمباينة فى المبادئ ثم حرمهم ثواب جميع ذلك فى الآخرة إذ لا قيمة لهم فيه، ولا همة، ولا تصديق به، ولا انتصار لأهله فنعوذ بالله من هذه الخذلة، والبعد، والحيرة.

وقال: حصل أهل هذا الزمن على ثلاثة أخلاق مذمومة تورث ثلاثة ممقوتة تورث ثلاثة موبقة توالوا على إظهار المحبة، وتباينوا فى القلوب بالمخالفة فورثهم ذلك المداهنة، وورثوا منها الإصرار على مذموم الحال، وتواطئوا على إظهار العداوة، وتألفوا على الركون إلى الظلمة، والاختلاف إلى الفجرة فورثهم ذلك الصمت عن قبيح أفعالهم، وإظهار شكر ما علموه منهم، وورثوا من ذلك أخذ الإجعال على قضاء الحوائج، وهو السحت الذى نهى الله عنه، ورأوا أن ذلك لهم حلال، وتواطئوا على طاعة النساء فورثهم ذلك ذهاب أموالهم فى الباطل فورثوا من ذلك ذهاب الغيرة لله عز وجل، ولرسوله عليه السلام، ولصحابة نبيه رضى الله عنهم، ولأعراض المؤمنين، ولحرماتهم فما ينتظر الناس بعد هذا إذا كان هذا موجودًا فى السلطان، والقاضى، والعالم، والخاص، والعام، فإنا لله وإنا إليه راجعون على ذهاب الأعمار، وموت الأخيار، والتعلق بدار الاغترار، والأنس بقوم لا يستحيون من فضيحة، ولا عار.

وقال: إذا عميت القلوب عن التصديق بهذا العلم، وأنكرت مواهب المطيعين بالكرامات، واستهزاء الأغنياء بالفقراء، وسخر العلماء من النساك بَعُدَتْ التوبة من الجميع، وقلَّت بركات الأرض، وأشرف الملوك فى القتل.

وقال: الصبر على الحق عز والرضى بقضائه شرف، والتشكى إليه فرج، والتسخط عار، والتشكى إلى الخلق ذلّ، وعار.

وقال: الشكوى كله مذموم إلا أربعة: طالب يشكو إلى عالم داء قلبه، ومريد يشكو إلى عارف داء نفسه، وعليل يشكو إلى طبيب داء جسده، وضعيف يشكو إلى قوى عند الضرورة ما يدفع به ضيق وقته، وميسورٌ يدفع به ضره.

وقال: سؤال العلماء عن الواجب فرض، وسؤال الحكماء عن الزيادة سنة، وأن الله سبحانه ليمقت السائل المعنف، ويبغض المبرم المتكلف.

وقال: من رضى لنفسه من نفسه بالإقامة على الباب من الشر فهو محروم، ومن رضى لنفسه عن ربه بالإقامة على الباب فهو مرحوم.

وقال: مع الرضى عن النفس يقع المنع، ومع الرضى عن الله يقع العطاء.

وقال: مقطوع ممنوع من اقتدى فى دينه ثمن هو دونه، وموصول معطاء مراد من اقتدى فى دينه بمن هو أفضل منه، وقد خذل من كان اقتداؤه فى دنياه، ورزقه بمن هو أطول منه.

وقال: بالتفقد للحال، والمحاسبة، والانتقال بالمجاهدة تهزم جيوش العدو، وتخذل خيله، ورجله، إما يمنع من الحق قاهر، وإما بحجة من الحق صادر، وبذلك يستولى العقل على الهوى فتصير النفس أسيرة فى الطاعة، وبترك الرعاية، والتفقد، والمحاسبة يدوم الإصرار بالمخالفة، ويستوى الهوى على العقل، ويحكم النفس بطاعة العدو فى المعصية.

وقال: فطع بمن مازجت بدايته رؤية نفسه، وفقد الصدق، وستر النصحاء عنه، وذلك حين شره النفس، واستبطان الباطل حتى تصير

دعاوى، وفتنة على نفسه، وعلى الجاهل به، ولم يصل بالحقيقة، وضلَّ بالحقيقة من سكن إلى رؤية حاله فى العلم، وأوثق بالنجاة بمعنى من فعله، وعمله، وظفر بالفوز والنجاة فى جميع ذلك من كان فقره، وفاقته، وضرورته، وحاجته، واستغاثته بربه، وإلى ربه بربه.

وقال: الآفات المبطلة فى العلم، والعمل لاحقة بأهل البدع، وإن أخلصوا الدين، والدعوة لمباينتهم الأصل، وهو الاتباع، والآفات المفسدة لاحقة بأهل السنة ما فارقوا الصدق فى الأصل، والإخلاص فى الفرع، وإن كانوا متبعين لم ينفعهم مفارقة أهل البدع مع الشرك الأصغر.

وقال: من لم يميز بعقله ظنه من يقينه قبل المشاهدة الأمر حقًا كان، أو باطلاً فقلبه مقفول أبعد عن وجود الحقيقة، ومن لم يجد بعد تميزه وجه العلة، والمخرج فى الحجة التى يحب بها الإذعان، والتسليم قبل المناظرة فقلبه محجوب عن مواجيد أهل النهاية من العلماء، وعسى أن يكون بعد فى درجة التعليم.

وقال: أصل هذا الأمر الذى يعلو به منارة، وتزكو به بركاته، وتزهو به أتباعه ويجتنى منه ثماره التقوى بالاتباع، وفرعه الأدب بالمحاسبة للنفس، وظاهره الصدق، وباطنه الإخلاص، وزينته الصبر، وقوامه الشكر، وجنته الخوف، وبهجته الرجا، وعماده التواضع، ونجومه حسن الخلق، وسنامه رؤية التقصير، وكماله الفعل المؤيد بالتوفيق.

وقال: علم الأدب غريب العلم بالأدب الأمر، والنهى، ومن وجده ساد عند العامة، وعلم المحاسبة غريب فى أهل الأدب، ومن وجده أفلح عند الله عز وجل.

وقال: من فاتته المحاسبة لنفسه فى البداية لم يثبت له قدم بتحقيق فى

النهاية، وكان إقباله لعبًا، ولهوًا، وإعراضه زينة، وتفاخرًا، وتكاثرًا، ورؤية، ودعوى.

وقال: أولى الناس بطلب علم الرياضة أهل الإرادة لما تعارضهم به النفس من حب الدعة والإسراف والإكثار والسعة، وأحق الناس بالصبر على المحاسبة أهل العلم بالأمر، والنهى لما يأتيهم به العدو من الغرور، والأمانى، والتحاسد، والبغى، وأولى الناس بالشكر على الإيثار أهل المعرفة لما يأتيهم به الهوى من الغيرة، والحدة، والطيش، والعجلة، وأحق الناس بالرضى، والتسليم أهل العلم بالله عز وجل لما يعارضهم من مشهود الحال فى الشفقة، والرحمة، والإحسان، والنصيحة.

وقال: ليس شىء أقل فى أهل الإرادة من الصدق، وليس فى الصادقين أقلّ من المخلصين، وليس فى المخلصين أقلّ من الصابرين، وليس فى الصابرين أقل من الشاكرين، وليس فى الشاكرين أقلّ من المؤثرين، وليس فى المؤثرين أقل من المحبين، وليس فى المحبين أقلّ من المشتاقين، وليس فى المشتاقين أقل من المراقبين، وليس فى المراقبين أقل من الراضين، وليس فى الراضين أقل من المتوكلين، وليس فى المتوكلين أقل من المجلين، وليس فى المجلين أقل من المعظمين، وليس فى المعظمين أقلّ من المشاهدين، وليس فى المشاهدين أقل من الناظرين، وليس فى الناظرين أقل من المتكلمين، وليس فى المتكلمين أقلّ من الفانين، وليس فى الفانين أقل من الباقين، وهم الذين بقوا مع الحق يفنى كل شىء سواه، لا يريدون مع الله غير الله، ولا من الله إلا الله أولئك الذين يتباهى الله بهم أهل الصفح الأعلى، ويزهو بهم المقعد فى حضرة القدس أولئك الذين محجبون عنه من ذكرهم الحق مع نفسه كما يريدوا به بدلاً، ولا عنه حولاً.

وقال: أصول أهل الإرادات الخوف، والرجاء، والصبر، والشكر، وأصول أهل الدرجات الصدق، والإخلاص، والحب، والإيثار، وأصول أهل المقامات الإنصاف، والنصيحة، والشفقة، والرحمة، وقوام ذلك كله بالفقر إلى الله عز وجل، والغنى بالله، وكفٍّ الأذى عن عباد الله.

وقال: من لم يُورثه الخوف، والرجاء اتباع الأمر، واجتناب النهى، ويُورثه الصدق، والإخلاص الورع، والزهد، ويورثه الحب، والإيثار الحياء، والمراقبة، ويورثه الإنصاف، والنصيحة ترك الانتصار، والمقاومة، ويورثه الشفقة، والرحمة الرفق، والرأفة، فهو مدعٍ جاهل بطريقيه، أو مفتون ببلية قد حجبته عن وجود الحقيقة من حاله.

وقال: من سبق إليه الخوف فى الدنيا فعمل بآدابه، وأخلاقه لم يخف يوم القيامة لأن الله سبحانه أهل أن يؤمن من خافه، ومن سبق إليه الرجاء فى الدنيا فعمل بآدابه، وأخلاقه لم يخيب الله عز وجل من رجائه، وكان حقًا عليه أن يُرضيه لأنه أهل للجود، والكرم.

وقال: من واجب حق العلم على الطالب السؤال عن عام العلم، وأصوله لواجب فرضه، ومن واجب حق العلم على العالم صيانة خاص العلم لواجب حقه إلا عن أهله.

وقال: الفرض على العلماء فى الجواب ما لا يسعهم فيه الصمت، والواجب على العلماء فى الصمت ما لا يسعهم فيه الكلام، الحق اللازم على العلماء فى الكلام إذا وجب النطق عند الاستنباط على الأصول من الأصول، وعلى الفروع من الأصول، ومن ترك الأصول، وقاس فرعًا على فرع اضمحل دينه، وصار فى شبهة من أمره.

وقال: أفقه العلماء من وقع له جواب الإصابة على الأصل بُعد،

والسؤال على المثال فيما لم يتقدمه فيه إمام، وهى علامة التولى فى الإقامة، والحجة فى الوقت، وما سوى هذا قائمًا هو تخوض، وظن، واستحسان، فللأول أجران باجتهاده، وإصابته، وللآخر أجر باجتهاده إذا كان أهلاً للاستنباط.

وقال: كل من لم يتقدمه العلم بالله قبل العلم بأمر الله، أو لم يكونا معًا، أو لم يُورثه العلم بأمر الله العلم بالله فقد علم الخشية، وهو التوقف عن المحارم، والتورع فى المكاسب، وهذا لا يكاد يسلم من الرياء، والتزين لمحبة إظهار حاله فى العلم، وقبول قوله، ومن لم يصحب معرفته علم شرع دينه ذهبت به المغاليط فى سبيل الحيرة، ولم يثبت له عبودية، ومن لا تعبد له فليس له دين.

وقال: قل أن يخلو العالم بالأمر، والنهى من الخيلاء، والفخر، ومحبته الشرف، والذكر فى المجالس حتى يقع له الحقيقة، وهى الدرجة الثانية فى المعرفة، وقلَّ أن يخلو العارف بربه بمعرفة شرع دينه من الضدِّ فى العلم، والفترة عن الذكر حتى يقع له على الحقيقة، وهى الدرجة الثانية فى العلم، فإذا رجع من علم الأمر، والنهى، وهى العلم الأول الواجب على الخلق تعليمه لأن التعبد به يفتقر فى الفرض، والنقل إلى المعرفة باليقين، وهى المعرفة الثانية، والأول: هى معرفة التصديق بها قوام الإيمان، والثانية: تحقيق اليقين فإذا درج منها إلى علم التوحيد فى حقيقة العلم بالله صحبه علم التقصير فى كل واجب، وترغيب، وترهيب، وتعبد، وعبودية، واستعباد، ومعلوم، ومقام، ودرجة، ورتبةٌ، وموهبة، وكرامة، وهذا هو العالم الذى يستغفر له ما فى البر، والبحر من رطب، ويابس، ويستغفر له طير السماء، وسكان الهوى، وعمار أطباق العلى.

وقال: إذا فقد من الناس ثلاثة ابتلوا بستة، وذهبت منهم ست: إذا ضيعوا حفظ الأمانة ابتلوا بالغنى، والفقر، وذهبت منهم: الصبر، والشكر، وإذا استخفوا برعاية الفرائض ابتلوا بالشح، والبخل، وذهب منهم الحياء، والتكرم، وإذا أعلنوا المنكر بينهم ابتلوا بظلم السلطان، ومقت العلماء، وذهب منهم الإنصاف، والنصيحة فلم تكن لهم مهابة، ولا خشية.

وقال: من لم يعنك على دينك، وينصحك فى غيك، وينصفك فى مودتك، ويكتم عليك سرك فهو كَلٌّ عليك ضد لحالك قفل لقلبك الصبر عليه وهن فى العقل، والمباينة له شين فى العرض.

وقال: أضرّ الأصحاب عليك من إذا وعظته لم يفهم، وإذا تركته لم يعقل يتقول عليك ما لم تقل، ويظن بك ما لم تعمل.

وقال: لله عز وجل فى عباده سر، وهو علم القدر الجارى عليهم، وفيهم، ولهم، وللعلماء بالله، وبأمره، ونهيه سرٌّ فى درجاتهم، ومقاماتهم، ومراتبهم، وأماكنهم وهو علم المشاهدة عند الغناء، والمخاطبة عند البقاء، وللعارفين بالله من الأولياء، والصديقين سرٌّ فى أحوالهم، ومقاصدهم، وهو علم الرحمة، والفضل، والجود، والكرم، والسعة، والإحسان، فإظهار سر العارفين فساد للعامة، وإظهار سر العلماء فساد للخاصة، وإظهار سر الله فساد للعامة، والخاصة، وهذا تأديب للدعاة، والنصحاء، والدالين، والأدلاء.

وقال: تعبد الله سبحانه عباده بكلمة التوحيد فى شرط الإيمان بالصدق فى الظاهر، والباطن، وفرض عليهم الأعمال التى بها يصح الإيمان بالكلمة فى الإخلاص فى الظاهر، والباطن فجعل الظاهر للأسوة، والقدوة، والتعبد، وجعل الباطن للمراقبة، والحياء، والخشية،

فبالظاهر مزيد العلم، وبالباطن تزيد المعرفة، وتعبدهم بالحدود، والأحكام، وقامت الحقوق بالظاهر دون الباطن، وجازاهم فى الآخرة بالباطن الذى به تم الظاهر، وأثابهم فى الجنان ما ظهر لهم وصفه بالظاهر، وأخفى لهم من النعم جزاء بالباطن فكان الظاهر بالظاهر معلومًا بخفة الظاهر، والباطن للباطن مفهومًا للتصديق، ولثقل الباطن بالتحقيق.

وقال: التدبير فى الدنيا للعامة، والتسليم للخاصة، وفى التدبير، والتسليم تباين الإيمان من اليقين، والمعرفة من العلم.

وقال: كل من دبر دنيا للدنيا دخلت عليه الوساوس، والآفات فإن كان لغير حاجة دخلت عليه المعصية عقوبة له لأجل إيثار الدنيا على الآخرة، وكل من دبر دنيا لآخرة دخلت عليه الطاعة بالعقد، والنية.

وقال: إياكم والخوض فيما لا يعنى فإنه يورث ثلاثًا، ويُبعد من ثلاث يُورث السهو، والغفلة، والقسوة. ويُبعد من الله، ومن رسوله، ومن أوليائه، وإن أقل فائدة ينالها من سلم من الخوض خمود شر النفس، وقطع طمع الهوى، وكيد العدو، وهذه الثلاثة تُورث ثلاثًا نورًا فى القلب، ومزيدًا فى العقل، وغبطة فى الآخرة.

وقال: ليس العجب ممن تفرد بنفسه، واعتزال من الناس فسلم، إنما العجب ممن ابتلى بالخلطاء، والمعارف فغنم، وليس العجب ممن أفاد المال فأنفقه فى سبيل البر إنما العجب ممن جاد بروحه فى ذات الله عز وجل.

وقال: لا تصلح الغنيمة إلا بعد السلامة، ولا تثبت السلامة إلا لمريد صادق عالم بدينه عارف بأهل زمانه، ونفسه، وهواه، وعدوه، ولقد

تفضل الله عز وجل على عبد يعطيه جزله فقهه فى علم إرادته، وعلم دينه، ومعرفة زمانه، ونفسه، وهواه، وعدوه فطوبى لمن خصه الله بمعرفة باب من هذه الأصول، وأما جميعها فلا يحكمها إلا واحد من الأربعة الذين هم أوتاد الأرض.

وقال: التقوى الكرم، والفجور الدناءة، والمروءة الوفاء، والإضاعة الخيانة.

وقال: التقوى خمس: كلمة الإخلاص بعقد شهادة التبليغ للنبى ﷺ، ورعاية صلاة الفرض بحقها، وفرضها، وسننها، وآدابها، وأداء الزكاة فى واجباتها، وصوم شهر رمضان بواجبه، وحج البيت بفرض الاستطاعة.

وقال: الكرم خمسٌ: السخاء فى ذات الله عز وجل، وحسن الخلق، والائتلاف، والتعاون، والتعامل بالحِلم عند الإساءة بترك العقاب.

وقال: الفجور خمس: المكر، والخديعة، والغش، والخَلابة، والتملق بالكلام دون الفعال.

وقال: الدناءة خمس: البخل، والشح، والاحتكار، والفحش، والسفاهة.

وقال: المروءة خمس: حفظ الصديق، وبذل المال، والنفس عند القصد، وصيانة الدين، والعرض، وإقامة العذر للناس، والإغضاء عن السخافة.

وقال: الوفاء خمس: المراقبة فى المحبة، والمؤازرة على المودة، والملاطفة على الصحة، والحفظ على الغنيمة، وإقامة الواجب بالحضرة.

وقال: الإضاعة خمس: العجب، والتكبر، والأنفة، والتغرر،

والاحتقار للخواص، والعوام.

وقال: الخيانة خمس: ذهاب الحياء، وفقد الأمانة، ورؤية الفضل على الناس، والمنة، وغرر الإخوان، وملالة الأصحاب.

وقال: معرفة أصول العلم، وفروعه المفترض على الناس طلبه البحث عنه، ولقاء العلماء فيه يفترق على أربع أصول لكل أصل فروع كثيرة فمنهما ما يؤخذ بالتعليم، ومنها ما يهبه الله عز وجل بالتوفيق.

وقال: فالأربعة علوم النبى ﷺ هى أصل كل علم، وبها قوام كل حال: معرفة التوحيد بأسماء الله تعالى، وصفاته المأثورة عن الله، وعن رسوله عليه السلام، ومعرفة شرع الدين من الفرض والحدود والأحكام من الكتاب، والسنة وما يلحق ذلك من الكتاب، والسنة تركها ظلاله.

وقال: ومعرفة علم الصدق فى الأخذ، والعطاء، والحركة، والسكون، والإخلاص فى العلم، والعمل، والسرِّ، والعلانية، ومعرفة علم الترهيب، والترغيب فى جميع الأحوال المتعلقة بالفرض الواجب.

وقال: واعلم أن لهذه الأصول فروع فى التبيين، واستنباط فى التأويل، ولا يجوز ذلك إلا لأهل العلم العارفين بالكتاب، والسنة المتبعين لدلالات علمهم بالتقوى، ومعرفة النظائر، والأمثال، والأشباه فى القصد، والأخذ بغير لين، والاعتدال، أولئك الذين أقامهم الله أدلاء لعباده فى كل زمن، وجلهم أثقل دينه فى كل أوان، جعلنا الله، وإياكم ممن خصه بالاتباع لهم، والاقتداء بأعمالهم، والاتسام[1] بأفعالهم إنه ولى ذلك، والقادر عليه، وصلى الله على محمد نبيه الكريم، وآله وسلم.

* * *

(١) أى الاتصاف بأفعالهم الحسنة النورانية.

الجزء الثالث

قال: إن الله سبحانه بمنه، وجوده، وكرمه، وفضله، وإحسانه خصَّ هذه الأمة بما سبق لهم عنده من الشرف، والكرامة، والقدم الصدق فى الحقيقة فبعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته، ويُزكيهم، ويُعلمهم الكتاب، والحكمة، ويُبين لهم دينهم، ورضى ربهم، ويُذكرهم آلاء الله، ويُحذرهم عذاب الله، ويُنذرهم بطشه، ويُبشرهم برحمته وسعة مغفرته، وما أعدَّ الله لمن أطاعه، ولمن عصاه من النعيم المقيم، والعذاب الأليم فى دوام الخلود، ويُخبرهم بما أصاب القرون الأولى بالتكذيب، ومن نجى منهم بالتصديق حتى أكمل الله عز وجل لنبيه محمد المعظم المكرم ﷺ دينه بفرائضه، وأحكامه، وحدوده، وحلاله، وحرامه، وترغيبه، وترهيبه، وآدابه، وأخلاقه، وسيره، وقصصه، واعتباره، وأمثاله، وتشديده، وتيسيره، ثم بين رسول الله ﷺ جمل الشريعة بالسنن الواضحة فى الواجبات، والنوافل، ثم مضى رسول الله ﷺ بسبيله محمودًا شاكرًا راضيًا زاكيًا، وتولى الله عز وجل إقامة الدين، وتوفيق المؤمنين فكان من ذلك ما أجمعوا عليه من إمامة الخلفاء الراشدين المهديين رحمة الله عليهم، ورضوانه عليهم أجمعين. فكانوا أفضل خلف، وخير سلف يُنذرون عن دين الله، وينيبون عن رسول الله، وينصحون المؤمنين، وينصحون من يأتى بعدهم من الباقين فلما مضوا لسبيلهم سالمين من الأحداث، والبدع طاهرين أعقبهم التابعون لهم بإحسان المذكرون قبل خلقهم فى محكم التنزيل فتباروا بهديهم وقَفُوا مناهجهم، وحذروا البدع الحادثة فى زمانهم، وتناصحوا فيما بينهم، وأنذروا المخالفين، ولم ينسوا المذنبين حتى مضوا لسبيلهم رحمة الله

عليهم فأعقبهم من وفقه الله لمناهجهم فسلكوا طريقهم، وبينوا ما دُرس من أعلام الدين، وما شبه به الزائغون، وتفننوا فى الحكمة، والفقه، وبيان الفروع من الأصول، والخصوص من العموم، والمقامات، والدرجات، والنقص، والزيادة، والعلل، والحجاج فلم يزل ذلك فى كل قرن، وزمان، والدين يزهو عند أهله، والحق يُبين مع أصحابه، غير أن أهله يقلون فى العدد، وأهل الشر يزيدون، وعلى العوام يدلسون حتى أفضى الأمر إلينا، وقد عفت آثاره، واندرست أعلامه، وقلَّ العلماء، وذهب العارفون، وعدم الموقنون وردت الفائدة على الناصحين، واستوحش الصادقون لقلة أهل الحق، وقلَّة أهل الصدق، وظهور المنكر، واستيلاء الغير، وخسف القلوب، وقلَّة الحياء من عمل الذنوب فنسأل الله الذى بفضله هدانا الخلاص من زماننا، وأهله، والبقاء على دينه، وشرع نبيه، ومحبة أصحابه المكرمين، وولاية جميع المؤمنين على نور هدى عباده المحسنين الذين يعملون بالحق، وبه يعدلون إنه وليٌّ قديرٌ.

وقال: أصول الإسلام فى الظاهر أربعة: اتباع الأمر، واجتناب النهى، وترك الاعتراض بالرأى على السنة، والأخذ بما اجتمع عليه الأمة.

وقال: أصول الإيمان فى الباطن أربعة: التصديق بوعد الله، ووعيده، وهو الصدق، وإفراد ما كان لله من فرض، وسنة، ونفل، وهو الإخلاص، والخوف من الله، والرجاء فى عفو الله، وأصول الإحسان أربعة: الصبر لله على أحكامه، والشكر لله على آلائه، ونعمه، والرضى عنه، والتوكل عليه، ولكل أصل من هذه الأصول فروع كثيرة فى البدايات، والنهايات ترجع إلى أربع فى كل أصل، من أحكم العمل بها

أشرف به العلم إلى غيرها، وهى مواريث اتباع الأصول الذى منه نطق الصاحب، والتابع مما روى عنهم من العلم، والحكمة، والآداب. فاتباع العلم يُورث مزيد العلم، والمعرفة بالله عز وجل، واليقين، والبصيرة فى دينه، وصحة العقل، وسعة العلم، واجتناب الإثم يُورث السلامة فى الدين، والصيانة فى العرض، والنبالة فى الناس، ومزيد الحياء، والتكرم، وترك الاعتراض على السنة يورث لزوم الاتباع، واجتناب الأهواء والاستواء، والرفعة، والمهابة، والعفة، والأخذ بالإجماع يورث الألفة، والإنصاف، والنصيحة، والرحمة، والصدق يُورث الأمانة، والهداية، والطاعة، والانقياد بالمودة، والإخلاص يُورث النور فى القلب، والحكمة على اللسان، وطهارة السرّ، وحفظ العلانية، والخوف يورث الجد، والاجتهاد، والحذر، والإشفاق، والرجا يورث السماحة، والمبادرة، والمسابقة، والمسارعة، والصبر يورث التجمل، والتحمل، والأناة، والتؤدة، والشكر يورث المحبة، والتواضع، والتعاطف، والتراحم، والرضى يورث الزهد، والأنس، والحياء، والمراقبة، والتوكل يورث حسن الظن بالله، ودوام قرع باب الله، والغنى بالله، والافتقار إلى الله، وما عند الله خير، وأبقى للذين آمنوا، وعلى ربهم يتوكلون.

وقال: المؤمنون يعملون باثنين لأجل اثنين يعملون بالأمر، والنهى للجنة، والنار، والمريدون يعملون بثلاث لثلاث: يعملون بالأمر، والنهى، والآداب للطهارة من الذنوب، والنجاة من العذاب، والفوز بالجنان.

والعلماء بالأمر، والنهى يعملون بأربع لأربع: بالأمر، والنهى، والآداب، والأخلاق للطهارة من الذنوب، والفوز بالجنان، والنجاة من العذاب، والنظر إلى العزيز الجبار.

والعارفون بالله يعملون بخمس لخمس: يعملون بالأمر، والنهى، والآداب، والأخلاق، والصدق فى الاتباع للطهارة من الذنوب، والفوز بالجنان، والنجاة من العذاب، والنظر إلى العزيز الجبار، والانبساط فى المقعد عند الكبير المتعال متى أرادوه لا يُحجبون؟.

والعالمون بالله يعملون بست لست: يعملون بالأمر، والنهى، والآداب، والأخلاق، والصدق، والسنة فى الاتباع على حسب ما أجراهم الله فيه للطهارة من الذنوب، والفوز بالجنان، والنجاة من العذاب، تعبدًا للحق، والنظر، والانبساط فى المقعد الصدق، والشفاعة لطلب المزيد له، ولمن أوذن له فيه.

وأما المتحققون بعلم حقيقة التوحيد فهم يعملون بسبع لسبع فى واحدة لواحدة: يعملون بالستة الأحوال تعبدًا لجلاله، وتعظيمًا لكبريائه، وعبودية لحقه، واستعبادًا لقدره، ولألوهيته وحده، ولربوبيته عزائمه، وتعالى ذكره.

وقال: لقد منَّ الله عز وجل على المؤمنين، ولقد أكرم الله العارفين، ولقد زاد فى الإحسان إلى الأولياء، والصديقين، وكان مما من الله به على هذه الأمة أن أكرمها نبيه المصطفى مختار سبق ذكره قبل كونه، وعرف ذكره بأخذ الميثاق له قبل من شاركه فى النبوة، والرسالة ثم فضله بأن جعله فاتحًا خاتمًا شافعًا مبعوثًا بالرحمة للبر والفاجر بشيرًا، ونذيرًا للناس كافة ﷺ، وطيب، وكرم ثم اشتق اسمه من اسمه، واختار له صحابة خلفاء بعده اشتق أسمائهم من عيونه، وجعل لكل واحد منهم فى الدين عقدة لا تزول إلا بزوال الدنيا، ولا تنحل إلا بذهاب الدار فالله سبحانه محمودٌ، ونبيه محمد ﷺ، وأبو بكر عبد الله ابن عثمان عين من عين، وعمر بن الخطاب عين من عين، وعثمان بن

عفان عين من عين، وعلى بن أبى طالب عين من عين ﴿**ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل**﴾ [الفتح:٢٩] الآية، فكما خصوا فى القديم بالذكر، والتسمية كذلك أكرموا بالإمامة، والتقدمة، وجعل لأبى بكر الصديق رضى الله عنه الفضل العظيم فى قيامه يوم الردّة، ولولا تأييد الله له، وبه لذهب الإسلام، وجعل لأبى حفصٍ رضى الله عنه حكمة فى الفىء، وجعل لأبى عمرو رضى الله عنه حِكمة فى الكتاب، وجعل لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه حكمة فى قتل الخوارج.

وقال: من لم يكن له هؤلاء الأربعة إمام فليس بمحبٍ لواحد منهم بأن رسول الله ﷺ هو القبة العُليا، وهؤلاء أعمدتها فمن طعن فى الأعمدة أسقط القُبة، ومن لم يُحبهم أبغضهم، ومن أبغضهم فقد أغاضوه، ومن أغاضوه[١] فهو كافر بكتب الله، وشهادته، وحجته، ونحن على ذلك من الشاهدين، والحمد لله رب العالمين.

وقال: من لم يكن له نور فى قلب محمد ﷺ فليس له قدم صدق عند ربه، لأن الله سبحانه جعل قلب محمد ﷺ معدن الأنوار فكل نبى، ورسول، وصاحب، وتابع أخذ نوره من قلب محمدٍ نبيه لأخذ الميثاق منه له قبل خلقه، وعرضه عليهم بعد خلقه فمن ثبتَ له الإيمان فى الأصل، وخلقه الله للسعادة، أخذ نور تصديقه من قلب نبيه ﷺ بقدر عقله الذى يحتمله فى إيمانه، ومن خلقه الله للشقاوة لم يجعل له نوراً فى قلب نبيه المكرم، ومن لم يجعل له نوراً فما له من نور فعلامة من جعل الله له النور التصديق برسول الله محمد ﷺ فى الأمم الخالية، وعلى هذه الأمة خاصة التزام العمل بشرعه، والتمسك بهديه، وموالاة صحابته، وأمهات المؤمنين أزواجه، والطاهرين من أهل بيته رضى الله

(١) أى طردوه وكرهوه [الصحاح: غض].

عنهم أجمعين، فمن اتبع هذا المنهاج فهو على نور من ربه، وواضح من سبيله، ومن كان عمله، وعقده بخلاف ذلك فقد ضلَّ عن الصراط لا نور له يبصر به قد اتبع نفسه، وهواه، وعدوه[(١)].

وقال: نور كل مؤمن بقدر طهارته، وطهارته بقدر سلامة قلبه، وسلامة قلبه بقدر تقويم عقله، وقوام عقله بتوفيق الله له، وهدايته لسبيله، ومزيد نور إيمان كل عبد بزيادة طاعته لربه، ونقصه بقدر معصيته.

وقال: خلق الله عز وجل نور محمد ﷺ قبل خلق السموات والأرض بألفى عام، وأقامه أمام العرش يُسبح الله، ويُقدسه.

وقال: ثم خلق نور محمد ﷺ فوق نور المرسلين، وخلق نور

(١) روح الإسلام النورانية: قال الشيخ صالح أحمد الشافعى أبو خليل فى كتابه «كشف الغطاء عن أهل البلاء»: إن دعوة النبى ﷺ لم تغز قلوب القرشيين المتحجرة بـ «النص» فقط، بل العامل الأكبر هو روح «النص» الذى يتمثل فى النور الذى كان يشع من قلب النبى ﷺ إلى قلوبهم فينفث قساوتها ويحيلها إلى قلوب حية واعية تلتقط أنوار الإسلام فيسكن فى المهج والسويداء، ويصبح الإنسان ملكًا فى صورة إنسان ﴿ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور﴾ [النور: ٤٠].

إن الصحابة بعد أن تذوقوا هذا النور الذى هداهم إلى الله تعالى كانوا يحرصون عليه حرصهم على حياتهم، فلا يقترفون المعاصى والمخالفات التى ألفوها من قبل، خوفًا من هروب هذا النور من قلوبهم، بل إنهم كانوا يفرحون بزيادته، ويحزنون من نقصانه.
فلقد أتى الصحابة رضوان الله عليهم إلى رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله، إنا إذا كنا معك رقَّتْ قلوبنا وأقبلنا على الآخرة، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا، فشممنا نساءنا وأولادنا!؟ فقال ﷺ: «لو تكونون على كل حال على الحال التى كنتم عليها عندى لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم فى بيوتكم».

فإذا خلا قلب من هذا النور كان صاحبه منافقًا، وإذا تناقص صار عاصيًا بمقدار هذا النقصان، وإذا زاد هذا النور وفاض كانت له ولاية من الله تعالى وعناية بقدر هذه الزيادة، حتى إذا امتلأ القلب بذلك النور، وفاض كان من الأولياء الكُمَّل المأذون لهم بالدعوة إلى الله تعالى على بصيرة الإيمان اهـ. انظر: كشف الغطاء (ص٣٦).

المرسلين فوق نور النبيين، وخلق نور الصديقين دون نور النبيين، وخلق نور العارفين دون نور الصديقين، وخلق نور المريدين دون نور العارفين، وخلق نور المؤمنين دون نور المريدين ثم فضل بعض المؤمنين فى النور على بعض، كما فضل بعض النبيين على بعض، وكذلك الصديقين، والعارفين، والمريدين، لأنه سبحانه فعال لما يريد(١).

وقال: العلماء بالله عز وجل يعرفون الناس بأنوارهم، وسائر الناس يعرفون الناس بأعمالهم فنور قلوب المريدين يظهر على وجوههم فمنهم من يعلو نوره صفرة، وهو نور الحجب، ومنهم من يعلو نوره بياض، وهو نور العرش، وباطن نورهم الحياء، والمراقبة، وظاهره الوقار،

(١) قال الشيخ صالح أبو خليل الشافعى: الصورة المحمدية الأزلية والنور الذاتى: من كتاب «الإنسان الكامل» للعلامة: عبد الكريم الجيلى: «إن الله تعالى خلق الصورة المحمدية من نور اسمه «البديع القادر» وقد ورد فى عدد من الأحاديث: أن رسول الله ﷺ قد خُلق من نور، وأن الذى خلق ذلك النور هو رب العزة جل وعلا: وبناءً على ذلك فإن بعض المحبين للرسول ﷺ يردد هذه العبارة: «يا نورًا من نور الله».

والواقع أن ذلك تعبير عن حبهم، وامتداحهم للحبيب ﷺ ولا بأس فيه ولا نكران، فنحن مأمورون بحبه والاقتداء به ﷺ.

ومن بواعث الإمداد والإمداد بالنور، فإننا نجد فى نفس المراجع صيغة للصلاة على الحبيب ﷺ، وهى تحتاج إلى توضيح مع أنها حجرية فى تقوية البصر عند ترددها بكثرة، وقد تُقوى من شحنات النور إلى القلب، فتقوى البصيرة أيضًا لدى العشاق والسالكين طريق النبى ﷺ على يد عارف بالله سبحانه وتعالى يكون من المنفوحين من النبى ﷺ وقد ينعم الله عليه برؤيته ﷺ يقظة ومنامًا، وقد أكرمه ربه بسجود قلبه دائمًا لمولاه، فما فى قلبه إلا الله والانصراف عما سواه، وهذه الصيغة هى: اللهم صلِّ على سيدنا محمد النور الذاتى والسر السارى فى جميع الأسماء والصفات، وموقف علماء أهل السنة والجماعة من تلك الصيغة: إن هؤلاء العلماء يقولون: إن أسماء الله تعالى على قسمين: أسماء وصفات، وأن الله جلت قدرته، قد تجلى على نبينا سيدنا محمد ﷺ بأسماء الذات، وتجلى على بقية الأنبياء بأسماء الصفات.

ولذا يقال: إن نوره ﷺ «ذاتى» أى أن الله سبحانه قد أفاض عليه بمعرفة أسماء الله الذاتية أى التى تتعلق بالذات، وأن الله سبحانه قد تجلى على الأنبياء السابقين بمعرفة أسماء الله الصفاتية. والله أعلم. انظر: كشف الغطاء عن أهل البلاء (ص٦٩، ٧٢).

وحسن السمت، ونور قلوب العارفين يظهر فى أعمالهم ظاهرًا، وباطنًا، فظاهره الجد، والاجتهاد، وباطنه وجود الوحشة من الأضداد، والغيرة بما وجد على الأصحاب، ونور قلوب العلماء بالله، وبأمره، وبأيامه يظهر فى نطقهم ظاهرًا، وباطنًا، فظاهره العبادة بالعلم، وباطنه الإشارة فى المكان بالإرشاد، والدِّلالة فمن لم يكن له قسم فى هذه الأنوار، فبابه عن الحقيقة مغلق، وقلبه عن الخصوصية مقفل إما حجاب لوقت، وإما علة مقيمة.

وقال: لما كان نور الحقيقة فى الناس عمومًا شهد بعضهم نور بعض بالمعرفة فسلموا بالعلم، واليقين فلما صار نور الحقيقة خصوصًا فى الناس أنكره الهموم بجهلهم بحالة الخصوص فيلى بعضهم ببعض، ووقعت المحنة بالجميع، فمتى فقد النور من الخصوص عظمت الفتنة، وزاد الاختبار، واشتدت البلية فلا راحة يومئذ لتارك، ولا مزيد لطالب، ولا فائدة لمريد إلا فى الصمت عنهم، والهرب منهم.

وقال: الإيمان أصل فى العلم له شعب تدور على أربع: فرض، وسنة، وترغيب، وترهيب، وقوام هذه الأربعة بأربع: العقل، والفهم، والفطنة، والذهن، وقوام هذه الأربعة بأربع: الإخلاص، والصدق، والشكر، والصبر، واليقين أصل فى الخصوص له شعب تدور على أربع كلها فرض فى الجملة على العموم، وهى: درجة، ومقام فى الحقيقة للخصوص الثقة بالله، والرضى عن الله، والتوكل على الله، والمحبة لله، وقوام هذه الأربعة بأربع: الورع عن الشبهات، والزهد فى المباحات، والإيثار بالجهد، والتعلق بأزمة الفقر، وقوام هذه الأربعة بأربع: النصيحة لله، والإنصاف لعباد الله، وبثٍّ الدعوة إلى الله، والغنى بالله.

وقال: الناس فى طبقات العلم منزلين على قدر عقولهم، وفهمهم،

وفطنتهم، وذكاء أذهانهم، غرائز ألبابهم، وشهوات نفوسهم، وخفة [أرواحهم]، ومحمل ذلك على أهوائهم بحسب الأقسام الجارية لهم، والأعمال المكتوبة عليهم غير أن أسعدهم به من أراد به وجه الله، وأحيى دينه، ونجاة عباده على الإشفاق فيه، والخوف من إقامة الحجة بعد الجهد فى العمل به، ومنهم من يكون حظه من العلم طلبه برعاية حقه، ومنهم من يكون حظه من العلم طلبه، وجمعه، ورعاية حقه، ومنهم من يكون حظه من العلم طلبه، وجمعه، وحفظه برعاية حقه، ومنهم من يكون حظه من العلم طلبه، وجمعه، وحفظه، ومعرفة المعنى فيه برعاية حقه، ومنهم من يكون حظه من العلم طلبه، وجمعه، وحفظه، ومعرفة المعنى فيه، واستنباطه، ونشره، وبذله برعاية حقه، ومنهم من يكون حظه من العلم طلبه، وجمعه، وحفظه، ومعرفة المعنى فيه، واستنباطه، وبذله، ونشره بوجود بصيرة التمييز لأهله فيعطى كلاً من العلم بقدر عقله، وموضع فهمه، ومبلغ فطنته، ولبه، وكل هؤلاء العلماء ففى حقيقة من درجات العلم ما لم يميلوا إلى الدنيا، ويفتنهم ثناء الناس عليهم، ويُحبوا أن يُعرف لهم قدرهم، ويخضع لهم لأجل فضلهم فإن ذلك مما يُبطل عليهم أجرهم، ويعمى عيون قلوبهم وأبصار عقولهم، غير أن بعضهم أفضل من بعض بمزيد مواهب الحق لهم، وقد خاب، وخسر من ضلَّ عن مزيد العلم، وإن كان عالمًا، وهلك، وفتن من زهد فى لقاء العلماء، وإن كان فقيهًا عالمًا.

وقال: ويل لأبناء الدنيا من العلماء السوء الذين يرخصون لهم فى المعضلات، ولا يزجرونهم عن المحرمات، وويل لأبناء الآخرة من النساك الجهال الذين لا ينصحون لهم فى دينهم، ولا يرشدونهم إلى ما هو أعلى، وأشرف، وأفضل فى أعمالهم، أولئك خونة الله فى عباده، فتنة

لكل مفتون مضلون لكل مغرور، بلية على الأغنياء، محنة على الفقراء، قطاع طريق أهل الإنابة، صادون عن الحق لأهل الإرادة.

وقال: إذا رأيت الرجل يأخذ من الدنيا كل ما اشتهى، ويترك من الدين كل ما ثقل عليه، فاهرب منه، فإنه محروم، وإذا رأيته يأخذ من الدين كل ما يشق عليه حمله، ويقنع من الدنيا بما دنا منها، ولا يرضى من الدين إلا بأعلاه، وأفضله فاقرب منه فإنه مرحومٌ.

وقال: أربع ليس منهن خلف: الإيمان، والعقل، والعمر، والأخ فى الله عز وجل، وأربع عزائز فى الناس الإيثار من قبله، والانتصار فى الغيبة، والصدق فى المواعيد، والوفاء بعد الموت.

وقال: الإخوان أربعة: أخ كالغذاء، وأخ كالدواء، وأخ كالدفلاء، وأخ كالداء، فالأول معدوم، والثانى مفقود، والثالث موجود، والرابع مشهود. فعلامة الأول: الابتدال بالابتداء، وعلامة الثانى الاقتصاد بالاحتذاء، وعلامة الثالث التقرب فى محبوبه، والتباعد عند مخالفته، وعلامة الرابع انتظار السقطات، والتقاط الزلات.

وقال: هلك فى هذا الزمان من عرفه الناس بالعلم، والخير، ولم يعرفهم بالبصيرة، والفراسة، وسلم من الناس من لم يعرفهم، ولم يعرفوه، وأربح الناس من عرفهم، ولم يعرفوه.

وقال: إذا فخر العلماء، وفسق القراء، وسفك السلطان الدماء، وأخذ على الحُكم والحاجة الرشاء(١)، وافتخرت العامة بكسب الحرام، ولم يغير الخاصة منكرًا فهناك وجب الفرار، ووسع المريد الصمت، وكان الموت تحفة لكل مؤمن.

---

(١) أى الرشوة، وقد لُعن الراشى والمرتشى.

وقال: فساق هذا الزمان أكثر مروءة فى الدين من قرائهم، وعوامهم أقوى إيمانًا من علمائهم، وجهالهم أكثر تصديقًا بالقدرة من أهل القدوة بهم، وما ذاك إلا عقوبة نزلت بالقوم، فإن اعتبروا، وأنابوا، وإلا زيدت الفتنة عليهم من تسليط سلطان السماء، وسلطان الأرض فى الدين، والدنيا فنسأل الله السلامة من بلاء فى مزيد بلا إقلاع، ولا توبة.

وقال: من لم يرث من إيمانه صبرًا، ولا من عمله شكرًا، ولا من معرفته خوفًا ولا من يقينه رجاءً مع طول أيامه، واقتراب أجله، كيف يفلح بعد الأربعين؟ كيف ينجو بعد الستين؟ أو لم يعمركم ما يتذكر فيه من تذكر، وجاءكم النذير.

وقال: من لم يورثه عمله خوفًا من الله تعالى يطرد به خوف عباده، وورعًا يحميه من شبهاته، كيف يكون صادقًا؟ ومن لم يورثه عمله رجاء يزهد به فى دنياه، وشكرًا يؤثر له، وبه، كيف يكون عالمًا؟ فإن لأهل العلم فى الأخذ، والعطاء معتبرًا لمن عقل، وإن لأهل المعرفة فى المطعم، والمشرب لزاجر لمن فهم.

وقال: الناس فى البداية يهربون من الدنيا، والدنيا تطلبهم فى النهاية، وهم يطلبون الجوع فى البداية، والشبع يطلبهم فى النهاية أكثره بلاء، واختبار، وأقله موافقة للجبار.

وقال: الناس فى أخذ المطعم على أربع طبقات: فأكل الجاهل بالغفلة، وأكل المريدين بالمحاسبة، وأكل العارفين باليقظة، وأكل العلماء بالموافقة، وهم فى الملبس على أربع: فالجاهل يلبس للتفاخر، والزينة، والعالم يلبس لستر الحال، والقدرة، والعارف يلبس زهدًا فى الدنيا، والمريد يلبس ذلاً للنفس.

وقال: قطع بالعلماء حب الحظوة للمنافسة، وقطع بالعمال الطمع لما

فى أيدى الناس فإذا اجتمع فى العامل، والناسك فقد هلك، وهلك الناس على يديه لاقتدائهم به.

وقال: لا دين إلا بعلم، ولا مقام إلا بعقل، ولا درجة إلا بورع، ولا رتبة إلا بزهد، وليس فى الزهد أقرب طريق من قصر الأمل.

وقال: من لم تسارع به الرغبة، ولم تزجره الرهبة زهد فيما رغب فيه، ورغب فيما زهد فيه، وكان ارتداده عن طريقته سببًا لعمى قلبه، وصدًا لأبناء جنسه.

وقال: إذا أردت أن تعرف عقل المبتدئ فانظر كيف حذره، وخوفه، وورعه، وقناعته وترك ما لا يعنيه، وإن أردت أن تعلم علم المتناهى، فانظر كيف ظنه بربه، ورجاؤه فيه، ونصيحته للخلق، ورحمته لهم، وغناه بالله عز وجل، أفسد العلماء الجهال حين نسوا نعمة الله عليهم فى العلم، وأفسد الأغنياء الفقراء حين غفلوا عن شكر الله فيما أولاهُم.

وقال: آفة العلماء نظرهم إلى أنفسهم، وآفة الأغنياء نظرهم إلى ما بين أيديهم، وآفة الفقراء نظرهم إلى ما بيد غيرهم، وآفة المريدين نظرهم إلى أعمالهم، ولو نظروا إلى فضل الله تعالى، ومنته، وجوده، وكرمه، وإحسانه إليهم، وعطفه عليهم لافتقروا إليه فى نفس غنائهم، فخضعوا، وذلوا، وتواضعوا، وأشفقوا خوف السلب فى نهاية علمهم، وغاية جهدهم، واجتهادهم، وهذا العلم خصوص للخاصة لا يجد طعم حقيقته إلا عالم عارف بصير موفق.

وقال: إذا كانت بداية الحدث النظر إلى نفسه، والزهو على شيخه، كيف يفلح؟ لا أو يزيد به البلاء حتى يعنفه، أو يعجزه، ويزدرى به، ويحتقره فهناك عمى القلب، وانطماس الفهم، واختبال العقل، فلو أنزل إليه ملك من السماء يخبره عن ربه أن الحق فى خلاف، ما هو فيه ما

نزع عنه.

وقال: إذا رأيت المبتدئ قد لبس ثوب المهنة، وارتدى بالتواضع، فاعلم أنه مصطنع، وعلامة ذلك مزيد عقله بزيادة علمه، ومزيد خشيته بمزيد معرفته، فزيادة سلامته بزيادة يقينه.

وقال: سلك الله عز وجل بنبيه محمد ﷺ كل درجة، ومقام، ورتبة، وحال فى الضيق، والسعة ليكون للخاصة، والعامة إمامًا وعلمًا، وأُسوة، وقدوة فى الرخصة، والشدة، وكذلك فرَّق رسول الله بين أحوال أصحابه رضى الله عنهم فى الفضل، والخصوصية فى الدرجات، والمقامات، والهمم، والمقاصد، والأخذ، والترك، والإيثار، والادخار ليكونوا بعده أئمة، وقدوة لأهل البداية، والنهاية، والخصوص، والعموم، ولا يعرف ذلك إلا بالطلب، والبحث، ولقاء العلماء النصحاء الصادقين الرحماء.

وقال: الصبر مقرون بالتقوى، والتقوى مقرون بالمخرج، والمخرج مقرون بالرضى، والرضى مقرونٌ بالتوكل، والتوكل مقرونٌ بالكفاية، ولا ينال الصبر إلا بالمجاهدة، ولا ينال التقوى إلا بالمكابدة، وأما الرضى، والتوكل بالحقيقة فهما مدخولان على العبد خصوصية من الحق بغير تكلف.

وقال: من ظن أنه يجد روح الاستعانة بالله عز وجل قبل خروج اليقين من الحول، والقوة، وردِّ المشيئة بالتفويض فى أوائل الأمور، وأواخرها إلى الله عز وجل قطع به دونها، ولم يلحقه استعانة الرضى، فإن تم له ما يريد فإنما ناله بفضل الله، وتوفيق الأقسام الجارية من الحق، ومن طمع فى وجود الوقوف مع الهموم قبل المحاسبة، والرعاية، والعناية فهو متمنٍ غير واجد للحقيقة فى بصيرة فى دينه، فإن

وجد من ذلك حالاً فإنما هو لحظة، ودنياه لا لآخرته، ولا لخالص عبوديته.

وقال: كم تاركٌ للدنيا ببدنه، وهو راغبٌ فيها بقلبه، وكم راغب فيها ببدنه، وهو تاركٌ لها بقلبه، وكم من عالم فى الناس منسوب إلى العقلاء، وهو جاهل فى فعله معدود فى الحمقاء بعمله، وكم من جاهل عند الناس أحمق فى فعله، وهو عالم عند الله، يفهمه عاقل عنده فى فهمه علمه غنى الظاهر فقير الباطن، وفقير الظاهر غنى الباطن، وقد يكون غنى غنى، وفقير فقير كعالم عالم، وجاهل جاهل، وعاقل عاقل، وأحمق أحمق، خاصة عند الله عز وجل من الناس أهل الإيمان، وخاصة أهل الإيمان العلماء، وخاصة العلماء العارفون، وخاصة أهل المعرفة العقلاء، وهم العلماء بالله، العالمين بأمره، ونهيه، وإن قلت روايتهم، وقل فى العلم نطقهم، وحمل فى الناس ذكرهم، فبالإيمان تنال النجاة من النار، وبالعلم تنال الدرجة فى الجنان، وبالمعرفة يقرنون فى المقعد، وبالعقل يفهمون عن الله الإشارة، ويؤذن لهم فى الشفاعة.

وقال: لقد خص الله عز وجل العلماء بفضيلة لا يشركهم فيها غيرهم، أن الله يُعبد بفتياهم، ويعرف حلاله، وحرامه بهم غير أنهم مطالبون بشكر النعمة مدفوعون لوجود كل فتنة، ومحنة حادثة، وبدعة، ولقد خصَّ الله عز وجل أهل النسك من العلماء العارفين بفضيلة لم يشركهم فيها غيرهم، وهب لهم الخلوة به، والمناجاة له، والإقبال عليه، والتعلق به، والفقر إليه، والغنى به، وراحة القلب، والبدن، وأنزل بدعائهم الغيث، وصرف بهم المكاره، وعافاهم من ظلم جبابرة الأرض، وسلمهم من مطالبة الخلق يوم القيامة، وكل الخلق موقوفون

بين الجنة، والنار يسألون ما أرادوا، ومن أين قالوا؟ ولأىّ شىء جمعوا؟ وفى أى شىء أنفقوا؟.

وقال: من جهل العالم، وحماقة الناسك بزمانه، وأهله كثرة كلامهم معه، وأنسه بهم، وطلب الدنيا منهم، ومن معرفة العالم، وعقل الناسك معرفته بوقته، واستحاشه من أهل زمانه، وقطع طمعه مما فى أيديهم.

وقال: لما نفر الأحمق قبل المعرفة ازداد جهله، فلما لم يرفع به رأسًا طلب العلم للناس كى يرتفع قدره، فلما لم يرتفع به رأسًا أخذ فى الأحداث والبدع حتى قيل: قال فلان، فويل له من يوم تُبلى فيه السرائر يوم تجازى فيه كل نفس بما عملت.

وقال: تقارب الناس لتقارب عقولهم فلا طالب راغب فى النجاة، ولا عالم زاهد فى الدنيا، ولا قارئ مفارق لدواة، ولا مريد قاصد إلى مولاه قد نزع من الأحداث أثواب الحيا، وكسى الشيوخ أردية العمى المسالم لهم مأكول لحمه، والمحارب لهم مسلوب دينه، والمداهن لهم لا عيش له، ولا دين.

وقال: من رأى نفسه فى معنى من القوة تناول العجز بمدلهمات الجهل، ومن شهد الضعف، والتقصير فى حق الله عز وجل جنى ثمار التأييد من شجر المواهب.

وقال: علامة من عرف نفسه بالضعف إسقاط اللوم عن الخلق لحظة، وشدة قيامه فى حق الله عز وجل، وعلامة من ادعى القوة التريض فيما كان لله، وهيجان الغضب فيما كان لنفسه.

وقال: من عرف ربه أطاعه، ومن عرف جهل نفسه، لم يأتمنها على

شىء من أخلاق عقله.

وقال: عظم جهل من علم علمًا يبتغى به الآخرة فلم يعمل به، وهو جاهد فى الزيادة منه للدنيا، وجلت مصيبة من كثر تطوعه، وهو مضيع لفرضه من العلم الذى لا قوام للعمل إلا بعلمه.

وقال: كم من حامل علم محجوب العقل عن فهمه حظه من علمه حمله، وكم من عامل بغير أصل، ومعرفة حظه من عمله كدحه، وتعبه.

وقال: إنما سعد بالعلم، والعمل أهل الصدق فى الاتباع على رؤية التقصير فى الجدّ، والاجتهاد.

وقال: من كان همه، وكدّه، وشدته التعلق بالفروع ضلّ عن فهم معانى الأصول وحجب قلبه عن وجود العلم النافع الذى ينال به الوصول، ومن كان همه، وكده، وشدته التعلق بالأصول كوشف بمعرفة الغرائب من العلوم، وفقه فى الفروع.

وقال: لما طبعت النفس على الجهل صارت الأنفس ممزوجة بالبلاء، والابتلاء اختبارًا، وامتحانًا فى العلم، والجهل، والغنى والفقر، والطاعة، والمعصية فمرحوم بالتأييد محفوظ من العدو، ومتروك مخذول أسير بيد عدوه.

وقال: خلقت الدنيا على الاختبار لأهلها وتعلّق الخلق بها على الجهل بآفاتها فعاشوا فيها حيارى، وخرجوا منها سُكارى، وقدموا على الله مفاليس من البر إلا من أحياه الله بالعلم، والإيمان، وآواه إلى درجة المعرفة بالإحسان.

وقال: من لم يسكن نور الإيمان، والعلم، والمعرفة فى قلبه، ولم

يعتبر بغيره خيف عليه فى آخرته، ومن لم يعتبر فى غيره لم يحفظه الحق من أربع خسر عمره، وخيف عليه فى آخرته من نفسه، وهواه، وعدوه، ودنياه.

وقال: من أدب أبناء الدنيا فى ابتغاء الألفة لإخوانهم الكف عما لا يمكن ذكره، ومن أدب أبناء الآخرة فى ابتغاء الموافقة لربهم البذل لكل ما أمكن فعله.

وقال: حرامٌ محرمٌ على حمله حجة الحق، وإثقال أهبة الذين إن بذلوا لطمع دنيا بدين، أو يهابوا غير ربهم، أو يكتموا النصيحة لأجل مخلوق، أو يوالوا فى الله من كذب بقدرة، أو تعادوا فى الله من صدق بقدرته.

وقال: من لم يتب من غضبه لنفسه على من نصحه فى دينه عوقب بثلاث، وفى واحدة منهن هلاكه: مقته للناصح، وإعراضه عن النصيحة، وتقديم محبة الإثم على البرِّ، والشر على الخير، والنقص على الزيادة.

وقال: كما أن من عقل عن أخذ دوائه حتى استحكمت علته، كاد ألا يبرأ داؤه، كذلك من أخَّر التوبة حتى ينزل به الموت، وقد أحاطت به خطيئته.

وقال: أعقل الناس من ترك ما يضره لما ينفعه، وأعقل أولئك، وأعرفهم بنفسه، وأعلمهم بدينه من حفظ لسانه، وضبط بطنه، وأعقل أولئك، وأعرفهم بنفسه، وأعلمهم بدينه من عرف زمانه، وبادر أيامه، وسلم الناس من شره، وأعقل أولئك، وأعرفهم بنفسه، وأعلمهم بدينه من ترك الجهل للعلم، والخطأ للصواب، والشك لليقين، والدنيا للآخرة.

وقال: ليس للعالم الصادق راحة مع الطالب الفاجر، ولا للعارف الموقن فائدة مع العالم الجاهل، وذلك أن الفاجر يقول فى عام العلم، ومن لا يعرف هذا، وهو قد انسلخ من علم معناه، وما يُراد به، وكيف السلامة فيه، وما يلحقه من الآفات؟ والعالم الجاهل يقول فى خاص العلم ما أدرى هذا إن سلم من الكفر به، فالأول مُدّعيًا، والثانى منكرًا، وعقوبة الأول التعاطى بالإعجاب، وعقوبة الثانى الرمز[1]، والتخطى.

وقال: ويلٌ لأهل الجحد للعلم، والإنكار للقدرة، ماذا يلقون غدًا من التوابيخ؟ وويلٌ لهم المساكين، ماذا يُحرمون من الدرجات؟

وقال: لما جفوت مُنعت، ولما أعرضت طُردت، لو كان لك مقدار فى العلاء تذللت، وتواضعت للعارفين العلماء، وقبلت نصائح الأبرار العقلاء، والله أعلم.

وقال: عوقبت بالجفاء، والتغير حين أعرضت عن عيون الحق، ومنعت الحياء حين اتبعت الهوى، وعدل بك عن طريق السعادة حين أصررت على أعمال أهل الشقاوة.

وقال: من ظن أنه بعمله يصل قطع به، ومن توهم أنه بعلمه ينجو هلك، لأن العمل، والعلم موهبة، ومنّة فإذا أخذ الواهب عطاءه فما يبقى للعبد عند مولاه إلا أن يعترف بعجزه، وتقصيره، فيقول: لا نجاة لى من عذابك إلا بعفوك، ولا فوز لى بجوارك إلا برحمتك.

وقال: أصول كل مقام، ودرجة، وحال، ورتبة فى البداية، والنهاية، والحقيقة، والحق الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة، ووجود العلم النافع بثلاث: العقل، والفهم، والفطنة ، واكتساب العلم النافع بثلاث:

(١) أى الإشارة بالابتلاء [صحاح: رمز].

الخشية لله، والورع فى دين الله، والزهد فى الدنيا.

وقال: وأصول العمل بالعلم النافع ثلاث: الصدق، والصبر، والإخلاص، وصلاح العمل بالعلم النافع ثلاث: الاقتداء، والاتباع، وأخذ الحلال، وصفاء العمل بالعلم النافع ثلاث وبه يستوجب الزيادة: معرفة المنة بالقلب، وشكر النعمة بالبدن، وردُّ الحول، والقوة فيه إلى الله بشهود التقصير بعد بذل الحمد لله عز وجل.

وقال: لا يزكو علم، ولا يطيب عمل إلا بخمس: أن يكون أصله إخلاصًا فى التوحيد، وفرعه اتباعًا فى سنة، وباطنه شهود التقصير، وظاهره القصد، والتؤدة، نهضت به جوارح طاهرة من الإثم بقوة مكتسبة من حلال[١].

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم ـ السلف الصالح ـ اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكان من الأصول والمتفق عليها، أن الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يُقبل من أحد قط أن يعارض القرآن. لا برأيه ولا بذوقه، ولا بعقله ولا قياسه، ولا وَجْده، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول ﷺ جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدى للتى هى أقوم: فيه نبأ من قبلهم، وخبر ما بعدهم، وحُكم ما بينهم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذى لا تزيغ به الأهواء. ولا تلتبس به الألسن. فلا يستطيع أن يزيغه إلى هواه، ولا يحرف به لسانه، ولا يخلق على كثرة الترداد.. فإن رُدِّدَ مرة بعد مرة لم يخلق ولم يمل كغيره من الكلام، ولا تنقضى عجائبه، ولا تشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعى إليه هُدِى إلى صراطٍ مستقيم.

فكان القرآن هو الإمام الذى يُقتدى به، ولهذا لا يوجد فى كلام أحدٍ من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأى وقياس، ولا بذوق ووجدٍ ومكاشفة، ولا قال قط قد تعارض فى هذا العقل والنقل، فضلاً عن أن يقول: فيجب تقديم العقل، والنقل، يعنى القرآن والحديث وأقوال الصحابة والتابعين ـ إما أن يفوض وإما أن يؤول ولا فيهم من يقول: إن له ذوقًا أو وجدًا أو مخاطبة أو مكاشفة تخالف القرآن والحديث، فضلاً عن أن يدعى أحدهم أنه يأخذ من حيث الملك الذى يأتى الرسول، وأنه يأخذ من ذلك المعدن علم التوحيد. والأنبياء كلهم يأخذون عن مشكاته، انظر: الفرقان بين الحق والباطل (ص٣٥).

وقال: ذهب أهل الفطنة، والفهم إلى العلم، وذهب أهل الهمم، والمسارعة إلى العمل، وإنما بقى مع الناس التصديق، والنية، والمحبة، وحق على الله عز وجل لمن اتبع صدقه القيام بأمره واتبع نيته، ومحبته النصرة، وكفٍّ الأذى إلى أن يلحق بالأولين، ويضع عنه ما قصر من حقه.

وقال: كان الناس يحفظون بالعلماء العارفين العمال الصادقين، فذهب زمان العلماء، ثم حفظوا فى العارفين، ثم ذهب العارفون، وحفظوا فى العاملين، ثم ذهب العاملون، وبقى زمان الصدِّيقين، ثم يأتى بعده زمان الإنكار على أهل الحق، ثم زمان يُقتلون فيه على الحق، ثم زمان لا يعرف فيه إلا الباطل، وهو زمان الأشرار الذى تقوم عليهم الساعة.

وقال: إذا أنعم الله عز وجل على عبد بثلاث فما يبالى ما فاته من الدنيا، صحة الإسلام، وصحة الأجسام، وصحة العقل المتبع لدلالات الرشد، وإذا أعطى العبد ثلاثًا بعد ما فقد أجزل له صلاح فى القلب، وسلامة فى الصدر، وعفاف فى الدين، وإذا أعطى بعدها ثلاثًا فقد جمع له خير الدارين معرفة بنفسه، وسعة فى خلقه، ورضا عن ربه.

وقال: لما أطاعوه فتح لهم الدنيا، فلما أرادوه منعهم منها، فلما أحبوه سترهم عن الخلق، فلما آثروه حجبهم عن رؤية فعلهم، فلما افتقروا إليه أغناهم، فلما أغناهم فتق غواشى أفهام فطن عقولهم بعد أن طهر أسرارهم فصارت هناك علومهم من كتابه غيبية، وآدابهم حجبية، وشواهد أحوالهم لَدُنِّية، هم الذين إن نطقوا فعنه، وإن صمتوا فبه، كذا من تولاه الحق بترك مراعات الخلق.

وقال: زهد الناس فى طلب علم الأمر، والنهى، وذلك لجهلهم

بالواجب لله عليهم فعوقبوا بطلب الدنيا من غير وجهها، وإقامة الفروض بغير حقها، ورغب العلماء بالأمر، والنهى فيه لكشفه لهم لإقامة الحجة به عليهم، وزهد العلماء بالأمر، والنهى فى معرفة علم اليقين لأنه مغطى لا يجده إلا مخصوص من الأولياء.

وقال: أفضل الناس أطوعهم لله عز وجل يعلم الأمر، والنهى على الصدق والإخلاص، وأعلاهم درجة أهل اليقين بالخوف، والرجاء، وأشرفهم مقامًا أهل المعرفة بالصبر، والشكر، وأقربهم رتبة أهل العلم بالله، والمعرفة به، واليقين فى ذاته، والاتباع لأمره، ونهيه بشرط علم كل مقام، ودرجة على الإنصاف للحق، وبذل النصيحة فى الخلق، وهؤلاء الذين ضلَّت مقاليد إبليس عندهم، وهزم خيله، ورَجِله قبل قتالهم، ومن سواهم إشراك للعدو، وخدام للأنفس، وكلاء للهوى، وإن كانوا فى مدارسة الكتب، ومذاكرة الحلال، والحرام، ومباشرة الجِدّ، والاجتهاد.

وقال: مقام الخاصة لله عز وجل فى العبودية على باطن تعبد لله لإيجاب حقه عليهم، وظاهره عبادة الله الواجب عليهم، ومقام العامة فى التعبد على باطن لإيجاب ما عنده، وظاهره للزيادة من فضله، فالأول: مريدٌ سالم، والثانى: مريد مبتلى معرض لسهام العدو، والنفس، والهوى.

وقال: إخلاص الباطن بموافقة الظاهر فى الفرض، والنفل فرض على العامة، والعمل بواجب الحق لله عز وجل فرض على الخاصة.

وقال: هم يجلونه إن يدعوا فضلاً هو له، وهم يعظمونه إن يريدوا معه شيئًا سواه هذا حق الربوبية على العبيد فى العبودية.

وقال: أول الطريق إلى الله عز وجل التصديق فى الإيمان،

والإخلاص فى الأعمال طلب العلم بالأدب ثم التدبر للعلم، ثم التفهم للعلم، ثم البحث على الصحة فى العلم، والعمل ثم الدعوة إليه، ثم النصيحة له، ثم الصبر عليه.

وقال: إنما هو تعلم ثم تدبر، ثم تفهم، ثم تفكر، ثم اعتبار، ثم فطنة، ثم تذكر، ثم يقين ثم خوف، ثم رجاء، ثم صبر، ثم شكر، ثم حياء، ثم حب، ثم شوق، ثم رضاء، ثم توكل، ثم إعظام، ثم إجلال، ثم هيبة، ثم فناء، ثم بقاء، ثم وجود، ثم شهود، ثم حضور، ثم غيبة، ثم مناجاة، ثم حنين، ثم ارتياح، ثم سلو، ثم فقد، ثم صحو، ثم ظهور، ثم ظفور، ثم إيثار، فمبرز لأهل السماء، ومبرز لأهل السماء، والأرض، ومبرز للخصوص، ومبرز للخصوص، والعموم، وهم أهل الحجة.

وقال: تذكر بيقظة خير من عمل بغفلة، وتفهم بفطنة أعلى من تذكر بيقظة، ومعرفة بيقين أشرف من تفهم بفطنة، وعلم بتوحيد أجل من معرفة بيقين، وعمل للتعبد أرفع من عبادة للخصوص، ومستعمل للعبودية أسنى من عمل للتعبد.

وقال: من رأى نفسه فى العلم حجب عن وجود المعرفة بالحقيقة فى العلم، ومن رأى نفسه فى العمل حجب عن وجود الحقيقة فى الأدب، وعقوبة الأول سكونه إلى الدعاوى، وعقوبة الثانى العُجب.

وقال: إذا لم يكن المعلم تحت المتعلم فى التواضع له قل نفع الناس به، وإذا لم يكن التعلم أرضى للمعلم قل نفعه بما يعلم.

وقال: عقوبة المعلم فى التأديب من الله عز وجل أشدّ من عقوبة الجاهل فى المعصية، فإن تاب انجلت العقوبة، وإن دام البلاء تضاعفت

العقوبة، وإن لم ينتبه اتصلت النقمة باتصال ميدان الحسرة على الإقرار بالمعرفة.

وقال: أبناء الإرادة فى البعض يحبون استعجال النعم فى الدنيا، وأهل المعرفة يحبون تأخيرها للآخرة، وأهل العلم بالله، وبأمره، وأيامه لا يُحبون إلا ما أحبه الله رضى، وموافقه لله، ورسوله.

وقال: من تهاون بحرمات الله، وإقامة فرضه سلط الله عليه من يضيع فيه حقه، وحدوده، ومن خالف الله عز وجل فى طاعة رسوله عليه السلام خذل عن النصر بالدِّين، والانتصار لله، ولرسوله، وللمؤمنين.

وقال: أصبح الناس سُكارى من حب دنياهم لإيثارهم لها على آخرتهم، وأمسوا حيارى فى دينهم لفقد الأدلاء الصادقين الناصحين لربهم.

وقال: أكرم الله عز وجل أهل التصديق بالقدرة بمكاشفة القدرة، إما بعيان يزداد به يقينهم، وإما برؤية منام يتزيد به إيمانهم.

وقال: كان الناس فى مكاشفة القدرة عمومًا فلما تغيرت أسباب الدين فى الاتباع حجبت عنها العموم، وظهرت للخصوص فلما وقع التكذيب بها منع منها الخصوص فى اليقظة إلا ما شاء الله، فإذا عم التكذيب رفعت، فطوبى للمصدقين بها فى ذلك الزمان.

وقال: درجات فناء أهل البقاء من العارفين على قدر مقاماتهم فى وجود البقاء، ومقامات أهل البقاء فى البقاء على قدر مقاماتهم فى وجود البقاء فمن أهل الفناء من يفنى مما حرم عليه ببقاء ما أحل الله له، ومنهم من يفنى مما أحل له ببقاء رؤية، ترك ما أُبيح له، ومنهم من يفنى من رؤية ما أبيح له لبقاء رؤيته الملك ببقاء رؤية الآخرة، ومنهم من يفنى من

رؤية الآخرة ببقاء رؤية الله عز وجل، ومنهم من يفنى برؤية الله ببقاء رؤية حظه من الله، ومنهم من يفنى من رؤية حظه من الله ببقاء رؤية ما أبقاه الحق له من شهوده للحق، ومنهم من يفنى من رؤية ما أبقاه الحق له من شهوده للحق ببقاء ما أشهده الحق منه فى شهوده فغاب بمشاهدة الحق له عن شهوده للحق ببقاء ما أبقاه عليه الحق للحق فحينئذٍ يقوم بتوحيد الحق للحق على صفات العبد بفنائه فى فنائه بالحق للحق.

وقال: إن الله سبحانه لم يخل الأرض من الأولياء، إما قائم لله بحجة فى الدين، وإما مدفوع به عن عبادة البلاء الذى ينزل به قطر السماء، ثم هم فى رتب، ودرجات، ومقامات فمنهم خصوص، وعموم فى الخصوص لقدر غرائز عقولهم، ومنتهى مقاصدهم فعموم الأولياء الصالحين من المؤمنين الذين صلحت أحوالهم فيما بينهم، وبين الناس، وأخلصوا لله الدين، والدعوة بصدق الورع، والاتباع للسلف، وخاصة الأولياء الزاهدين فى الدنيا فقصر الأمل على اجتماع بالأمر، والنهى، والعمل بالمعرفة، واليقين بالبصيرة، ثم تفرقت بهم الأحوال من هذا المقام فمنهم نجيب بالحياء، والمراقبة، ومنهم نقيب بالمحبة والإيثار، ومنهم أبدال بالرضى، والتوكل، ومنهم أوتاد بعلم التوحيد، وآداب الدعوة، ومنهم قطب فمن إفراده الحق بحالة مدار حال الأولياء كلهم، عليه، ومن حاله يأخذ كل ولى علم حاله، وإن لم يره، ويلتقى معه لأن الأحوال فى مقامات الإيمان، ودرجات اليقين مجموعة فيه فالصالحون كثير مخالطون للعوام لصلاح حال الناس بهم فى دنياهم، والنُجباء فى العدد أقل منهم، وهم مخالطون للعوام لصلاح الناس بهم فى دنياهم، ودينهم، وآخرتهم، والنقباء فى العدد أقل منهم، وهم مخالفون للخواص لمزيد أحوال الناس بهم فى بركات الدين، والدنيا، والأبدال

فى العدد أقل منهم نازلون فى الأمصار العظام لا يكون منهم فى المصر إلا واحد بعد واحد، فطوبى لأهل بلدة كان فيها اثنان، والأوتاد واحد باليمن، وواحد بالشام، وواحد بالمشرق، وواحد بالمغرب، والله سبحانه يدير القطب فى الآفاق الأربعة من أركان الدنيا كدوران الفلك فى أفق السماء، وقد سترت أحوال الغوث، وهو القطب عن العامة، والخاصة غيره من الحق عليه غير أنه يرى عالمًا جاهل أبله كفطن تاركًا آخذًا قريبًا بعيدًا سهلاً عسرًا أمنًا حذرًا، وكشف أحوال الأوتاد خاص للخاصة، وسترت عن العامة، وكشفت أحوال البدلاء للخاصة، والعامة، وسترت أحوال النجباء، والنقباء عن العامة خاصة، وكشف حال بعضهم لبعض، وكشف حال الصالحين للعموم، والخصوص ليقضى الله أمرًا كان مفعولاً، وعُدَّة النجباء ثلاث مائة، والنقباء أربعون، والبدلاء قيل ثلاثون، وقيل: أربعة عشر، وقيل: سبعة، وهو الصحيح، والله أعلم، والأوتاد أربعة، فإذا مات القطب جعل مكانه خيار الأربعة، فإذا مات أحد الأربعة جعل مكانه خيار السبعة، فإذا مات أحد السبعة جعل مكانه خيار الأربعين، فإذا مات أحد الأربعين جعل مكانه خيار الثلاث مائة، فإذا مات أحد الثلاث مائة جعل مكانه خيار الصالحين، فإذا أراد الله أن يُقيم الساعة أماتهم أجمعين.

وقال: اعرف ربك من جهة حقيقة تصديقك، ثم اعرف دينك من جهة صفاء إخلاصك تكشف لك المعرفة شواهد البيان، ويُريك اليقين فوائد البرهان، واعلم أنك لن تلحق بالقوم حتى يحكم فرضك، وتحفظ حدود ربك، وتجاهد نفسك، وتكون قوامًا لله بالقسط كما أمرك، ولن تدخل بستانهم، ولن تجنى ثمار حكمتهم حتى تعرفهم بعد وجود بركات إدراكهم.

وقال: اصحب من يزيد بآدابه عقلك، واطلب من العلم ما تنمو به معرفتك، واعمل على يقين بالرحلة، وخذ من الدنيا ما لا حساب فيه عليك فى الآخرة، ثم لا تأسف على ما فاتك بعد، فإن أصول البر، وشعب الإحسان، فى يدك.

وقال: اصحب العلماء، وخالل الأتقياء، وخادن العارفين، واعتمد على الموقنين، وأنا ضامن لك بالنجاة ما لم تستأكل بهم دنيا، ولم تخالفهم فى دين.

وقال: الشح قاتل صاحبه، والبخل فاضح أهله، وإنما يتبين الناس عند العدم، والوجود، والرضى، والغضب، والخوف، والأمن، والمحبة، والبغضة، والرغبة، والزهادة.

وقال: من بخل عن الله عز وجل بماله ازداد فى الدنيا فقرًا، وفتح عليه من الحرص ما يضر بدينه وعرضه، ومن شح عن الله ببدنه تزيد بالله جهله، وعلق عنه من الفهم ما ينقص به عقله، وفهمه، ولبه.

وقال: السخاء بالعرض فى سبيل الحق شاهد بزوال الشح عن أهل الأموال، والسماحة بالروح فى ذات الله شاهد لذهاب البخل عن أهل الإرادة.

وقال: لم يقبلهم حتى كفوا أذاهم عن الخلق، ولم يرضهم حتى رفضوا التهمة عنه.

وقال: لما تطهروا من الظلم، والتبعات أغناهم به، وأقبل بالقلوب عليهم فلما آثروه ضن بهم عن العوام، وأفقرهم إليه.

وقال: حين علموا أنه مولاهم بالحقيقة توكلوا عليه، فلما أيقنوا بحسن نظره لخلقه، واختياره لعباده سلموا له قضاءه، ورضوا عنه فى

أحكامه، وقبلوا منه مرادهم فرضىً عنهم، وأرضاهم، وطهرهم فى دار البلوى بالامتحان كىّ يجعلهم حجةً له على أهل الصحة، والطول، والثروة.

وقال: كل حال، وعلم، وعمل مستعارٌ لا مكث له فى الناس، وإن تحركت به الألسن، ولا نفع له عند الله، وإن ظهر بره للعوام.

وقال: الرياء يزول، والتصنع يذهب، والمباهاة تضمحل، والدعاوى تنحل، والصدق ببقاء، والإخلاص يدوم، والإنصاف ينمو، والنصيحة فى مزيد، ونهاية، وعاقبته جميلة.

وقال: الشهرة قاتلة لكل ضعيف، والإخمال ناقص لكل قوى، ومن عرف النعمة عليه بالحقيقة من ربه لم يضره ثناء الناس عليه.

وقال: من أحب أن يذكر عند الخلق فهو معلول إلا ذكر الله موجود فيه لله، وشكره، وفخره لله مبذول، وصبره، واصطباره، وصُبورهُ فيه غير ممنوع.

وقال: ليس لكل متكلم بالعلم عالم ولا عامل بالجد، والاجتهاد عابد، ولا كل صامت سالم فاطلبوا معرفة المراد فى العلم، والعبادة، والصمت، والحركة، والسكون بمعرفة أنفسكم، وابحثوا على القصد، والهمة تجدون مواريث الأعمال، وبركات العلم فى مزيد الأنوار، فإن قبلتم نلتم المزيد بالعون، وإن طردتم تركتم مع العدو، والهوى، والنفس فلا ترضوا بالإقامة على الجهل فإن فضل الله قريب ممن أناب، واعترف.

وقال: لا ملجأ، ولا مفرّ، ولا زوال، ولا حيلة، ولا احتيال الرقيب قائم عليك، والحفظة يراعون عملك، والشهود إن أنكرت منك عليك اعرف أين أنت من العلم؟ ومن معك من الكرام الكاتبين؟ وإلى أين

تريد؟ وعلى من تقدم؟ فكأن قد جاءك من أمر الله ما لا دفاع له، وعاينت الأعمال، وجزيت بالأفعال، وانصرف الفريقان سعيد إلى الجنة مسرور، وشقى إلى النار مثبور.

وقال: اصنع وجهًا واحدًا بالصدق، والصحة، والاتباع تريد به وجه مولاك يكفيك كل الهموم، والوجوه من أمر آخرتك، ودنياك.

وقال: ما أكثر أهل الدعاوى فى طلاب الآخرة، وأقل الصحة فى أبناء الإرادة، وما أكثر التدليس بطلب العلم، وأقل الانتصاف فى المتشبهين بالعلم، وما أكثر الحمقاء فى تعاطى المعرفة، وأقل العقلاء فى أداء النصيحة.

وقال: لا يتم لأحد طريقة فى العلم، ولا يكمل حال فى النسك، ولا يقبل أحد فى التقرب إلا بثلاث: عقل يدفع به هواه، ويجاهد به نفسه، ويخالف به شهوته، ويكابد به عدوه، وعلم بمعرفة يسلم به من كل بدعة، وينجو به من كل ضلالة وفتنة، وحلم يكف به عن الأذى، ويتحمل به من كل بدعة ما يرد عليه من البلوى والابتلاء والاختبار والامتحان، وذلك أن كل من علا قدره فى الدين، وارتفعت منزلته فى الحقيقة أشدُّ الناس بلاء ممن هو دونه فى العلم، والمعرفة، واليقين.

وقال: من لم يفهم دخول نعم الله عليه فى نزول بلوة لم يعرفه هجوم نقمه فى ترادف نعمه، ومن لم يشهده عقله فى العلم، والعمل، والمعرفة، واليقين، والصحة من السقم فى حاله، ويجد نور قربه، وظلمة بعده فى قلبه عند موافقته لربه، ومخالفته له فيزداد شكرًا، ويحدث إنابة فعقله ممازج بهواه، ونفسه أسيرة بيد عدوه.

وقال: كل عليل من فقد الصحة فى البداية، والإرادة، والطلب للعلم، والتقشف محتاج إلى ثلاثة أشياء: عالم بصير يرشده، ويدله،

ويهديه، ويبين له، ومحاسبة لنفسه لا يفارقه فى حركته، وسكونه فما كان لله عز وجل موافق للاقتداء، والأدب، والإخلاص بادره بعلم، وحلم، ورفق، وسكينة، ووقار، وكتمان، وافتقار، والحال الثالثة به يتم ذلك، وتطهر الجوانح، وتظهر الحكمة على الجوارح، وتقبل الأعمال، وهو تصفية الغذاء، وأخذ الحلال.

وقال: أعظم بلاء فى الأرض، وأشد عقوبة فى العامة، والخاصة ثلاث: سلطان جائر، وعالم فاجر، وعابد جاهل، فالسلطان الجائر نقمة على الناس فى دنياهم، والعالم الفاجر محنة وبلاء على الناس فى دينهم، والعابد الجاهل رأس كل فتنة فى الدين، والدنيا مشئوم على نفسه بجهله ضر على العوام به، وأفسد أحوال الناس ثلاث: جور العمال، وجهل العلماء، وحماقة النساك.

وقال: إذا صحب السلطان الجائر أهل العلم والتقوى على الدنيا فسد دينهم، وإذا صحبه أهل الفسق والاعتداء فسدت دنيا العامة، ومن رأيتموه من العلماء، والنساك يتصدى الأمراء والملوك لقضاء الحوائج، ويكثر الاختلاف إلى أبواب القضاة، والوزراء ليودعوه، وليعدلوه فهو خبيث دجال قد دخل فى طريق الفتنة، وعلامته دهانته لهم فى الحق، وصمته عن الباطل، وفقد التوفيق منه فى نصرة المظلوم، وذهاب البصيرة منه فى حال نفسه، وعدوم التمييز منه لغيره.

* * *

الجزء الرابع

قال: إن الله سبحانه بحكمته، وعدله، وقضائه، وقدره أحكم ما أراده بعلمه فى خلقه، وخلق ما أحب بقدرته فى عباده فبرئ من خلقه إبليس عليه لعنة الله، وجعله، وذريته خالصًا للشر، والشقوة، وجعلهم بعلمه السابق فيهم، وأمره النافذ عليهم أهلاً لذلك فلا حيلة له فى السعادة لنفسه، ولا لأحد من ذريته إذ لا يكون إلا ما كونه مكون الأشياء القادر عليها القاهر لها المتصرفة فحكمه فى حكمته الراجعة إليه على ما يشاء من مشيئته، وقدرته، وخلق آدم صلوات الله عليه خالصًا فى نفسه للخير، والرحمة، وجعله أهلاً لذلك لسابق علمه فيه، ولما طبعه عليه مما جعله فيه، وخلق من ذريته غويًا، ورشيدًا، وشقيًا، وسعيدًا على علم قد سبق، وحكم قد نفد وإبلاء بعضهم ببعض فتنة، واختباره لإظهار علمه فيهم، وامتحن آدم، وذريته بإبليس، وذريته، وأعطاهم من القوة، والتمكين فى الدعوة أمرين سلطهم بها عليهم الدعوة إلى الضلال، والتزين للمعاصى، والذنوب، فبالدعوة أجابوه إلى الكفر، والجحد، والنفاق، وبالتزين أطاعوه فى اقتراف الذنوب، واتباع الأهواء، وأسباب ما يُلقى بينهم العداوة، والبغضاء فى الصغائر، والكبائر، والمحقرات، والمرفعات، والموجبات من الجرائم، والخطيئات، وأعطى الله عز وجل لآدم عليه السلام، وذريته المهتدين الاستعاذة بالله منه، والاستعانة بالله منه عليه، وكشف عوائد ما يجلب به عليهم من خيله ورجله، وقرب نصر الله منهم، وتأييده، ودفعه عنهم فى الليل، والنهار، واليقظة، والمنام، والرضى، والغضب، والعلم، والجهل، والغنى، والفقر، والذل، والعز، والصحة، والسقم، والبلاء، والنعمة، والخير، والشر، والدين،

والدنيا، والحسنات، والسيئات، وغير ذلك، ولولا فضل الله عليكم، ورحمته ما نجا أحد من العدو، وحزبه، ولا أظهر أحدٌ بالإيمان، ولا أزكى أحدٌ بالأعمال، ولا شرف أحد بعلم، ولا تحقق أحد بمعرفة، ولكن الله برأفته، ورحمته جعل المجاهدة سببًا للهداية، وجعل الاستعانة سببًا للنصر، والتأييد، ولولا رشد الله السابق فيمن أحبه، وتوفيقه فيمن اختاره ما دخل أحدٌ من ولد آدم الجنة، ولكنه تبارك اسمه أراد أن يُعرف كرمه، وجوده، وحكمته، وعذابه، وفضله، ورحمته، وعزّه، وسلطانه، وقهره، وقدرته بين عباده فى الدنيا، والآخرة.

وقال: باب الهداية: إقامة التوحيد، ومزيد الهداية الدوام على الاستقامة رأس الحكمة، ورأس العقل إجابة دعوة الله عز وجل، ورسوله عليه السلام عقدًا بالقلب، وقولاً باللسان، وعملاً بالجوارح، وهذا دين الله القيم، وسبيله الأرشد، فمن اتبع ذلك فى فرضه، ونفله على صدق المعاملة، وخالص العبودية فقد دخل من باب الحكمة، وسعد بالعقل المؤيد بالتوفيق.

وقال: الحكماء ثلاث، والعقلاء ثلاث: فحكيم يعمل بالحكمة، وحكيم يعمل بها، وينطق بها، وحكيم يعمل بها، وينطق بها، ويعبر عنها، وعاقل متبع للعلماء، وعاقل متبع للعلماء، وأهل المعرفة، وعاقل متبع للعلماء، وأهل المعرفة، والحكماء.

وقال: لا يلحق أحدٌ بدرجات العقلاء حتى يطلب العلم بالأدب، ويعمل به على الإشفاق، وينشره بالرحمة، ولا يلحق أحد بدرجات العلماء حتى يلزم من كل الأسباب ما يعنيه، ويترك ما لا يعنيه، ويتورع فى الشهوات ، ويحذر الشبهات ، ويزهد فى الحلال ، وهذا هو الحكيم البالغ فمن لم تكن فيه فليس بحكيم، ومن جمع بعضها فهو

طالب للحكمة.

وقال: الحكماء على طبقات: فحكيم تصفه الحكمة بعقله، وفعله، وخلقه، وهديه، وسمته، وصمته، ونطقه من حاله، وحكيم تصفه الحكمة بعقله، وفعله، وخلقه، وهديه، وسمته، وصمته، ونطقه من حاله بتغير أحوال غيره، وترتيب مقامات أهل البداية، ودرجات أهل النهاية، واستخراج الحكمة من الحكمة، واستنباط العلم من العلم بذهن فِطنة الفهم، وغامض موجود دلالات اللب، فالحكيم الأول فى الخصوص: مريد صادق طالب حال، والحكيم الثانى: مريدٌ صادق عارف صاحب حال، والحكيم الثالث مريد صادق عارف رب لحال، وقد عجزت الحكمة أن تكون إلا فى عالم كما عجز العقل أن يكون فى غير حكيم.

وقال: العلم، والحكمة قرينان، والمعرفة، واليقين قرينان، وقد يكون عالم غير حكيم، ولا يكون حكيم غير عالم، وقد يكون عارف غير موقن أى باخقيقة، ولا يكون موقن إلا عارف، فمن جمع الله له العلم، والحكمة، والمعرفة، واليقين فقد أُعطى الخير كله، وهم المتحققون بالصديقية الكبرى الذين أعقب الله بذكرهم النبيين، وجعل بينهم، وبين النبوة درجة الوحى، والرسالة من الله عز وجل.

وقال: كل علم، وحكمة خارج عن الشرع، والقدوة فهو إيهام غلط، واستنباط جهالة.

وقال: كل باطن من العلم، والحكمة لا ظاهر له فى الأصول فهو باطل، وكل ظاهر من الإيمان، والعقل لا باطن له فهو شرك، لأن الظاهر لا يقوم إلا بالباطن فى الإيمان، والعمل، وقد تجوز الأحكام فى الظاهر، بما ظهر فى إقامة الحدود، وإنفاذ الحقوق كما أن الباطن حكم

تفرد به دون الظاهر، وهو علم القلب بالصدق، والإخلاص، والخوف، والرجاء، واليقين، والثقة، ونحو ذلك فمنه ما يظهر بفعل الاستقامة، ومنه ما يكنه القلب مثل التفكر، والاعتبار، وما يتولد منه فى سموّ القلب، وتأمله، ونظره بالإيمان، والعلم، والمعرفة، واليقين، وعلى سكون الجوارح، وهذا هو غيب عن الظاهر باطن فيما بين العبد، وربه.

وقال: ما أكثر طلاب العلم الظاهر، وما أقل من يطلب تصحيح علم الباطن، وما أذكى صلاح أهل الباطن باتباع الظاهر، وما أكثر فساد أهل الظاهر بترك معرفة علم الباطن، وما أذهب دين أهل الباطن عند مخالفة الظاهر.

وقال: طوبى لمن أمسى، وأصبح معوله فى ظاهره، على صحة يقين باطنه، ومعوله على محاسبة باطنه على صحة علم ظاهره بمعرفة فقره، وفاقته إلى الله عز وجل قد كف أذاه عن الناس، ورفع مؤنته عنهم مواصل لهم بروح الإيمان معتزل عنهم ببدنه مجامع لهم بقلبه قد اتصل بالله خوفه، ورجاؤه فهو متعلق به فى فقره، وغناه.

وقال: أهل الله، وخاصته من الأولياء، والصدّيقين، والتبعة الكبرى الذين بذلوا أموالهم، ومهجهم فى حقه فلم يوالوا له عدوًا، ولم يعادوا له وليًا، ولا ادخروا نصيحة من عباده، ولا اتهموه فى خلقه علمًا منهم به، ورضى عنه بمعرفة اختياره لهم، وصلاح أحوالهم لله أولئك الذين نطقهم عنه بإرشاد الدلالة إليه، وصمتهم له بإصابة التحقيق منه.

وقال: من استرشد الحق هداه، ومن استغاث به أغاثه، ومن استعان به أعانه، ومن استنصره نصره، ومن أخلص له أكرمه، ومن صدَّقه رفعه ومن تحمل له حمله، ومن صبر له أعقبه، ومن شكره زاده، ومن خافه

أمنه، ومن رجاه أمله، ومن ترك له عوضه، ومن تورع له أحبه، ومن زهد له آنسه، ومن رضى عنه أرضاه، ومن توكل عليه كفاه.

وقال: اقشعرت الأرض، وأقلعت، وأظلمت السماء من ظلمة الفجرة، وذهبت البركات، وقلَّت الخيرات من فسق الظلمة، وبكاء فى ضوء النهار، وظلمة الليل من الأعمال الخبيثة، والأفعال القبيحة، وشكاهم الكرام الكاتبون، والمعقبون الحافظون لرب العالمين، فبادروا رحمكم الله التوبة، والإقلاع على أن تدفع بها أمورًا فى الشدائد عظامًا قد بدت روائحها فنسأل الله السلامة منها، والنجاة من آفاتها.

وقال: صلاح الدنيا بأربعة: إمام عادل، وقاضٍ يحكم بما أنزل الله، وعالم يفتى بسنة رسول الله ﷺ، وناسكٌ يغاث به العباد، والبلاد، فإذا فسد هؤلاء الأربع فبطن الأرض للمؤمن خير من ظهرها، وجبالها خير من زنقها، وملاقاة الوحش خير من أنسها.

وقال: إذا جار السلطان فسد سكنى البلد، وإذا قبل القاضى الرشاء، والاستعانة فسد سكناء الحضر، وإذا فجر العلماء ذهب خير الدين، وإذا فسق القراء ذهب خير الدنيا.

وقال: ستكون فتن لا يستقر ذو دين فى البادية لأجل ظالم سلطانهم، ولا يقر أحد فى حاضرة لأجل خبث علمائهم، ولا يبقى أحد فى ثغر لأجل فسق قرائهم فلا راحة حينئذٍ فى البدو إلا ببذل المال، وصيانة الدين، ولا راحة فى الحضر إلا بالصمت، وترك المعارف، والانتصار للنفس، ولا راحة فى الثغر إلا فى الانقباض، والوحشة، والهرب، والعزلة، والرضى بالذلة، والقلة، وتوديع الناس جميعًا فى الدِّين، والدنيا.

وقال: إذا رأيتم النساء قد أجهدن أزواجهن فى أربعة فأطاعوهن

فإياكم، والتأهل بالحراير، فإن فتنتهن يومئذ عظيمة الحرير، والحُلىّ، والخروج، والخمر، واحذروا الاغترار بالنساء، والميل إليهن، وإن كن نساكًا عوابد فإنهن يركنَّ إلى كل بلية، ولا يستوحشن من كل فتنة.

وقال: إياكم، وطاعة النساء فإن سلطان الشهوة مجعول مع المرأة، وسلطان الغواية مقرون مع المرأة، وسهم الفتنة مصحوب مع المرأة، ومعدن الآفات موجود مع المرأة فى الدين، والدنيا.

وقال: من يسلم من آفات أهله، وأكثر هلاك الرجال بطاعتهم لأزواجهم.

وقال: امرأة فى زمان الفتنة معها الدنيا كلها غالية بفِلس لأنها للدنيا خلقت فهى لا تنفك منها، وإن أظهرت النسك، والتقوى فدينها مقرون بهواها إن شبعت طغت، وإن جاعت تصلفت، وإن حزنت تسخطت، وإن رضيت أثمت.

وقال: الدنيا لا تصارع العالم العارف، والمرأة تصرع العالم العارف، واللبيب العاقل، لأنها رأس شهوات الدنيا فذكرها شائق للنفوس، وحديثها صيد للهواء، والأنس بها حِبالة للعدو.

وقال: النساء طبعن على الغفلة، والضعف، فهمهن فى الدنيا مصروف [للشهوات] وإليهن، مع الهوى معطوف فمن عوفى منهن فى هذا الزمن فقد نجى، ومن امتحن بهن فقد هلك إلا من عصمه الله، وأكرمه بنفس لا تنتصر، وهوى لا يغضب، ودنيا لا تخدع.

وقال: كيف يسلم دين من له زوجة لا ترحمه، وولد لا يعذره، وجيرة لا ينصفونه، وإخوان لا ينصحونه، ونفس أمارة بالسوء، وهوى مردٍ، وشيطان مغوٍ، ودنيا تتزين له، وشهوة لا تنصرف عنه، وعقوبة مقيمة عليه.

وقال: كيف يجد مريد الهداية فى دينه من هو فى ليله، ونهاره مُداهن لأهل الباطل مخالط لأهل العمى، رضاه بمزيد دنياه، وسخطه فى نقص شهوته؟ بل كيف يتصل إلى هدايات القلوب، والنظر بالنور من هو مقيم على شىء مما نهاه الله عنه؟ فهو راضٍ عن نفسه مُعرض بدنياه عن آخرته، والله أعلم.

وقال: إنما عُميت قلوب أهل الإتراف بالدنيا لقلة التحافظ فى الكسب، وترك المحاسبة فى الإنفاق، وإنما عميت قلوب العلماء، والفقراء لمحبة الذكر، والرئاسة، ومخالطة الظلمة، ومداهنة الفجرة، وإنما غويت قلوب أهل الإرادة لإضاعة الرعاية، وإنما قلَّ صبر الفقراء لموافقة هوى أبناء الدنيا.

وقال: صنفان من الناس أضر على أهل الإيمان من إبليس، وجنوده، مدعى العلم، وهو يعمل بالجهل، ومُدّعى الزهد، وهو حريص على الادخار، والجمع.

وقال: لا يُفلح عبد فى نفسه، ولا يفلح به غيره ما كانت فيه خِلتان: حسود فى علمه، ومعجب فى عمله.

وقال: لما تركوا العمل بالمحكم من كتاب الله، والثابت من السنة، ورجعوا إلى الرأى، والقياس، والمستحسن سلبوا أنوار عقولهم، وانطمست فطن فهومهم، فعمى القلب، وكَلَّ الذهن، فقامت النفس عند ذلك مقام العقل، وقام الهوى مقام الروح، وقام العدو مقام العلم، وقامت الوسوسة مقام الصدق، والإخلاص، وقام الباطل مقام الحق، فنعوذ بالله من هذا الحال، ومن الاغترار بأهلها.

وقال: ذهبت الغنيمة، وغربت السلامة، وعلا الباطل، وظهر المنكر، وتعامل الناس بالخبث، والفجور، فلا يرى الحق فى هذه الأزمان إلا

مريد سمعه بأذن قلبه من الحق، أو ناطق عن الحق، ولا يعقله إلا ظاهر بالتوبة، ولا يعمل به إلا بصير بالمعرفة.

وقال: من أراد اتباع الحق بالحقيقة فى هذا الزمان فليوطن نفسه على العداوة، والبغضاء فى الأهل، والأقرباء، والجيرة، والإخوان، ويعمل فى موت نفسه، ومخالفة هواه، وقبول مواعظ الناصحين.

وقال: لو أن رجلاً أفنى عمره فى طلب العلم، وأدب نفسه بالجد، والاجتهاد مع صحبة الأبرار، والإيثار بالمال فى سبل البر، لم ينفعه ذلك إلا بثلاث: صدق النية فى الباطن، والإخلاص فى الظاهر، والاقتداء فى السر، والعلانية.

وقال: من علامة الصادق فى إرادته: أخذ الحق ممن أتى به، وكفّ الأذى عن من أساء إليه، ومن علامة الإخلاص فى الإرادة: الرضى بالدون، والتواضع، فى كل حال، ومن علامة الصبر فى الإرادة: القناعة، والتعفف، ومن علامة الشكر فى الإرادة: غلق باب المسألة، والتعلق بالله فى المنع، والعطاء، ومن علامة الخوف، والرجاء فى الإرادة: الصمت، والمحاسبة، ومن علامة الرجاء فى الإرادة الجد، والاجتهاد، ومن علامة الحب فى الإرادة: الإيثار، والاتباع، ومن علامة الحياء فى الإرادة: الوقار، والسكينة، ومن علامة المراقبة فى الإرادة التفكر، والاعتبار، ومن علامة الزهد فى الإرادة: الأُنس بالله، والوحشة من الناس، ومن علامة التوكل فى الإرادة: الثقة، والتفويض، والرضى، والتسليم، ومن علامة القرب فى الإرادة: النظر بالنور، والنطق بالحكمة، وموافقة الحق فى كل حال، وهذه أوصاف أهل الصحة فى الإرادة المؤدية للنهاية(١).

---

(١) على المريد فى طريق الله أن يترك ما اعتادت عليه نفسه من الارتكان إلى الأهواء والميل =

وقال: من جعل القرآن إمامه، والسنة دليله، والله مفزعه، والرسول حجته، والحلال زاده، والأبرار إخوانه سبقت به غداً إلى الفردوس أعماله.

وقال: السلامة فى الاقتداء بالصحابة رضى الله عنهم، والأخذ بما أجمعوا عليه، والإمساك عما تنازعوا فيه، والغنيمة فى الاقتداء بهم بموالاتهم أجمعين، وذكرهم بالجميل، والتخلق بآدابهم فى الدين.

وقال: لما ترك الناس علم محاسبة النفوس فقدوا علم المراقبة لله عز وجل فزالت من قلوبهم الخشية، ولما ضيعوا علم الرعاية لواجب حق الله عليهم سقط من وجوههم الحياء، فلا وفاء بعهد، ولا حفظ فى غيبة، ولا حق بصحبة، ولا مولاة بصحة، ولا ائتلاف بنية.

= للحظوظ، وما تطبع عليه من التقاليد والمحاكاة.. قبل الدخول فى الطريق.

ولكى يصدق السالك فى السلوك متوجهاً إلى الله، يتوجب عليه أن يهجر الهوى، ومطالب النفس الأمارة وحظوظها وشهواتها، وأن يتجه بكليته وبكامل إرادته إلى الله سبحانه وتعالى، فإذا أراد أن يتحرر من قيود الهوى والشهوة، يجب عليه أن يصدق النية ويبدأ العمل.

إذن: الإرادة الطبيعية والنية الصادقة، هما الأساس الذى يجب أن يسير عليه المريد الصادق، بل هما أول الطريق الموصل إلى تطهير الباطن: من برائن الشهوات والضلالات.

وصدق الإرادة إنما يكمن فى الاتجاه إلى الله تعالى فحسب، فهو إقبال خالص فى طاعته، وذلك عملاً بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فيستضىء بنور الله تعالى، ولا يرى حظاً لنفسه، وإنما تسترسل إرادته مع الإرادة الإلهية، ويعمى عن غيره تعالى من الخلق والمخلوقات.

وانعقاد الإرادة إذن هو أساس الحب، وما أراد المريد إلا بعد أن خلصت إرادته، وما خلصت إرادته إلا بعد أن تطهرت نفسه، ففتح على قلبه جمرة الخشية والخوف من الله.

فما يبقى له إلا الله ناصراً.. وهادياً ومعيناً، فنومه وأكله ووجده وكلامه ضرورة، وهو يروض نفسه وينصحها، ولا يجيبها إلى هواها، وينعم بالله ويأنس بالخلوة مع الله، ويرضى بقضاء الله ويختار أمر الله، ويستحى من النظر لله، ويقف على كل سبب يقربه من الله، فهو مخلص على الدوام، صادق على الاستمرار. وعندما يصل المريد إلى هذه الدرجة يحبه الله، ويقربه إليه، فهو إذن مريد، قريب من رحمة الله، ولطف الله. انظر: (الحقيقة والشريعة للشرقاوى ١٧٩، ١٨١).

وقال: إذا رأيت صاحب دنيا فاحذره على عملك، إلا أن يكون عارفًا، وإذا رأيت طالبًا للعلم فاحذره على دنياك إلا أن يكون له ورع، وإذا رأيت متقربًا بالعلم، والإرادة فاحذره على عقلك، ودينك، ودنياك إلا أن يكون له عقل، وورعٌ، وزهدٌ.

وقال: اقرب من كل عالم يدعوك من الدنيا إلى الآخرة، واهرب من كل عالم يدعوك من الآخرة إلى الدنيا، واقترب من كل عارف يدعوك من الريب إلى اليقين، واهرب من كل عارف يُفتيك بالغرور، والأماني.

وقال: علامة العالم الصادق قول بحق، وعمل بنية، وأدب باستقامة، وورع بخشية، وعلامة العارف الصادق: صمتٌ عما لا يعنى، وعمل باتباع، وأدب فى هداية، وزهد بغير رياء.

وقال: بالصبر تنال الظفر، وبالشكر تدوم النعم، وبالخوف يحترز من كل آفة، وبالرجاء يسلم من كل هلكة، وبالصدق يغلب كل عدو، وبالإخلاص يخمد كل باطل، وبالورع تنقطع كل شهوة، وبالزهد تنال كل فضيلة، وبالعلم تعلو الدرجات، وبالمعرفة يُبتغى الزيادات، وبالمحبة ترتفع المقامات، وباليقين، والعافية ينال خير الدنيا، والآخرة.

وقال: ذهب أهل المسابقة، ومضى أهل المسارعة، وقلَّ أهل الغنيمة، وعزَّ أهل السلامة فلا صاحب صدق فى الله موجود، ولا حب من الناس مفقود، ولا نفس تعادى لله، ولا حال يخاطر به فى الله، ولا ذوق إلا بوجود صفاء مع الله، فكيف لنا بالنجاة غدًا من الله؟ إلا بالانتقال عما يكره الله أو العذاب إلا أن يعفو الله.

وقال: لا يجد أحدٌ السلامة اليوم إلا أن يكون له عقل رصين يحتمل به أذى الناس، وعلم كثير يستغنى به عن الناس، وصمت طويل يتخلص

به من الناس، وعفة، وقناعة يقطع طمعه من الناس، واستعانة بالله مع اتهام النفس، وانتظار عون الله مع الهرب إلى الله، وترك صحبة أهل التخليط، والغفلة، ولزوم أهل العقل، والعلم، والرحمة.

وقال: من رضى عن نفسه، واستغنى برأيه، وعقله عمن هو أعقل منه، فسد دينه بالجهل، والحمق، ومن وثق بعلمه، ومعرفته دون الفقر، والفاقة، والتعلق بربه أفسد على الناس دينهم بذهاب دينه.

وقال: آفة أبناء الدنيا تحمل الجهل بلا عقل، وآفة أبناء الآخرة حمل العلم بلا فهم.

وقال: من رأى أنه قد استغنى عن العلم فهو ميت بالجهل، ومن ظن أن العلم ينفعه دون العمل فهو مفتون بالغوية، ومن استغنى برأيه دون شيخه فهو هالك مستدرج فى حالتى العلم، والجهل.

وقال: الجاهل يصرعه العدو بالأمانى، والتسويف، والعالم يفتنه العدو بالتأويل، والرخص، والاغترار بالعفو، فميراث الأمانى، والتسويف التمادى، والإصرار، وميراث التأويل بالاغترار الإفراط، والتفخم، فالمصر هالكٌ، والمغتر ميتٌ.

وقال: مفتاح الرغبة الحرص، ومفتاح الشره الشهوة، وهما بابا الاستحلال، ومصائد العدو للعلماء، والقراء، والمريدين، والنساك، فمن سدَّ باب الرغبة بقِصر الأمل، وردَّ الحرص بخوف القوت، وأدمغ الشره بالقناعة، ودفع الشهوة برؤية القيام فقد نجا بتوفيق الله عزَّ وجل.

وقال: إذا رأيت المريد يكتم مسائل نفسه المردية، ويظهر مسائل عقله الرقيعة فهو مُخلِّط بعدُ، وقلَّ أن يُفلح، وإذا رأيته يصحب من هو دونه، ويترك من هو أرفع منه، ويخالط من يسمع كلامه، ويهرب ممن يعرف

عيوبه، والآفات الداخلة عليه فاغسل يدك منه.

وقال: أفسد أبناء الآخرة الإعجاب، وأهلك أبناء الدنيا الأمانى، فمن راح عنه الإعجاب بموت نفسه من جهلها، وترك القبول منها رُجِى له النجاة، ومن زَلَّ به التزين، والدعوى لرؤية حاله هلك.

وقال: إذا احتاج الطالب للعلم، والإرادة إلى من يرجوه عن ذنب، أو معصية تخاف عليه منه العقوبة فى الآخرة، فإنما بيده من العلم حجة، ومن الإرادة المقت من ربه، وإذا احتاج العالم، والعارف إلى من يدله، ويرشده فى أمر يكره فيه القدوة فإنما بيده من العلم شقاوة، ومن المعرفة خزية.

وقال: العالم الأحمق حَمَّال، والعامل العاقل لأهل الإرادة سراج، والعامل الأحمق ظلمة، وشقاء، والعامل العاقل نور، وشفاء.

وقال: كما أن الثوب النظيف يتسرع إليه الدرن مع اللبس كذلك المريد، والقارئ يتعلق به العارّ، والفتنة من صحبة الجاهل، وأهل الغرّة.

وقال: كفى بالعبد جهالة، وحماقة أن يستحى من الخلق فى المعصية، ولا يجلّ مقام خالقه، أو يأتى أمر يحتاج فيه إلى الاعتذار لما يأثم الناس فيه.

وقال: ينبغى للتقى النقى العاقل أن يرغب بنفسه عن دناءة الأخلاق، وإن كان ذلك يضرّ بدنياه فى سلامة دينه فإن لوائح القاذورة فى القلوب تلوح، فإن وقعت المساكنة راحةً، فإن لم يقع تحاجت، فإن دورك، وإلا احترق، وما استعان عبدٌ على دفع اللائح بمثل ذكر الموت، وما استعان على دفع أجاجها بمثل ذكر قيام الله عز وجل.

وقال: تفرد الله سبحانه بأسمائه، وصفاته، وكان مما انفرد به أنه

عَلَّم، وحَلَم، وجاد، وتكرم فعلم المعصية قبل خلقها، وحلم حين عمل بها، وجاد بالتوبة على صاحبها، وتكرم عليه بالمجازاة إحسانًا، وطولاً، وأفرد الله عز وجل عبده العالم العارف بأربعة: معرفة النعمة منه، ومعرفة المعونة على الشكر، ومعرفة إلهام ذلك منه، ومعرفة المنة بالتوفيق بحقيقة التصديق جودًا، وكرمًا.

وقال: أكرم الله عز وجل هذه الأمة بالصدِّيقين خاصة كما خصَّ بنى إسرائيل بالنبيين عامة فجعل المرسلين أهل الشرع، وجعل الأنبياء أهل الإنذار، وجعل الصدِّيقين أهل النصيحة، والبيان، والفرق بين حال الصديقين، والأنبياء الوحى، والإلهام، فالأنبياء أهل فرقان، والصدّيقون أهل انبساط، وتوفيق، وبيان.

وقال: لكل حال، ودرجة، ومقام ثمرة، وهو موارث الأعمال فثمرة الإيمان الاتباع، وثمرة الإيمان، والاتباع طلب العلم، وثمرة الإيمان، والاتباع، وطلب العلم العمل به، وثمرة الإيمان، والاتباع، وطلب العلم، والعمل به الخشية لله فيه، وميراث الخشية الورع، وميراث الورع الزهد، وميراث الزهد النظر بالنور، والنطق بالحكمة.

وقال: أخفى الله عز وجل ستة فى ستة، وأظهر ستًا فى ستٍّ: أخفى الرضى فى الطاعة، وأظهر الرضى فى الغضب، وأخفى السخط فى المعصية، وأظهر التوبة على التائب، وأخفى القبول فى التوبة، وأظهر الطاعة من المعصية، وأخفى الإجابة فى الدعاء، وأظهر تفريج الكربة، وتعجيل الراحة، وأخفى الأولياء فى الناس، وأظهرهم بالعلامة، وأخفى الآجال فى المدة، وأظهرها بتمام الوقت ثم أظهر ستة فى ستٍّ: العقل من الحمق، والعلم من الجهل، واللين من الشدة، والضرّ من النفع، والغضب من الرضى، والضحك من البكاء.

وقال: العلم، والعمل محجوب حتى يصحبه الصدق فى الأصل، والاقتداء فى الفرع، والإشفاق بعد الجهد، ورؤية التقصير فى أداء الشكر.

وقال: إذا سبق إلى القلوب رهبة الخلق ورغبتهم دون الله عز وجل لم ينتفع العالم بعلمه، ولا العامل بعمله، وإذا استوطن القلب الحرص على الدنيا، وشره النفس فى حبِّ الحياة لم يزدد المكثر بالجمع إلا فقرًا، ولم يزدد الشره إلا غمًا.

وقال: من أقرَّ بجهله، وهو مُقيم عليه فاحذره، ومن حسب الجهالة علمًا فاهرب منه.

وقال: جهل المرء بعلم فرضه موت له فى الحياة، وعلمه بربه حياة فى الممات.

وقال: من رضى من نفسه بعيب غيره رماه العدو بنبل حَتْفه، ومن استعان بربه فى نفس مراده أعانه الله على صلاح أمره.

وقال: العاقل لا يُعاتب من الناس إلا حليمًا، والعالم لا يخادن منهم إلا كريمًا.

وقال: من لم يكن معه علم يحفظ به دينه، وحلم يصون به عرضه فهو حزب لعدوه مغلوب على عقله.

وقال: من صح عقله من هواه وقع من الدنيا دون شهوته، ومن رسخ به العلم فى ميدان المعرفة بادر السبق إلى ربه.

وقال: إن عرفت ربك من جهة الإيمان أطعته، وإن عرفته من جهة العلم أجللته، وإن عرفته من جهة المعرفة أحببته، وإن عرفته من جهة اليقين آثرته، فعلامة الطاعة له: اتباع الأمر، والنهى، وعلامة إجلاله:

التوقف، وعلامة محبته: المبادرة، وعلامة اليقين: المسارعة.

وقال: لكل عبدٍ حظ من والده مُعلَّق به إما فى الخِلقة أو الخُلق، وعبد قسم من اسمه لا يزايله إما فى دينه أو دنياه، ولكل عبدٍ ذنب لا يفارقه إما فى سره أو علانيته، فحظه من والده طبع فيه، وقسمه من اسمه موهبة له، وإمكانية من دينه سبب للسعادة بالتوبة أو الشقاوة بالإصرار.

وقال: لا يعرف الناس من لم يعرف زمانه، ولا يعرف زمانه من لم يعرف نفسه، ولا يعرف نفسه من لم يعرف عيوبها، ولا يعرف عيوبها من لم يعرف دينه، ولا يعرف دينه من لم يعرف دنياه، ولا يعرف دنياه من لم يعرف آخرته، ولا يعرف آخرته من لا يعرف ربه، ولا يعرف ربه بالحقيقة من لم يرض بقضائه، ويصبر على بلائه، ويشكر على نعمائه، ويؤثر بفضل ما خوله من عطائه.

وقال: الجاهل بمعرفة نفسه يحتاج إلى ثلاثة لابد له منها عقل رَصِين يُجاهد به عدوه، وعلم كثير يخالف به هواه، وشيخ يعتمد عليه فى تصحيح حاله، والعارف بنفسه يحتاج إلى ثلاثة لابد له منها: الرفق فى الرياضة، والمداراة فى السياسة، والاعتماد على الاستعانة بالله عز وجل، وذلك أنه من عرف نفسه من جهة العداوة فسد عقله بالجهل عليها، ومن جهل معرفة نفسه فسد دينه، وأعدل الناس فى المعرفة، والجهالة من طالبها بما عليها، ولم يمنعها مما عالها، وبالاستعانة بالله تمام صلاح حالها.

وقال: اصحب من الناس خمسًا واحذر منهم خمسًا. اصحب من أهل التقوى العقلاء، فإن بمحادثتهم يزيد عقلك، واصحب من العقلاء العلماء فإن باتباعهم يزول جهلك، واصحب من العلماء الرحماء فإن بمخالطتهم تزيد معرفتك، واصحب من الرحماء الخائفين، فإن بمعاشرتهم

يثبت يقينك، واصحب من الخائفين المجلين الذين أطاعوا الله لحق إعظامه، ولم يريدوا من الله غير الله تعالى فإن النظر إليهم رحمة، والاستماع لكلامهم حياة، والإعراض عنهم غفلة، والصدَّ عنهم عقوبة.

وقال: واحذر صحبة الفاجر فإن له سياسة بالشرِّ علامته تكون أخلاقه عليك، واحذر صحبة الجاهل فإن له ضراء بالشر، وعلامته رضاه بحاله، واحذر صحبة الأحمق فإن له شفعة بالشر، وعلامته الاعتلال بمن هو مثله، واحذر صحبة الجبان فإنها مذلة، يُسلمك أحوج ما تكون إليه، واحذر صحبة البخيل فإنها حسرة يقطع بها أوثق ما ترجوه، ويُمن عليك بما لم يفعل، ويستعبدك بما فعل.

وقال: تكلم الحكماء من ثلاثة أبحر، وتكلم العلماء من بحرين، فحكيم ينطق من حاله علامته الفقه فى علم الإخلاص، والمعرفة بآفات العدو، وخدع النفس، وحكيم ينطق من حاله على غيره علامته الفقه فى علم الصدق، والمعرفة بالزمان، وأهله، وحكيم ينطق من حاله لحاله، ومن حاله على غيره قد علم أصل البداية، وغاية النهاية، وارتقاء أهل الدرجات، وارتفاع أهل المقامات ببصيرة التمييز، وإصابة التوفيق، وإنما العلماء بالشرع الذين لم يتحققوا بالحكمة فعالم يتكلم بالعلم عند فرض السؤال، وآخر يتكلم فى العلم مذاكرة للعلماء يزداد علمًا إلى علمه، فمن تكلم فى الحكمة، والعلم بغير هذه الوجوه، أو من غير هذه الأصول الخمس فعدوه يذم عقله، وهواه مستحوذ عليه علامة ذلك فيه المراء أو الخصومة فى الاجتماع، والاعتلال بأهل الضعف، والاختلاف، ورد الأصل فرعًا، والفرع أصلاً بانقلاب أحوال الخصوص، وترك ترتيب العلوم.

وقال: العامة تقتدى فى الدِّين بما خفَّ على النفس حمله، ويقتدى

فى الدنيا بما يعظم على العقل حمله، والخاصة تقتدى فى الدين بما ثقل على النفس حمله، ويقتدى فى الدنيا بما خفَّ على العقل حمله، فموطن العلماء العقلاء العمال مفاز للحمقاء الجهال، وموطن الحمقاء الجهال مفاز للعلماء العقلاء العمال.

وقال: من لم يفده الإيمان علمًا فهو ضعيف، ومن لم يفده العلم خشية فهو سخيف، ومن لم تُورثه الخشية معرفة فهو معبود، ومن لم تفده المعرفة علمًا بالله، ومزيدًا فى حقيقة توحيدها فهو محجوب.

وقال: أقل فائدة فى الإيمان اتباع الأمر، واجتناب النهى، وأقل فائدة فى العلم الجدّ، والاجتهاد، وأقل فائدة فى الخشية الورع، وأقل فائدة فى المعرفة الزهد، وأقل فائدة فى العلم بالله الرضى عن الله، والتوكل على الله عز وجل.

وقال: القرآن إمام الأمة فى الدنيا، وبه نجاتهم فى الآخرة هو دليلهم، وسائقهم إلى كل مكرمة، ومن رأيتموه قد علا ذكره فى العلم، والخير، ولم يجمع القرآن فليس متحقق بالكرامة، ولا حقيقة له فى الإمامة، ومن أخلاق أهل القرآن فى اتباع شرعه القيام بحدوده، وأحكامه، والجدّ، والاجتهاد، وطلب العلم، والفائدة منه، والحلم، والتواضع، والإنصاف، والنصيحة، والألفة، والرحمة، وكفٍّ الأذى، وإيصال النفع، ومخالفة الهوى، وردٍّ الغيظ، وكفٍّ الغضب، والسلامة من دعوى الخلق، والسماحة فى ذات الله عز وجل، وحسن الخلق، والنبل فى المعاشرة، والحلاوة فى المخالطة، والحب فى الله، والبغض فيه فمن وجدتم فيه هذه الأخلاق من أهل القرآن، والعلم فهو من أهل الله، وخاصته الحاملين الحجة عنه، ومن لم تكن فيه هذه الأخلاق فليس بمتحقق فى العلم، والقراءة، وإن حفظ القرآن بإعرابه، وعرف خاصه

من عامه، وحفظ الحديث، والسنة، وإجماع العلماء، واختلافهم، وعسى أن يكون طالبًا، ومتقرئ، ومن رأيتموه بخلاف هذه العشرين خلقًا فإنما بيده من العلم، والقرآن حجة عليه، وذلة له، وصغار، وحسرة، وندامة يوم يُدان الناس بأعمالهم فى القيامة.

وقال: غفلة العلماء بالأمر والنهى يورثهم محبة المال والشرف، وغفلة العلماء بالأمر والنهى عن المعرفة بالله والعلم به تُورثهم الجد والاجتهاد، وغفلة العلماء بالأمر والنهى عن المعرفة بالله والعلم به تورثهم النصيحة لله والرحمة لعباده.

وقال: من أعمال أصحاب اليمين ثلاثة: الكفُّ عن الحُرمات، والمبادرة للصالحات، والتوقف عند الشبهات، ومن أعمال المقربين ثلاثة: طهارة الأسرار من الإثم، وطيب الظاهر بالبر، ودوام الاستقامة على فعل الخير، ومن أخلاق الفجار ثلاثة: إظهار الشر، وكتمان الباطل، وبذاءة اللسان، ومن أخلاق المنافق ثلاثة: الكذب فى حديثه، والخلف فى موعده، والخيانة فى أمانته.

وقال: إذا لم تكن فى صاحبك ثلاثة فاحذره: حفظه ليمينه، ورعايته للمكافآت بالصنائع، وكتمان سره، وإذا لم يكن فيه ثلاثة فلا تغترنَّ به، به خفة ظهر من دماء المسلمين، وبطنه من أموالهم، ولسانه من أعراضهم.

وقال: ما أعظم فتنة القتات، وأكثر ندامة المغتاب المؤمن يذنب ثم يتوب، والقتات، والمغتاب يخسر ثم لا يربح.

وقال: الكفار يتخبرون للصحابة، والمنافقون يتخبرون للأولياء، والصديقين، والفاسقون يتخبرون للمذنبين، والمخلطين.

وقال: لكل حق حقيقة، ومن لا حق له لم تكن له حقيقة، والحق أصل فى البداية، والحقيقة فرع فى النهاية.

وقال: أحكام اليقين مباينة فى المقامات، والدرجات، لأحوال العلم فى الرتب، والأحوال، وذلك أن أهل العلم يتكلمون على طريق التعبد، وأهل اليقين يتكلمون على طريق العبودية، والفرق فى ذلك أن العالم بالأمر يعبد الله على الإشفاق، والخشية، والعالم بالله يعبد الله على الإجلال، والعظمة، والعالم بالأمر يعامل الله بعفو ما لله للمجازاة، والعالم بالله يعامل الله بالإيثار، والمحبة.

وقال: الموت لأهل العلم، والمعرفة مزيد يقين بمزيد العطاء، وهو لأهل التخاليط مزيد يقين بمزيد حسرة، وهو لأهل الجحد، والنفاق مزيد يقين لمزيد حسرة، ومنع.

وقال: عين اليقين الآخرة فى الدنيا علم، وعلم اليقين الدنيا فى الآخرة عين.

وقال: حجاب الفهوم عقوبة عمى القلوب، وعمى القلوب من تراكم ران الذنوب، وكشف أغطية الفهوم من ضياء القلوب، ونور القلوب من وجود معاينة الغيوب.

وقال: قلوب الأبرار أرضية لا يُجاوز فكرها العلاء، وقلوب أصحاب اليمين سماوية، وقلوب المقربين عرشية.

وقال: طوبى لمن جعل الله قلبه ودائعًا لمعرفة نعمه، وأوزعه الشكر عليها.

وقال: طوبى ثم طوبى لمن جعل الله بدنه عرضًا للبلاء، ووهب له الصبر عليها، والرضى عنه.

وقال: طوبى لمن استعمله الله بالحق فى سنة، ورآه لذلك أهلاً، ثم طوبى ثم طوبى لمن نصبه الله داعيًا إليه بما علمه، واستعمله على النصيحة، والرحمة، ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن رزق الصبر على الأذى فيه وأخذه تأديبًا منه حتى يتوفاه عليه.

وقال: إظهار الوجود عند الذكر، والتفكر علة، وضعف فى الحال، وكتمانه قوة، وتأبيد من الحق، والكمدية شهادة فى قِبل الحق.

وقال: كل من عرف بمعنى من البر يغلبه، وهو لا يقدر على كتمانه فهو ضعيف إلا أن يُريد الله إظهاره على أهل القوة إما رحمةً للقدرة، وإما نقمة للمكذب، وكل من ظهر عليه حال، وهو قادر على كتمانه فهو نفاقٌ فى الحال مخدوع مخذول، فرضه التوبة، والتنصل[١].

وقال: حرام أن يتسع العبد فى هذا الزمان فى الشهوات إلا بالحرام، وأخذ الشبهات، وحرام على عبد أن يتسع من الحرام المحض أن يكون للمتقين إمامًا.

وقال: لا يذوق العبد طعام الحرية فى العبودية حتى يذوق طعم العبودية فى المجاهدة، والمخالفة، والمكابدة كذلك يجد السهولة، والراحة، واللذة، ومن أراد أن يكون ملكًا قبل أن يكون عبدًا فسد عليه حاله بالإتراف، وفسد على الرعايا حالهم بالجور، والإسراف.

وقال: أبناء الدنيا، والآخرة ملوك، ومملوكون، فالمملوكون ثلاثة: مملوك لعدوه، ومملوك لدنياه، ومملوك لنفسه، وهواه، والملوك اثنان: مالك لحاله، ومملوك لحاله، فالمالك لحاله أقوى، وأعلم، وأعرف، والمملوك لحاله عبد للحال لأنه أضعف، وأبعد.

(١) أى النزع، نزع سهم العجب والاغترار [صحاح: نصل].

وقال: المملوك لحاله عبدٌ لحظ نفسه، والمالك لحاله حرم من تدبيره لنفسه، فالقدر يصرف المالك لحاله بأمر ربه، والقدرة تصرف المالك لحاله بمحبة ربه، لأن المملوك يعمل على الحيل، والتدبير، والمالك مستعمل على الموافقة فى التقدير.

وقال: حسب العبد إذا كوشف بالعبودية أن يسأل مولاه العفو، فإذا كوشف بالألوهية، أن يسأل مولاه الفوز بالنظر إليه.

وقال: حسب العبد إذا دعته نفسه إلى أمرٍ لا يرضى زجرها بالأدب، والرياضة، فإن أبت أخذها بالعقوبة، والشدة، ويستعين على ذلك بالله، وحسبه إذا دعته نفسه إلى أمر يرضى أن يرغب إلى مولاه بالفقر، والفاقة، وطرح الكنف بين يديه، ويتوكل فى أنائه، وتمامه على الله عز وجل، فعسى أن يكفيه الله ما عسر، ويحفظه فيما تيسر، وليقل فى سؤاله رب كلفتنى أداء فرضك، وحركتنى إلى ما هو أعلى عندك، وكل ذلك منك، ولك، وهو بيدك، فاصرف عنى ما أكره برحمتك، وأعنى بجودك، وكرمك، وإن تفضلت فأنت أهل لذلك، وإن منعت فأنا أهل لذلك فحسبى فى جميع أمورى علمك، وما شئت يا علام الغيوب.

وقال: لا يصل أحدٌ إلى الله عز وجل إلا بالله، ولا يتصل أحدٌ بالله إلا من جهة الإيمان به، وملائكته، وكتبه، ورسله، ووعده، ووعيده، وهو البعث، والمجازات، والخلود فى الدَّارين بما سبق لهم فى القديم فريق فى الجنة بسعادة الله، وفريق فى النار بشقاوة الله.

وقال: لكل واصل إلى الله باب يدخل منه إلى الله، وهى: أربعة أبواب تفترق بأهلها على بضع وسبعين بابًا عدد أجزاء الإيمان، وأما درجات اليقين فى المقامات، والمراتب، والمقاصد، والأحوال فلا يعلم بفرقة جمعها، ولا جمع تفريقها إلا الله عز وجل، فباب الإخلاص فى

الإيمان لا يدخل منه إلا تائب، وباب الصدق فى الأعمال لا يدخل منه إلا مريد، وباب الصبر على اتباع الأمر، واجتناب النهى لا يدخل منه إلا عارف، وباب الشكر فى العطاء، والرضى فى المنع لا يدخل منه إلا عالم.

وقال: أسباب الحفظ، والتوفيق أصلان: التمسك بالكتاب، والاعتصام بالسنة، وأسباب الترك، والخذلان أصلان: القبول من العدو، وموافقة الهوى.

وقال: المكر أخفى من البطش، والاستدراج أرقّ من المكر، والبطش، والنظر للكفار، والمكر لأهل النفاق، والاستدراج لأهل الإيمان بالأهل، والولد، والمال، والذكر، والصوت، والسلطان، والقدرة.

وقال: لا يكون مستدرجًا محفوظًا، وقد يكون مفتون مرحومًا، وأصل الاستدراج على وجهين: يفترق إلى فنون كثيرة فمستدرج فى نفسه عن وجود الحق، ومستدرج بدنياه عن إصابة وجود الحقيقة، والفتنة من الاستدراج بمنزلة الرأس من الجسد، وأصلها على وجهين تفترق على فنون كثيرة: فمفتون بالشر جاهل بالخير، ومفتون بالخير عالم بالخير والشر.

وقال: أضرّ الفتنة على أهل الإيمان العلم، والجهل، والغنى، والفقر، والصحة، والسقم، والشره، والرجاء، والخوف، والأمن، وهذا هو البلوى بالخير، أو الشر اختبارًا للخلق.

وقال: احذر صحبة من أصرَّ على صغير بما نهاه الله عنه، فإنه يجرك إلى معصية، واحذر خلطة من أصر على صغير ما خالف الإجماع عليه، فإنه يدعوك إلى بدعته.

وقال: كيف تثق بمودة من يدعى محبتك فى رضى نفسه، ولا ينصفك عند مخالفة هواه فى سخط ربه.

وقال: أضرّ الناس على هذه الأمة بعد منافقيها عالم يظهر الورع، ويخفى الحرص، والرغبة فى الدنيا، وأضرّ منه عارفٌ يظهر الزهد، ويُحب الثناء، والرئاسة.

وقال: ما أكثر من يُشير إلى الحق، وأقل من يعمل بالحقيقة، وأكثر من يدعى المعرفة بك، وأقل من ينصفك بعد العلم.

وقال: أهل المحبة فى أهل الخشية عزباء، وأهل الود فى أهل المحبة غرباء.

وقال: أجل مقام أُعطى أهل العلم فى الدنيا الفقر إلى الله عز وجل، وأجل مقام أعطى أهل العلم الغنى بالله، وأفضل ما نالوه فى الآخرة الرضى من الله، والنظر إلى الله، وفى هذه الأربعة حى من حى، ومات من مات.

وقال: كل من أظهره الله للخلق بمعنى من العلم فلا يخلو من وجهين إما رحمة لمزيد الرياضة، وإما نقمة بمزيد السخط، إما من نفسه لنفسه لغيره، وكل من أخفاه الله بمعنى من المعرفة فلا يخلو من وجهين: إما رحمة لمزيد الرياضة، وإما رحمة للخلق بنفسه.

وقال: لما أحبوا السلامة لدنياهم بنقص دينهم، ورضوا بالإقامة على الجهل فيما يتقربون به لآخرتهم تداعت عليهم جنود الهوى فطفى نور العقل، وهو زوال الفهم، والفطنة فقامت فهم شواهد الدعوى فى طريق العلم، والتقوى فصار الإيمان تحليًا والعلم والقرآن تصنعًا، واليقين ظنًا، وعادات الأحداث فيهم سنة، ودينًا.

وقال: أعلى درجات أهل اليمين: العلم بالإيثار فى سبيل الاتباع، وأرفع رتب أهل الإحسان الفقه على حفظ الأصول، وأجل مقامات أهل العلم، والفقه إصابة الحكمة فى استنباط الشرع فى الحادثات، ووجود البصيرة فى هدايات القلوب فى رتب أهل اليقين.

وقال: من آداب الحكماء، والعلماء، والفقهاء أن يكونوا داعين إلى الله عز وجل دالين على سنة رسول الله ﷺ قائمين لله بالنصيحة فى عباده حافظين لحدوده، ورحماء بالمؤمنين، فمتى كانوا بهذا الوصف فهم خلائف الله فى أرضه، وورثة أنبيائه فى دينه، ومتى كانوا بغير هذا الوصف عادوا حمقاء فى الحكمة جهلاء فى العلم سفهاء فى الفقة ضررهم على أنفسهم، وعلى الأمة كفتنة العدو، وجنوده.

وقال: اعقل بفهم، واسمع نصيحة أخ عليك مشفق، واحذر أولاً نفسك فى ابتداع الهوى، واتهم رأيك بعد مشورة، أو فى النهى، واجتنب كل مترف من أبناء الدنيا، وكل أحمق من أبناء الآخرة، ولا تأمن على عقلك عالمًا مفتونًا، ولا تطع كل عالم مغرور واسْعَ فى فكاك نفسك بصدق، وفى رضى ربك بصحبة، والسلام.

وقال: من ابتغى الحق وجده، ومن وجده بادره، ومن بادره عمل به، ومن عمل به ظهرت عليه بركاته، وعادت عليه مواريثه، فإن ابتغيت الحق بالسمع، والطاعة فأنت الفائز السعيد، وإن أعرضت عنه جهلاً، أو هوى بعد العلم فأنت المحروم الشقى فيا لها من نصيحة، ورحمة، ويالها من حجة، ونقمة.

وقال: الواجب لكم علينا الإيثار بالأفضل فإن قصر بنا التخلف فبذل النصيحة فى معروف، فإن حجبنا عنه فله الإنصاف فكفٍّ الأذى عنكم بالدعاء، والرحمة لكم.

وقال: ليس العجب ممن أشغله الغنى عن طلب الآخرة، إنما العجب من فقير أشغله الهم بالمضمون عن الله عز وجل.

وقال: ذهب أهل الأنس، وبقى أهل الوحشة الخاص منهم عامى، والعامىّ منهم حيران.

وقال: كيف يفلح مريد بين أربعة أضداد؟ عالم غافل لا ينهاه، وناسك جاهل لا يأمره، ومؤثر من الدنيا لا يؤثره، ومعسر منها يتزين به ليأخذ الدنيا بسببه.

وقال: من لم يكن معه أربعة أخلاق يعاشر بها أبناء الدنيا، وأربعة آداب يخالط بها أبناء الآخرة، فلا عيش له فى نفسه؛ ولا مهنأة لأصحابه معه فأما الأربعة التى للدنيا حُسن الخلق، وسماحة الكف، والأخذ بالفضل، وبذل المعروف بترك الامتنان، وأما الأربعة التى للآخرة: فالموالاة فى الدين، والتعاون على البر، والتقوى، والألفة بالإنصاف، والمؤاخاة على النصيحة.

وقال: إذا نشرت الأذى فلا سبيل لك إلى الاستقامة، وإذا أخذت حقك فلا سهم لك فى المعروف.

وقال: الوقوف مع الهم علامة بصحة الإرادة، والنظر فى النية علامة لصفاء المعاملة.

وقال: الورع شعبة من الزهد، والزهد شعبة من المحبة، والمحبة شعبة من الرضى، والرضى شعبة من التوكل.

وقال: الخوف، والرجاء مطايا العمال، والصبر، والشكر زاد العلماء الأخيار.

وقال: من لم يفده الخوف والرهبة، والرجاء والرغبة، فبره هباء،

ومن لم يفده الصبر، والشكر والتعفف، والتكرم، فبره سراب، وعلامة الرغبة الجد، والاجتهاد، وعلامة الرهبة الورع، والزهد، وعلامة الصبر التحمل بترك الشكوى، وعلامة الشكر الإيثار بالتواضع.

وقال: إذا كان لابد لك من الله، ولا غنى بك عن الله، ولا من النفوس عوض، ولا من الأيام خلف فالتهاون بذهاب العمر سخف، والتغافل عن ممر الأوقات حمق.

وقال: كم رأيت من واعظةٍ لم تزجرك، وكم رأيت من عبرة لم تحجزك، إنك لم تزل منذ عقلت مخبرًا عن غيرك فسوف تصير خبرًا عند غيرك فكن أنت موعظ بالذاهب قبلك قبل أن يعتبر بك الباقى بعدك.

وقال: من سعادة العبد التفكر بالاعتبار، والتيقظ بالأذكار، ومبادرة البرهة فى ساعة المهلة، ومن شقاوة العبد الشغل باللذات، والتهاون بالساعات، والرضى بالدنيا من الآخرة، وبحظ النفس من الله عز وجل.

وقال: استعد للجواب، وخذ لحظك قبل ذهاب عمرك، وأنك ميت، ومحاسب أنت اليوم فى أعمال محفوظة، وهى غدًا عليك معروضة فإن اعترفت فلا حجة لك، وإن أنكرت فالشهداء منك عليك.

وقال: سبحان من خلق، ورزق، وأنعم، وأفضل، وجاد بالإحسان، ودام بالطول فى نصيحة الأديان، وسلامة العقول، والأبدان رب خلقت فأنعمت، وتفضلت فأسبغت، وسترت فعافيت، وحلمت فأمهلت، وتظهر الخير كأن الخلق أرباب، وتستر الشر كأن العبيد أحرار، ربِّ إن تطالب عبادك بحقك تعذبهم، والحجة لك، وإن تعفو عنهم ترحمهم، والمنة لك، رب لو كان لى ملجأ لاستغثت بك، ولو كان لى مستغاث

لقصدتك بك، كيف، ولا ملجأ منك إلا إليك، ولا مستغاث إلا بك حسبى أنت يا أرحم الراحمين.

وقال: شرّ زمان للعامة يكون التقى منهم ذليلاً حقيرًا، وشر زمان للخاصة يكون الفاجر منهم عزيزاً شريفًا.

وقال: إذا رأيت التقى المتعفف ممقوتًا فى جيرته مبغوضًا فى جيرته وأهله ثقيلاً عند معارفه فاعلم أنه صاحب حق قائل به عامل بالصدق. وإذا رأيت الفاجر السفيه مُقربًا عندهم محبوبًا فاعلم أنهم أهل خِب، وباطل، ودهان، وبلوى، وامتحان.

وقال: ما أقبح زمانًا لا سلطان فيه للمؤمن على الظالم، وأقبح من ذلك الزمان زمان يجد فيه الظالم على ظلمه أعوانًا، وأقبح من ذلك الزمان زمان يُرى فيه الظلم إحسانًا.

وقال: لو كان هم الناس محاسبة أنفسهم فيما افترض الله عليهم، وتصفية أقواتهم التى تصح بها عباداتهم، ومراعاة خواطرهم التى بها تثبت عبوديتهم: كفوا الهموم الواردة عليهم من جبار، وسلطان، وحاسد، وباغ.

وقال: إن فيما فرض الله عز وجل شغل عن الناس، وإن فى ذكر الآخرة، والعدة، والاستعداد لتلك الشدائد، والأهوال شغل عن الدنيا، وشهواتها، ولذاتها، والشغل الأول يورث مزيد الإيمان، والعلم، والمعرفة، واليقين، والشغل الثانى يورث التعفف، والقناعة، والغنى، والورع، والزهد، والإشفاق، والخوف، والرجاء، والصبر، والشكر، والمحبة، والإيثار، والحياء، والمراقبة، والرضى، والتوكل، والفقر، والفاقة إلى الله عز وجل.

وقال: لما أهملوا أمر الله عز وجل أسلموا إلى عباده، ولما تركوا المحاسبة لأنفسهم عموا عن عيوبهم، فكانت عقوبة الخذلة التعلق بالخلق دون الله عز وجل، وكانت عقوبة الترك للرعاية رجوعهم إلى الخب، والحيل، والتدابر، والتقاطع فيما بينهم، والتدابر، والتحاسد.

وقال: بتضييع النية يفسد السر، وبمخالفة الأصول تفسد العلانية، والسر موضع التصديق، والمحاسبة، والعلانية موضع الحدود والأحكام.

وقال: لما تركوا الوقوف مع الهموم الجارية فى أسرارهم ظفر بهم العدو فى الظاهر، والباطن، ولما خالفوا طريق السلف أشرعت فيهم البدع، والأحداث فصارت الأعمال دعوى بالمؤمنين بالمواحيد، وصار العلم تمنى بالرأى، والاستحسان، ومعقول يفسد على أهل الظاهر ظاهرهم، وعلى أهل الباطن باطنهم.

وقال: لا يترك صحبة الناس فى البداية إلا معجب بنفسه، ولا يصحبهم لنفسه إلا عليل، وإنما تصح العزلة، والانفراد بعد العلم، والمعرفة، واليقين، وتصحب الناس لآداب النفوس، وصلاح القلوب، والاستقامة فى الدين.

وقال: لا يصحب المداهن إلا ضعيف، ولا يسكن إلى الباطل إلا سقيم، فعلامة المداهن ترك المناصحة، وعلامة السقيم أخذ ما وافق الهوى والنفس، وترك ما ثقل حمله، وعقوبة هؤلاء ترك نص الكتاب، وبيان السنة، والطعن على أهل الآثار، والرواية، وإقامة الأعذار بأهل الضعف، والجهالة خوف من سقوط الجاه، والمنزلة.

وقال: كان خاصة الناس يؤدون الفروض الواجبة لإيجاب حق الله عزّ وجل ثم جاء قوم يؤدونها لما عند الله عز وجل، ثم جاء قوم يؤدونها

للدنيا، والآخرة ثم جاء قوم يؤدونها عند فراغهم من دنياهم لا يدرون لما يعملون، ولا يعقلون ما يقصدون قد أضاعوا علم النية، وفقد منهم وجود الخشية، وكأنك بقوم يؤدونها على دمائهم، وعادة لأوقاتهم، ثم يأتى قوم لا يستحيون فى تركها، ويسخرون بمن أقامها.

وقال: كان الناس يؤدون الحقوق الواجبة عليهم خوفًا من الله عز وجل، ثم جاء قوم يؤدونها ديانة، ثم جاء قوم يؤدونها مروءة، ثم جاء قوم يؤدونها حياءً، ثم جاء آخرون يرون حقوق الناس منعها، وآدائها مغرمًا لا يوفون بعهد، ولا يصدقون فى وعد.

وقال: ابن آدم المسكين لو أحب ربه أطاعه، ولو أطاعه لم يخالفه، ولو عرف ربه لاستعان به، ولو استعان به لم يسلمه، ولكنه أحب الدنيا، وآثرها، وجهل أمر الله عز وجل فى الآخرة فنسيها[1].

---

(١) قال الإمام الشعرانى: ومما منَّ الله تبارك وتعالى به علىّ: عملى دائمًا للطاعات أوائل دخولى فى الطريق على تحصيل مقام الصديقية والشهادة، دون تحصيل طريق الولاية، بإشارة سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه. فإن الصديقية والشهادة من مراتب الولاية، وهى مرتبة مخصوصة لأقوام مخصوصين، على عدد مخصوص، لكن العدد بالمراتب يكون فى المرتبتين واحد كالقطب، وربما يكون الرجلان بمنزلة الرجل الواحد وعكسه، ولا طريق للولاية ظاهراً حتى تطلب، إنما هى أخذة تأخذ العبد على أى حالة كان فتنقلب عينه وليًا خالصًا فى أسرع من لمح البصر، وهذا ليس للعبد فيه تعمل، لأنه من الوهب لا من الكسب. فعلم أن جميع من يشتغل بالرياضة ويدخل الخلوة طلبًا لحصول الولاية مغرور، وغايته التشبه بالأولياء فى المراسم والهبات، وظواهر الأعمال لا غير، فهو كالرطب المعمول الذى يحمض ويتلف عن قرب، بخلاف الولى الخالص، فإنه كالرطب الجنى لا يزداد على مر الأيام إلا حلاوة.

وسمعت سيدى عليًا الخواص رحمه الله تعالى يقول الشخص: اختل وأكثر من الذكر والجوع طلبًا للولاية، فقال له: يا مبارك الحال، اخرج من هذه الخلوة، وما قسم لك لابد من حصوله، فإن الولاية الخاصة لا تنال بعمل، لأنهم محبوبون كالأنبياء بالاختصاص الإلهى من غير عمل تقدم.

وأما الولاية العامة فقد تنال بعمل كما أشار إليه قوله تعالى: «ولا يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه» فما حصلت محبة الحق لمثل هذا العبد إلا بعد تفعل، وذلك مذموم فى =

وقال: كيف لا تشكر مولاك، وتذكره، وقد أعانك بكل جوارحك عن الكل، وأغناك بدينك عن الخلق عجبت لك كيف لا تقبل عليه، وتؤثره؟! وقد قصدك بفضله، وموعظته، ولم يضيعك فى خلقه، ولم يهملك فى عباده، خلقك وهو الغنىّ عنك، وهداك من أجل فقرك إليه، وجعل لك عقلاً تفهم به، ولسانًا تذكر به، وسمعًا، وبصرًا لتعتبر، وتذكر، وقوة، وصحة، وقلبًا، ودينًا، ووعدك الجزيل على طاعته، ونهاك عن كل قبيح فى العقل، ودنى فى الفعل، وعطف الأبوين عليك بالرحمة، ويسر لك عند الناس المودة أعقل من فعل بك ذلك، ولم فعل ذلك اليد جزاك بها، أم لنفعٍ رجاه منه، أم كان ذلك كله بك فكيف يكون شكرك لنعمه، ومودتك له؟!

وقال: ليس من يطلبه الملك لمحبته له كمن يطلب الملك لحاجته إليه، وليس من يريد الملك لنفسه كمن يريده لحاجة الخلق إليه.

وقال: لله عز وجل عباد أفردهم له، وله عباد أفردهم له وللخلق، وله عباد أفردهم للخلق من غير انقطاع عنه، وخلق خلقًا لا حاجة له فيهم فهم لأنفسهم، وصلاح دنياهم، وإقامة حظوظهم، ومعايشهم.

وقال: خاب من لا حاجة له عند ربه فى آخرته، وخسر من لا حاجة

= طريق الخواص، محمود فى طريق غيرهم، إذ لم يجدوا من يرشدهم إلى تحقيق الخواص، ثم قال له: يا أخى لو أن شيخك أخلاك وجوعك ثلاثين سنة، لم تصل إلى مقام الولاية التى جعلت جوعك طريقًا لتحصيلها، فقال: لا أخرج من هذه الخلوة أبدًا، فقال الشيخ: تب إلى الله تعالى، واعبد ربك امتثالاً لأمره، فإن أجلك قد قرب، فأبى، ثم مات بعد يومين بالجوع، فأعلمت الشيخ به، فقال: لا تصل عليه، فإنه مات عاصيًا لقتله نفسه بالجوع.

وكان رضى الله عنه يقول: حكم هؤلاء الذين يأخذون العهد على المريدين بالجوع والرياضة ليصيروا أولياء، حكم من أراد أن يجعل شجرة أم غيلان تطرح رطبًا، أو شجر الجميز يصير تفاحًا، أو شقف الطباخ الزفورى تصير كآنية الصين، وذلك لا يصح أبدًا، انتهى. وانظر: (لطائف المنن ص٤٤٤، ٤٤٦).

له عنده فى دينه، وظفر بالغاية من انطوت حوائجه فى الدنيا، والآخرة إلى حاجة عنده.

وقال: لقد شقىّ مريدٌ لا حاجة له عند العارفين، ولا سنة له عند الصادقين، وسعد عبدٌ كثرت حوائجه عند العلماء فى دينه، وهو فقير فى الكل إلى ربه.

وقال: الناس كلهم موتى إلا من أحياه الله بالإيمان، وأهل الإيمان فى غفلة إلا من أيقظه الله بالعلم، وأهل العلم فى حجاب إلا من أوجد المعرفة، وأهل المعرفة فى تحير إلا من آواه الحق إلى العلم به على أصل إيمانه، وعلمه، ومعرفته فاستعمله بذلك، وأفقره فى ذلك، فهؤلاء الذين ورثوا من إيمانهم مزيد الهداية وورثوا من علمهم مزيد الخشية، وورثوا من معرفتهم وجود الحكمة، ومن سواهم موقوف على نيته غير متحقق بإرادته.

وقال: كل أهل الإيمان، والعلم فى حق غير أنهم محجوبون عن الحقيقة حتى يجدون علم اليقين من حقيقة علم التوحيد يشهد لذلك قصة حارثة بن محصن مع النبى ﷺ.

وقال: كل الخلق مقفول القلب عن الحقيقة إلا أهل اليقين فمنهم: صامت لتجلجل الحكمة فى صدره، ومنهم ناطق بها مُعبر عنها فطوبى لعبد شرح الله صدره، إما بتصديق بهذا العلم، وإما بنطق فيه على أصول الشرع بموافقة الاقتداء.

وقال: كل مُنطق بمعنى من الحق فهو لسان للحق فى الحق المتقدم فمن خصَّه الله عز وجل به على الإلهام فهو لسان الحق عين الحق حجة، ورحمة على الخلق، وللخلق.

وقال: عيون الحق، وألسنة نطقهم متصل به لأن بدأه منهم، ورجوعه منهم إليه لشاهده ما يجرى عليهم بحوله، وقوته، وإخراج نظرهم منه لأنفسهم، وهم أصحاب الأحوال، وأرباب الأحوال الذين كشف الله لهم غواشى أغطية الغفلة عن قلوبهم فعبروا أحوال الخلق فى المقامات، والدرجات، والمنازل، والمراتب الجائرة عليها خطوب الخاصة، والعامة من أهل درج الجنان، وأدراك النار.

وقال: تكلم الناس فى هذا العلم من ثلاث معادن تحت العرش بدا له معدن القرب، ومعدن التقريب، ومعدن الاقتراب: فمريد صادق بدت له عيون من القرب فتكلم من وجود حاله، ومريد صادق صديق بدت له عيون من التقريب فنطق من وجود حاله فى حاله، ومراد بالإرادة، والصدق، والصديقية بدت له عيون من الاقتراب فمنطق من وجود حاله فى حاله على وجود حال غيره، إما بعينه عن شهوده فى حاله، وإما بوجود شهود حاله فالأول: عبد للحال، والثانى: مستعبد فى الحال، والثالث: رب للأحوال معيار للخلق معيار للحق، وهم الأوتاد فى كل زمان.

وقال: من عرف التمييز من المحكم والمتشابه من الكتاب، والسنة، والناسخ والمنسوخ فى الأمر، والنهى، والترغيب من الترهيب، والخاص من العام فى ذلك جاز له الاستنباط فى بيان الأحكام، والحدود، ومعانى الخوف، والرجاء، والصبر، والشكر، والصدق، والإخلاص، ونحو ذلك، ومن عرف التمييز بين المحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والترغيب والترهيب، والخاص والعام فى الكتاب والسنة، وفهم التفصيل بين مقامات الإيمان، ودرجات اليقين، ورتب الإحسان، وأخلاق الآداب فى كل حال بوجود معرفة أصله، وفرعه، وظاهره، وباطنه،

وحكمه، وحدّه، وميراثه، وبدايته، ونهايته جاز له الكلام فى دقائق الأحكام، وغرائب الحدود من فروع علم الظاهر عند النوازل من المشكلات الغوامض، ومن جمع له العلم الأول، والثانى بمعرفة التمييز بين المداراة، والمداهنة فى موارد الرضى، والغضب، والرغبة، والرهبة جاز له الكلام على متشابه الهوى، ومحكم الفعل، وحواظر النفوس، وزواجر العقل، وطبائع الأرواح العلوية، والنفوس الأرضية، ومن جمع له العلم الأول، والثانى، والثالث بعرفة التمييز بوجود الغنى فى الفقر، والفقر فى الغنى، والغنى فى الغنى، والفقر فى الفقر، والغيبة فى الشهود، والمشاهدة فى الغيبة، والفناء فى البقاء، والبقاء فى الفناء جاز له الكلام فى شواهد الانبساط مع الحق، ومراتب الحضور فى مشاهدة الحق بلسان تجديد التوحيد للواحد القهار.

وقال: لا يعرف نفسه إلا عاقل، ولا يعرف نفسه، وزمانه إلا عاقل، ومريد عارف، ولا يعرف ربه بالحقيقة إلا عاقل مريد عارف عالم، ولا يعرف دينه إلا عاقل مريد عارف موفق بمعرفة هذه الأربع يتم حال العبد من جهة العبودية، وأما تمام حاله من جهة حقيقة الربوبية، فلا تتم إلا بأربعة أخرى يكون خوفة من الله، ورجاؤه فى الله، وغناؤه بالله، وفقره إلى الله، وإما مريد حاله فى تمامه فإنه لا ينال ذلك إلا بأربعة أخرى: بذل النصيحة لله فى خلقه، وموافقته لله فى محبوبه، وإيثاره لله على مراده، وخروجه إلى الله من رؤية حاله.

وقال: اختبرت أهل الإتراف فوجدت فيهم أربع خلال دنيئة: زيادة الحمق بزيادة الدراهم، وزيادة الجهل بمزيد العلم، وزيادة البخل مع دعوى المصافات، ومزيد الملك لإخوانهم مع الاستغناء عنهم، واختبرت أهل الفقر فوجدت فيهم أربع خلال رديئة: يحب أحدهم أبناء الدنيا

لحظه، ويبغض الفقراء لمراده، ويرضى عن من يُعطيه، ولا يسأل من يمنعه، واختبرتُ قراء أهل هذا الزمان، وعالمهم، ومتعلمهم فوجدتُ فيهم أربع خصال موبقة: الرغبة فى الثناء فى الرئاسة، والحرص مع الحقد فى القلوب، والتحاسد لموافقة الهوى، والتصنع لأبناء الدنيا للدنيا، والتكلف فى الدين بغير علم، ولا معرفة لخوف سقوط المنزلة فأصبحوا جميعًا قد تعطلت همومهم من الآخرة لهم دنياهم، وزال عنهم خوف الفوت، ورغبة السبق لغروب عقولهم، وذهبت منهم الألفة، والمودة لله، وفى الله لقسوة قلوبهم، وتراكبت الغفلة عليهم، وعدم منهم المعاداة، والموالاة لله وفى الله لكثرة مداهنتهم، وخوفهم على ما بأيديهم إلا ما شاء الله، وقليلٌ ما هم.

وقال: لما رضى الحمقاء بصحبة الجهل عن طلب العلم فسدت دنياهم بالحرص، والرغبة، ولما رضى العلماء باسم العلم عن العمل فسد دينهم لمحبة الحظوة، والمنزلة، ولما رضى العمال باسم العمل على ترك التعفف، والورع ذهبت منهم الخشية، ولما رضى أهل التعفف، والورع بالاسم دون الصحة فى المقصد، ذهبت منهم علم الزهد، وتقطعوا بالأعلى فحرموا أخذ الحلال بالتصنع، واستحلوا الشبهات موافقة الهوى من أهل الرقيب، والعمى فسلبوا أنوار البصائر حتى رجعوا إلى جهلة الحمقاء بصحة الهوى، والنفس، والعدو، والدنيا.

وقال: من رغب عن آداب العقلاء بالعلم، وصحة التقوى بالورع لم يجد نور بهجة الأبرار، ولم يصل إلى زهرة المعرفة، ومن رغب عن دلالات العقلاء العارفين بمعنى العلم، واليقين لم يصل إلى حقيقة العلم بالله المصحوب بالغنى فى وجود العدم، والفقر فى وجود الغنى، وكل عالم، وعامل، ومتورع، وزاهد لم يكن، وردَّه إلى هذين الأصلين فى

الغنى، والفقر، وخروجه منها إلى ربه فهو فى حيرة، وشبهة يصير الابتداء منتهى، والمنتهى مبتدأ، وفى هذا غلط أكثر أهل الرقة من العلماء، والنساك إلا من عصم الله عز وجل.

وقال: البداية صولة، والمعرفة سكرة، فمن أخذ علم حاله من بدايته انقطع، ومن علم حاله من سكره ومعرفته افتتن، فإن أُريد بالمزيد الاصطناع رجع إلى أحكام الأمر، والنهى، والترغيب، والترهيب، والرفق، والأناة برؤية الحياء، والمراقبة، والإجلال، والإعظام، والهيبة فى وجوده، وشهادته، وحضوره، وغيبته.

وقال: من لم يقف فى بدايته مع الرفق وقع فى العجب والملالة، ولم يزده فى المعرفة الافتقار إلى ربه وقع فى خدع العدو، والنفس بالأمانى، والتسويف.

وقال: إذا رضى العاقل بالوقوف مع وجود عقله عن مباشرة العلم، وسكن العالم إلى شاهد عمله، واطمأن الورع إلى قدرته على نفسه، ووثق العارف بحاله مع رؤية، أدركتهم ثلاث عقوبات كل العقوبات داخلة فيه الدعوى فى المقامات، ورؤية الحال فى العبادات، والازدراء بالغير لما وجدوا من الحلاوات، ولا نجاة لهم من هذا البلاء حتى يخرجوا إلى الله عز وجل من حالهم بالفقر، والفاقة إليه، فيصير موضع الدعوى خوف السلب، وموضع الرؤية للحال خوف الفوت، وموضع الازدراء التعاطف بالرأفة، والرحمة.

وقال: طلب علم الحلال، والحرام مما تعبد الله عز وجل به عباده فريضة على أهل الإيمان طلبه من الكتاب والسنة، فإذا أحكموا ذلك فواجب عليهم طلب علم الصدق والإخلاص، فإذا أحكموا ذلك فواجب عليهم طلب علم الصبر والشكر، فإذا أحكموا ذلك فواجب

عليهم طلب علم الترغيب والترهيب، فإذا أحكموا ذلك بعد معرفة توحيدهم، والسنن الواجبة من السنة فى ترغيب التفقه فى الفروع، والاختلاف لإقامة الحجة، وإيضاح الحجة بسبعة ما صلحت به النية، وأريد الله به، والدار الآخرة، والفضل، والرغبة فى طلب حال نفسه فيما يجب لله عليه من رعاية باطنة، وصلاح جوارحه، وأسباب الألفة فى الدين، والتعاون على البر، والتقوى، وإصلاح ذات البين، وإقامة العدل، والإنصاف، وبذل المعروف، والنصيحة بإحسان، وما يقوى به إيمانه من الطاعة، وما يزيد به يقينه من المعرفة، وتصحيح الأعمال لله، وما يقرب به العبد من ربه، وما يبعده منه، وما يورث الرضى عنه، والثقة به، والتسليم لأحكامه، والتوكل عليه، والغنى به، والفقر إليه، واعلم أن أفضل أهل الإيمان درجة أهل التقوى، وأفضل أهل التقوى أهل العلم بالأمر والنهى، وأفضل أهل العلم بالأمر والنهى أهل الخشية، وأفضل أهل الخشية أهل المعرفة، وأفضل أهل المعرفة أهل العلم بالله، وأفضل أهل العلم بالله أهل حقيقة التوحيد، وأفضل أهل حقيقة التوحيد من جمع إليه علم الديانة فى الأصل، والفرع من الفرض، والسنة، والحدود، والأحكام، وما يتبعها من الإيجاب، والآداب مع علم القربة إلى الله فى النهاية، والبداية فى المقامات، والأحوال، والمراتب على أصول محكم التنزيل، والسنة، وآداب السلف، وأخلاق الأئمة، وهذا أفضل العلماء علمًا، وأحكمهم حكمةً.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الخامس

قال عبد الرحمن بن محمد: أوجب الله عز وجل على عباده المؤمنين بعد إقامة توحيده، والتصديق بملائكته، وأنبيائه، ورسله، وكتبه، ووعده، ووعيده، وبعثه، وحسابه، وجنته، وناره، والخلود فى الدَّارين عشرة من المفروضات لها عشرة من المعانى يبلغ بها العبد رضوان الله، ورحمته، ويلحق بتركها غضب الله، وسخطه.

فالفرض الأول: الطهر من الجنابة، والثانى: الوضوء من الأحداث، والثالث: الصلوات الخمس، والرابع: الصوم المفروض، والخامس: الزكاة الواجبة، والسادس: الحج المفترض، والسابع: الجهاد إذا وجب، والثامن: الإقامة بأمر الميت إذا لزم، والتاسع: الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والعاشر: بر الوالدين، وصلة الأرحام، وآداء الحقوق، والمولاة فى الله، والمعاداة فيه، وكف الأذى، والألفة، والتعاون على البر والتقوى، فالطهر طهر الإيمان من أجاد حمله، والوضوء دِثار الإيمان من وضىء التوضأ، والصلوات مكيال الإيمان من وفى أوفى، والزكاة ميزان الإيمان من أرجح أرجح له، والصوم جنة الإيمان من استحفظ حُفظ، والحج عدة الإيمان من توفى فيه وفى له، والجهاد سنام الإيمان من ناصح فيه ناصح له، والقيام بأمر المسلم من شرط الإيمان من سلم فيه سلم، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر سفينة الإيمان، من راعى أشراعها نجى، وبر الوالدين، وآداء الحقوق، والموالاة، والمعاداة، وكف الأذى، والألفة، والتعاون نور الإيمان، وسراجه، وسبيله، ومنهاجه من

ورده بالاستقامة، والرفق أورده حضيرة القدس فى رضى القدوس، وخلود الأبد فى جوار الواحد الصمد.

وقال: أصل الدين، وقواعده اثنان، ترد إلى معرفة أربع يتصل بها كل فرض، وحدّ، وحكم، وفضل، وندب فالاثنان: الكتاب، والسنة، والأربع: الأمر، والنهى، والترغيب، والترهيب. فالأمر والنهى موضع درجات أهل الإيمان، والترغيب والترهيب موضع مقامات أهل الإحسان فمن سلك الطريق إلى الله عز وجل بغير هذه الأصول فليس فى شىء، وليس على شىء، ولا يجىء منه شىء، وليس ينتفع هو بشىء، ولا ينتفع منه أحد بشىء، وقد ضلَّ سعيه، وبطل أجره، لأن الكتاب، والسنة إمام لكل خير فى الدنيا، والآخرة.

وقال: واجبٌ على العلماء نشر العلم، كما وجب على الجاهل سؤال العلماء، ولا يسع العالم الصمت إذا علم ما يسأل عنه من كتاب أو سنة أو إجماع، أو اجتهاد برأى على الأصول، ولا يخلو السائل للعالم من أربعة وجوه، إما مسترشد فواجب على العالم دلالته، وعلامة ذلك فى السائل قبوله، وتسليمه، وإما مستفهم فواجب على العالم هدايته، وعلامة ذلك فى السائل بحثه فى الرفق، وطلب الدليل بالوقار، وإما مختبر ممتحن فواجب على العالم الإعراض عنه، والتنزّه عن الجدال، والخصومة، والتعرض بالله، وبرسوله، وأئمة الذكر للردِّ عليهم، والتكذيب لهم، وإما مفتون بالدعوى مستدرج بالرؤية لحاله فواجب على العالم الصمت عنه، لأنه لم يقبل من الله عز وجل، ولا من رسوله عليه السلام فكيف يقبل منه؟ وعلامة المختبر التعرض بالاختلاف، وعلامة المدَّعى المكابدة بالأضداد، وردِّ الأصول فروعًا فى الأحوال، ورد الفروع أصولاً فى المقامات.

وقال: إذا سمعت العالم بالشرع يُظهر نفسه فى العلم، وحاله فى المعرفة عند الخاصة، والعامة فاهرب منه فإنه مفتون مغرور، إلا أهل الورع بالخشية فإن النصيحة تحثهم على إرشاد الجهلة العميان، وإذا سمعت العالم بالله عز وجل يظهر نفسه فى العلم، ومقامه فى المعرفة، ودرجته فى اليقين، والمشاهدة عند العامة دون الخاصة فاحذره فإنه محجوب متكلف إلا أهل الزهد، والرضى فإن حق الإنصاف يحملهم على طلب مزيد الهداية للبر، والفاجر.

وقال: العلماء بأمر الله أدلاء على طريق الحق لله، والعلماء بالله مرشدون على محجة الحقيقة إلى الله، ومن ها هنا ارتفع العلماء بالأمر على أهل الإيمان درجات، وشرف العلماء بالله على العلماء بالأمر مقامات، لأن العالم بالله قد أحكم أمر الله، ونهيه، وزاد بالمعرفة، واليقين، والبصيرة فى الدنيا، والآخرة فزهد فى الدنيا بالحقيقة، ورضى عن الله فتوكل بالثقة، وقنع بربه عن كل شىء سواه، والعالم بالأمر محبوس على حظه فى الدنيا محجوب بمخوف الفقر منهما، فإما أن يخرجه الحرص، والرغبة إلى الحسد، والبغى للذكر، والشرف فيصير حامل حجة على نفسه مطالب بحق الله عليه فيما علم، وأما أن يؤديه إلى التقاطع، والتدابر، والبدع، والأحداث، أو يبقيه على حاله متألمًا، أو يتلاقاه الله بالورع، والخشية، والإنصاف، والزهد، والنصيحة فيلحق بدرجات العلماء بالله عز وجل(١).

---

(١) قال الإمام أبو حامد الغزالى فى رسالته أيها الولد: فاعلم أنه ينبغى للسالك شيخٌ مرشدٌ، مُربٍّ، ليخرج الأخلاق السيئة منه بتربيته. ويجعل مكانها خلقًا حسنًا.

ومعنى التربية يشبه فِعل الفلاح الذى يقلع الشوك، ويخرج النباتات الأجنبية بين الزرع، ليحسن نباتُهُ ويكمل ريعه، ولابد للسالك من شيخ يُربيه، ويرشده إلى سبيل الله تعالى؛ لأن الله أرسل للعباد رسولاً للإرشاد إلى سبيله . فإذا ارتحل ﷺ فقد خلف الخلفاء فى مكانه ، =

وقال: إذا وقعت العناية بالصدق فى قلب العبد نار قلبه لمزيد الهداية من الله عز وجل، وصفى لقبول الحكمة، ورق لفهم الموعظة فعند ذلك يَحمى بطنه من الشبهات، ولسانه من التخليط فإذا طابت المطعمة، وصدقت اللهجة ترادفت عليه سحائب الكرامات، وأتته لطائف الحكمة، وتُحف الإجابة، وإذا لم يكن للحق عناية بالعبد فى الخصوصية القى العدو فى قلبه سوء الظن برزقه، فاعتقد الحيلة بالحرص، والرغبة بالشره فجفا خلقه، وتحير فى أمره، واتبع هواه فى دينه من جهة معقولة، وهذه آفات الجوارح فى اتهام الصحابة رضى الله عنهم، فأورثهم ذلك التنطع فى الأحداث، والبدع، ومن سبب الظن عُوقب التلميذ فى جهله بأستاذه، وعُوقب الحريص فى فقد التوكل على ربه.

وقال: من علا ذكره فى بلده، ورأس على أصحابه، وهو مهمل لمحاسبة نفسه غير ناظر إليها بالتقصير فى شكره فاته علم قلة الرعاية لدينه، ومعرفة قيام ربه عليه فضل، وأهلك غيره إما بإيثار دنيا، أو بإخفاء رؤية، ودعوى.

= حتى يرشدوا إلى الله تعالى.

وشرط الشيخ الذى يصلح أن يكون نائبًا لرسول الله ﷺ أن يكون عالمًا، إلا أن كل عالم لا يصلح للخلافة، وإنى أُبين لك بعض علاماته على سبيل الإجمال، حتى لا يدعى كل أحدٍ أنه مرشد فنقول: من يُعرض عن حب الدنيا، وحب الجاه، وكان قد تابع شيخًا بصيرًا تسلسل متابعته إلى سيد المرسلين ﷺ.

وكان محسنًا رياضة نفسه من قلة الأكل، والقول، والنوم، وكثرة الصلوات والصدقة والصوم، وكان بمتابعة الشيخ البصير جاعلاً محاسن الأخلاق له سيرةً كالصبر والصلاة والشكر، والتوكل واليقين والسخاء، والقناعة وطمأنينة النفس، والحلم والتواضع، والعلم والصدق والحياء والوفاء، والوقار، والسكون والتأنى، وأمثالها، فهو إذًا نور من أنوار النبى ﷺ يصلح للاقتداء به.

ولكن وجود مثله نادر أعزُ من الكبريت الأحمر، ومن ساعدته السعادة فوجد شيخًا كما ذكرنا. انظر: «أيها الولد» (ص١٢٩، ١٣١).

وقال: كان الذين مضوا همهم فى معادهم فكفوا أمر دنياهم، ثم جاء آخرون همهم دنياهم فذهبت الآخرة من قلوبهم، ولم ينالوا من الدنيا إلا ما كتب لهم.

وقال: ورث أهل الزهد بالفقر غنى القلب، وأخذوا الراحة، والسلامة فى الدنيا والآخرة، وورث أهل الرغبة بالغنى فقر الفقر، واستعجلوا التعب، والذّل، والخطر فى الدَّارين.

وقال: علامة المدعى للعلم إظهار الاختلاف فيما يدعوه إليه، ويحتج به عليه فهو بترك السنة كى لا يغلب، ويدعى الإجماع كى يغلب، وعلامة المدعى للإرادة استصغاره للعلم العام، وفقره من وجود العلم الخاص.

وقال: سبحان من فتح على خاصة الدنيا، والعلم، ليُريهم جوده، وكرمه فيزدادون به غنًى، وإليه فقرًا، وسبحان من مسكها عنهم ليريهم قدرته، وعزته فيزدادون به فخرًا، وإليه غنًى.

وقال: من لم يشغله محاسبة نفسه فى حق ربه، والاهتمام لها، والإشفاق عليها عن ذم غيره، ومدحه للخطر الذى هو فيه، وما هو لاقيهِ من الموت وهو له، والقبر، وضيقته، والوقوف وكربه، والورود وعطشهِ، والحساب، وشدته، والصِّراط، ودِقته، والسؤال، وحدته فهو ميت فى الأحياء، عقله أسير بيد عدوه، وقلبه محجوب عن معرفة علم حاله.

وقال: إذا فاتك شهود علم القيام من ربك، ولم يخشع من ذكر الموت قلبك فأنت فارغ من الحقيقة، وإن كنت ذا فهم، ومعرفة، وعمل.

وقال: من لم يعرف زيادة حاله من نقصه فى بدايته فليس بصادق فى

إرادته، ومن لم يفهم ستره من حجابه، ومكاشفة حاله فى حضوره عند نهايته فليس بنافد فى طريقه.

وقال: أبناء الإرادة فى البداية، والنهاية على أربع مقامات، فمن كان فى بدايته أزهد فى الدنيا، وأرغب فى الآخرة، وكان فى نهايته أعمل، وأحكم غير أن الدنيا تأخذ منه فى حال فترته، وذلك مزيد له فى فقره إلى ربه، ومن كان فى بدايته أعمل، وفى حاله أورع كان فى نهايته أزيد، وفى محبته أثر غير أن التقصير يقع به فى العمل عند فترته، وإن أصاب الحكمة فى منطقه.

وقال: أعلى حال الخواص أهل الإيمان التصديق بالقدر فمن رأيتموه صدّ عنه فاعلموا أنه مطرود محجوب بالإبعاد، وأعلى حال لعوام الخصوص التصديق بالقدرة فمن رأيتموه ضاق صدره عن الانشراح له فاعلموا أنه مطرود محجوب بالبعد، وهو أرجى فى الانتقال من الإبعاد، فإن تاب صاحبه، وراجع السنة فقلبه محجوب عن فهم حقيقة هذا الأمر، والنطق فيه، والتعبير له.

وقال: من أراد أن ينتفع بعلمه فليرد الله به وحده، ومن أراد أن نقدس له علمه فلا يكن بينه، وبين الله ثالث فى قلبه.

وقال: إن أيقنت أنه يراك فجلّ مقامه عليك، واحفظ نظره إليك، وخف من حلمه عنك، ولا تأمن من قدرته عليك فإن قصرت بك المعرفة عن وجود علم ذلك، فاحفظ صحبة من وكل بحفظ عملك، والمراقبة لقولك فأثر فرضك على دنياك، وقم بالحق الواجب عليك، إنهم يبيتون معك، ويصبحون، ويجيء آخرون يقبلون معك، ويمسون هم أصحاب لك فى الخلاء، والملأ، يرفعون عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل فاذكر أيادى من يرفع إليه عملك بأى شيء يرفع أنك إن أجللته

أجلك، وأن أطعته أحبك، وإن نصحت له آثرك إنه لا يحب الفرحين النظرين، ولا يستخدم المستكبرين، ولا يُكرم الجبارين.

وقال: علامة القبول زيادة الخوف، والإشفاق بمزيد العلم، والعمل، وعلامة الرضى فى القبول الغنى بالعلم، والبصيرة بالفقر فى العمل، وعلامة الطرد التعلق بالأمانى، والتسويف بمزيد العلم، وترك العمل، وعلامة الخذلان فى الطرد الزهد فى العلم، والإعجاب فى العمل، وبهذا ينسخ العلم النافع من الصدور، وتعمى القلوب باختبال العقل، وانطماس الفهوم.

وقال: إنما طاب عيش الأبرار فى الدنيا حيث علموا أن مولاهم الضار النافع المانع المعطى، وإنما وجد أهل المراقبة الحياء منه حين أيقنوا أنهم بعينه فى كل حال.

وقال: من حق العلم الصبر تحت واجبات الأمر والنهى، ومن حق المعرفة الشكر فى موارد المنع والعطاء، ومن حق اليقين الرضى والتسليم فى المكروه والمحبوب ما لم يكن آثمًا.

وقال: من صابر العلم بالتعبد ورث علم المعرفة بالعبودية، ومن صابر المعرفة بالعبودية ورث العلم الأكبر بحقيقة الوحدانية على يقين أفراد حقيقة الربوبية.

وقال: كونوا فيما أباحه العلم لكم معلومكم الشكر، وكونوا فيما خالف هواكم من الحوادث معلومكم الصبر، فإن نازعتكم النفوس لغير الواجب فى العطاء، والمنع فقوموا عليها بالعقوبة تأتيكم مواد العون من ربكم.

وقال: إنما ترك الناس لذتهم فى الخلوة لبركات ما يجدون فى الملأ،

فمن آثر رضا الناس بالهوى، والشهوة نزع من قلبه نور النصيحة، وفوائد الحكمة.

وقال: من آثر مجالسة الناس لله على مدارسة العلم، والاعتبار، والفكر أوجده الله مزيد النور، والهداية، وأصابة الحكمة، ومن آثر ذلك لنفسه، وللناس عوقب بمنازعة الأضداد، وأهل المخالفة، والقسوة.

وقال: متى آثرتك بوقت من عمرى لغير حق وجب بيننا فقد نسيت نصيبى من الدنيا، وكان نزول القبور أمثل من عمارة المساجد، والبيوت.

وقال: إذا تلاقى اثنان لغير نصيحة، ولا إنصاف فمجالسة الموتى أسلم، وأفضل من مجالسة الأحياء.

وقال: كيف يفهم معنى العلم، ويفهم مخارج الأدب من شيوخه، من توهمه نفسه أنه بذلك أعلم، وأعرف، وكيف يثبت له رأيه لشيخه بحقيقة، أو تصح له زيادة لها ميراث، أو بركة، وهو مقصر فى حقه مداهن لغرضه فى غيبته.

وقال: إذا عامل العالم الطالب والمريد بالمداهنة فى حاله كان رأس مالهما الخب، وربحهما الباطل، والندامة، وعوقبوا بالتدابر، والتقاطع، والزور، والغى، والبهتان، وإذا عامله بالإنصاف، والنصيحة كان رأس مالهما الصدق، وربحهما الحق، والغِبطة، وعاقبتهما التواصل، والألفة، والبر، والتقوى، وهؤلاء الذين تسامت أرواحهم فتعارفت بروح الله، وتصافت على طاعة الله، واتصلت معرفة الدنيا بصحبة الآخرة فى الأبد، فطوبى لمن كسب فى عمره أخًا واحدًا فى الله عز وجل.

وقال: كل حزن يجاور القلب فهو مغلول، وكل خشية تريد على

العبرة فهى سقيمًا إلا ما كان على وجه الغلبة بلا متابعة نفس، ولا هوى لحظ.

وقال: لا يصبر تحت الرفق، والسعة على الشكر بالمعرفة، والافتقار إلى الله عز وجل إلا صدِّيق يريد الله أن يجعله حجة على الأغنياء، وأهل الإتراف، ولا يصير تحت الضيق، والعيلة على التعفف، والتنزّه، والافتخار بالله إلا صديق يريد الله أن يجعله حجة على الفقراء، وأهل الابتلاء.

وقال: عيون الحق فى خلقه أفراد، وألسنته فى عباده أجناد فحال الألسنة فى الخصوص عموم، وحال العيون فى الخصوص خصوص مثل ذلك فى الصحابة رضى الله عنهم كلهم خصوص على من سواهم، وهم عموم عند العشرة، والعشرة عموم عند الأربعة لأن الأربعة عيون السنة، وزراء أصحاب، عبد الله بن عثمان، عمر بن الخطاب، عثمان ابن عفان، على بن أبى طالب، رضى الله عنهم أجمعين كلهم عين من عين وقع اسمه فى الأرض بمعناه فى السماء ثم أقام الله عز وجل كل واحد من هؤلاء إمامًا فى الدين، والدنيا، والمقامات، والدرجات، وأقام الصديق علمًا فى الدين يوم الردة، وأقام علمًا فى الإيثار بجميع ماله، وأقام الفاروق علمًا فى الدين لخراج الأرض، والأجناد، وإقامة علمًا فى الإيثار بالبعض، وأقام ذا النورين علمًا فى الدين بحفظ كتاب الله، وإجماع الناس عليه، وإقامة علمًا فى الإيثار بالبعض، واتباع الكسب، وأقام علمًا فى الدين لمعرفة قتال الخوارج، والسنة فيهم، وإقامة علمًا فى الإيثار بالكل، والصبر تحت صولة الفقر، والتواضع فيه ثم درج الصحابة رضى الله عنهم يعدو من تبعهم بإحسان على منهاجهم فكل له فى الأئمة إمامًا، ومن خالفهم بمعنى يخرج به عن طريقهم إما تفريط

بتضييع، وإما غُلو باعتدال فليس هو منهم فى شىء من ذلك الحال بعينه.

وقال: سبحان من خلق الدنيا دار بلاء، وابتلاء، وخلق الآخرة دار مجازاة بالثواب، والعقاب، وجعل العوافى كلها، والسلامة فى الدنيا، والآخرة فى لزوم طاعته، والتمسك بكتابه، وسنة رسوله عليه السلام، وجعل الامتحان، والبلاء كله فى الدنيا، والآخرة فى معصيته، ومخالفة كتابه، وسنة رسوله عليه السلام.

وقال: أبلى الله عز وجل الكل بالكل فأبلى المؤمن بالكافر، والكافر بالمؤمن، والمؤمن بالمؤمن، والكافر بالكافر، والكبير بالصغير، والصغير بالكبير، والصغير بالصغير، والكبير بالكبير، وأبلى الجاهل بالجاهل، والجاهل بالعالم، والعالم بالعالم، والعالم بالجاهل، وأبلى الغنى بالفقير، والفقير بالغنى، والغنى بالغنى، والفقير بالفقير، وأبلى الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، والرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وأبلى المالك بالمملوك، والمملوك بالمالك، والمالك بالمالك، والمملوك بالمملوك، وأبلى الصحيح بالسقيم، والسقيم بالصحيح، والصحيح بالصحيح، والسقيم بالسقيم، كل هذا ليظهر شكر الشاكرين فيزيده من فضله، ويظهر صبر الصابرين فيجزيه من غير حساب، أو يظهر البطر بالنعم، والسخط فى البلاء، فإما سلب نعمة، أو مزيد نقمة ليقضى الله أمرًا كان مفعولاً يستدل على حال المدعى بأعجابه لقوله، وإن وافق الحق كلامه بتركه العمل بما علم، وإن ذم فى ذلك نفسه، ويستدل على حال المدَّعى المتعاطى الأحمق، بدخوله على الأشياء بغير علم، ولا معرفة، وخروجه منها بغير تمييز، ولا بصيرة، وإن كان عالمًا عاملاً فالأول مفتون مخدوع، والثانى جاهل أحمق، ويستدل على حال الصادق فى إرادته، والعاقل

فى طريقته بوقوفه مع علمه، وتسليمه لمن هو أعلم منه، وإن كان دونه، وترك انتصاره لنفسه، وحفظه للمتشابه، وشغله بالذى هو أولى به من غيره، ويستدل على حال المحفوظ بالسلامة، والمراد بالكلائة[١] أن يتولى الحق له بلا استعداد، وصيانة الحق له من القرناء السوء، والأضداد بدوام طهارة القلوب، وسلامة الصدور، وكفِّ الأذى، وبذل المعروف.

وقال: لا يزال العالم مرائيًا فى عمله حتى يعرف ربه بالحقيقة فيفتقر إليه برد النعمة له، ولا يزال العامل معجبًا بعمله حتى يعرف رؤية الحقيقة فيعترف بتقصيره فى واجب حق الله عز وجل عليه فى علمه، ولا يزال المعطى مفتخرًا بما أعطى حتى يعرف ربه بالحقيقة فيحتقر الدنيا بأسرها لله، وفى حق الله تعالى، ولا يزال الآخذ متصنعًا للناس حتى يعرف ربه بالحقيقة، فيأخذ الأسباب من يَدِ المسبب، ويشهد جَرى الأقدار من المقدر فى المنع، والعطاء، وهذا الذى رفع مؤنته عن الناس، وكفَّ آذاه عنهم.

وقال: بقدر نزول نفسك تحت الأرض تواضعًا لربك ترتفع همتك، ويسمو قلبك، ويجول فكرك فى الملكوت الأعلى، فإن كنت فى هذه الأرض بنفسك فأنت مع أهلها، وإن كنت تحتها فأنت فى سماء الدنيا، وإن كنت تحت الثانية فأنت فى الثانية، وإن كنت تحت الثالثة فأنت فى الثالثة، إلى أن تقر نفسك تحت السابعة فتكون روحك فى السماء السابعة ناظر إلى الكرسى، وأن تفضل عليك مولاك، ففتح عين قلبك إلى رؤية عرشه فأنت أنت، ولا سبيل لما فوق العرش بلا مثال، ولا صورة، ولا تكييف، ولا تحديد، هذه طريق أهل منازل القلوب فى رتب المشاهدة، ومواجيد الحضور بالبقاء بعد الفناء فمن تعدى ذلك فى التكلف عمى، وتحيّر، وهوى فى البدع.

---

(١) لفظ يدل على المعية فى الصحبة والتثنية [صحاح: كلأ].

وقال: بقدر نظرك إلى الآخرة تزهد فى الدنيا، وبقدر نظرك فى الدنيا تزهد فى الآخرة.

وقال: نظر العين إلى ما تحت القدم بالشهوة يُعمى نظر القلب عن فهم ما فوقه من عجائب القدر، ونظر العين إلى الدنيا بعين العبرة يورث النور فى القلب، ونزول الحكمة.

وقال: الفقر فى الدنيا على وجود الغنى بالله خصوص، والغنى بالعرض فى الدنيا على وجود الفقر فى القلب عموم، فقر الدنيا خصوص، وغناها عموم، والغنى فى الآخرة خصوص، والفقر فيها عموم، وكذلك البلوى، والعوافى خصوص، وعموم فى طائفتين الدارين إلا طائفة خصهم بعافية الدنيا، والآخرة، وطائفة خلقهم لبلوى الدنيا، والآخرة.

وقال: لا راحة لراغبٍ، ولا عيشة لحريصٍ، ولا أمان لحقودٍ، ولا سلامة لحسودٍ، ولا غنيمة لباغٍ، ولا توبة لمصرٍّ، ولا نعمة لجاحدٍ، ولا لذَّة لكافرٍ.

وقال: ليس هذا بزمان ترغيب فى درجة، ولا مقام، إنما هذا زمان ترهيب فى إقامة الفروض، واجتناب الحدود.

وقال: ترك الحرام فى هذا الزمن زهاده، وردّ الحقوق فيه من أفضل العبادة.

وقال: إذا لم يكن فى الدرجات أفضل من إدخال المسرة على أهل الإيمان فكيف بك فضل مسرة الأبوين؟ وإذا لم يكن فى المقامات أشرف من إحياء نفس مؤمنة، فكيف بك شرف من إحياء نفسه بالقناعة، أو صلاح ما تتعفف به من غيرها؟

وقال: جعل الله عز وجل الدنيا دار بلوى، وامتحان فقسم لأهل الإيمان منه أكثره ليرغبوا فى الآخرة، وخصَّ من الأكثر بأعمه، وأعظمه، لأهل الإراده، والعلم، واليقين، والمعرفة لئلا يريدون من الدنيا، والآخرة إلا هو.

وقال: من لم يكف أذاه عن الخلق، كيف يطيع ربه بأحكام الشرع؟ ومن لم يأخذ الفضل عليهم كيف ينال درجة الرضى من ربه بأداء النصيحة له فيهم؟.

وقال: جهد المبتدئ أن يكون فى إقباله طالبًا للخلاص بالإقامة على التعفف، والصبر، وجهد المتناهى أن يكون فى حاله طالبًا للشكر على دوام الفاقة إلى مولاه بالفقر.

وقال: لا يستقيم للمبتدئ السير فى طريقه حتى يكف لسانه، ويصف طعمته، ولا يكمل للمتناهى حاله حتى يستوى عنده أربع: الذم، والمدح، والعطاء، والمنع، ومن عَبَدَ الله بهذه الست خصال فهو صديق.

وقال: آداب العامة: طلب العلم بالتقوى، وآداب العلماء: العمل بالعلم على التبرى من الحول، والقوة، وهذا نفس الاستعانة بالله، وهى أوطان الخاصة، لكل فرض أدب، ولكل نافلة خلق فمن تعدى أدب الفرض وقع فى ترهات الجهل، ومن تعدى أدب النفل دخلت عليه دواعى العجب.

وقال: تفرق العلماء بالأمر، والنهى على ثلاث درجات، وتفرق العلماء بالله على ثلاث مقامات، ولا يكون عالمًا بالله حتى يكون عالمًا بأمر الله فدرجات العلماء بالأمر حامل للعلم خشية لله عامل به على الخشية له، والبيان فيه، وحامل للعلم خشية لله عامل به على الخشية له،

والبيان فيه، والاستنباط منه، ومقامات العلماء بالله ناطقٌ من حاله لله على حال غيره ناصح لله فى عباد الله، وناطق من حاله لله معبر للحق، وهو حاضر الجارى من الله، وهو حاضر غائب عن حظه محفوظ بحقيقة الحق فهو سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، وقلبه الذى يعقل به كما روى فى حديث المصطفى ﷺ الذى يرويه عن جبريل عليه السلام عن ربه جل وعزَّ «من أهان لى وليًا...» إلى آخره[1].

وقال: الصدق يتولد عن العقل المؤيد، والصبر يتولد عن الفهم الموفق، والشكر يتولد عن الفطنة المهدية، وأعمال الخلق لربهم، ومعرفتهم، وعلمهم بتوحيده، وإفراد ربوبيته بخالص الإثبات، يتفرق فى الأحوال، والمقامات، والدرجات، والرتب بقدر ما قسم لهم من العقل، والفهم، والفطنة فالصدق يفترق فى ثلاث، ويجتمع فى واحدة فافتراقه باللسان، وهو الظاهر، وبالقلب، وهو الباطن، وبالعقد على الإمضاء، وهو دوام النية فيه، واجتماعه بحقيقة الفعل، والمبادرة. والصبر يتفرق على ثلاث، ويجتمع فى واحدة صبر على المكروه، وصبر على المحبوب، وصبر بذهاب حظ النفس لواجب حق الله عزَّ وجل محبوبًا كان، أو مكروهًا، واجتماعه صبر برؤية الصبر من الله كما قال الله سبحانه: ﴿**واصبر وما صبرك إلا بالله**﴾ [النحل:١٢٧] والشكر يتفرق على ثلاث، ويجتمع فى واحدة شكر بالثناء فى النعمة، وشكر بالعمل لأجل المنة، وشكر بالثناء، والعمل فى البلاء، والفاقة، واجتماعه بالمعرفة فإذا عرف الشاكر من يشكر بالحقيقة تم شكره فى المنع، والعطاء.

وقال: من استوى عنده المنع، والعطاء، والمدح، والذم فهو رجل،

(١) حديث صحيح: رواه البخارى فى صحيحه (٦٥٠٢).

وميزان الذم، والمدح لا يعرفه من نفسه إلا عند من يجهله فى الحاضرة، والقربة، ولا يحسن إمساكه إلا صادق فى معرفته بنفسه، ومكيال العطاء، والمنع لا يعرفه فى نفسه إلا عند المعارف، وأهل الخلطة، ولا يخلط دمه إلا صديق يعرف بربه.

وقال: إنهم لما علموا أن الخلق مملوكون أطاعوا الخالق فى معصية الخلق، ولما أيقنوا أنه المالك الضر، والنفع، والعطاء، والمنع لم يجدوا بدًا من الغنى به، والفقر إليه.

وقال: إذا كان موضع سقمك فيه شفاؤك، وموضع كلامك فيه دواؤك فإعراضك عنه سلمًا لحتفك، وسببًا لقتلك.

وقال: الحق أدبنى، ومن فضله، أنطقنى لولا علمه جهلت، ولولا حلمه هلكت.

وقال: أنا أطلب منذ أربعين سنة ثمانية أحوال من أربعة أصناف لأزداد بهم إيمانًا، ومعرفة، وعلمًا، ويقينًا فلم أجدهم فطوبى لمن ظفر بهم، أو بواحد منهم أطلب عالمًا بدينه متوكلاً بالحقيقة على ربه، ومريدًا صادقًا لربه متورعًا فى دينه، وفقيرًا راضيًا عن الله تعالى فى فقره خائفًا من ربه، وغنيًا شاكرًا لله عارفًا بربه متواضعًا لله فى خلقه.

وقال: أجلّ الناس قدرًا فى الدنيا، والآخرة العقلاء باتباع دلالات الحق فى الأمر، والنهى، وأرفع من هؤلاء منزلة فى الجنان، والمقعد الصدق: العقلاء باتباع دلالات الحق فى الأمر، والنهى على العلم بالله، والمعرفة له فى حقيقة العبودية بالمحبة، والإيثار، وأقرب منزلة فى هؤلاء على شرط حال الموافقة للحق بترك الاعتراض، وأكرم هؤلاء حظه على شرط الحال أهل القناعة الكبرى الذين لم يريدوا مع الله غير الله أولئك

الذين لا يحجبون عن الله متى أرادوا نظروا.

وقال: تُعرف هذه الأمة فى الجنة بإشراق نور وجوههم، ويُعرف أهل القرآن منهم بالنور، وجمال الوجوه، ويُعرف أهل المعرفة منهم بالنور، والجمال، وحسن الهيبة، ويعرف أهل العلم بالله منهم بالنور، والجمال، وحسن الهيبة، وارتفاع التيجان، ويُعرف أهل الغنى بالله منهم بالنور، والجمال، وحُسن الهيبة، وارتفاع التيجان، ومناطق العزِّ الموشحة فيه بنور العرش.

وقال: ضاقت الدنيا على الصادقين لفقد الحلال، وعدم الإخوان، واتسعت الدنيا على الصديقين لأنسهم بالله، ووجود موافقتهم لله، وهؤلاء أهل العيشة الراضية فى الدنيا، والآخرة.

وقال: حرام على من طلب العلم لله، والدار الآخرة أن يطلب به الدنيا، وأن يزيده العلم إلا خوفًا، وإشفاقًا، وحرام على من أراد به الدنيا، وزينتها أن يزيده العلم إلا عمى فى القلب، وظلمة فى الصدر، وسد باب الفطنة، والفهم.

وقال: علامة الصادق فى طريقه الرحمة لأهل البلاء، والرفق لأهل الابتلاء.

وقال: من علامة الخرق، والجفاء فى العلم، والمعرفة، التعسف على أهل البداية، والأنفة عن مواعظ أهل النهاية.

وقال: إذا شدَّد العالم شذ الناس عن الله تعالى، وإنما رَخَّص لهم أعز الناس بالله، وإذا نشر العلم، أو كتمه لخوف من الناس، أو رجاء لما عند الناس نزعت منه هيبة العلم، وأنوار الصدق، فإن أراد الله مريد فتنه ابتلاء العامة به، يمدح على رؤية نفسه فيعمى فى طريقه، أو يذم عقوبة

للصدِّ عن سبيله، فإن أنصر رشده، فراجع ربه، وإلا فهو الهالك.

وقال: إذا صار العلم اقتضاءً لما عند الناس، والعمل أراده لثناء الناس فسد حال الاتباع لهم، وقلّ فلاح عامتهم.

وقال: حَلَّ البلاء بالعامة، والخاصة لترى بين المتعلم بالعلم، ومباهاة العالم بالمتعلم.

وقال: سيظهر فى هذه الأمة فى آخر الزمان فى هذه الأمة دجالون كذابون خبائث الأنفس أدنياء الأرواح، تنزع الرأفة من قلوبهم، والحكمة من صدورهم يفترقون على طائفتين فى إظهار ترك الدنيا، وطلب العلم، وعلامة إحدى الطائفتين دعواهم وجود الفهم فى الشعر، ولا يُوجد معهم فهم بكَلِم الرب.

وقال: وعلامة الطائفة الأخرى دعواهم حفظ اختلاف الناس، ولا يُوجد معهم عمل بالسنة فمن أدرك ذلك الزمان فالهرب الهرب من العامة، والخاصة.

وقال: من أراد السلامة من شرِّ الزمان، وأهله فليتعفف بكسبه عن العامة من أبناء الدنيا، ولا يأخذ من العلم من أبناء الآخرة إلا ما وافق الكتاب، والسنة، وما اجتمع عليه الصدر الأول، والأئمة.

وقال: أول باب من الإيمان آخر باب من الكفر، وأول باب من اليقين آخر باب من الإيمان، وأقل باب من العلم آخر باب من الجهل، وأول باب من المعرفة آخر باب من العلم، وليس لليقين، وللعلم بالله آخر وحدّ، والإيمان فى عده آخر آية، وغاية علم المعرفة فى الوقوف مع صفات الذات، وإنما فضل العلم بالله على المعرفة بالله لأن المعرفة تنسب إلى الخلق، والعلم ينسب إلى الله عز وجل.

وقال: القضاء، والمشيئة، والإرادة، والحكم لله عز وجل سابق بأمرٍ نافذ، غير أن البصير الناقد لا يقدر نفسه، ولا غيره فى شىء من المخالفة أن قدر عليه فى ذلك؛ لأن فرضه عند المخالفة الانتقال والتحويل كفرضه عند الموافقة، والشكر، ومعرفة التقصير، وكل ذلك بتأييد الله، ونصره، ولله الحجة بالفعل بالأمر، والنهى على جميع خلقه، والله غنى عما يراد به وجهه لا يزيد فى ملكه طاعة من أجاب، ولا ينقص منه معصية من تولى به.

وقال: من آثر حظه من دنياه على حظه من آخرته فى باب الترغيب أحرم مزيد هداية المكرمين من العلم، والمعرفة، واليقين، ومن آثر رضى الناس على حفظ فرضه فى باب النهى عُوقب بمقت الله، وإعراض قلوب المؤمنين بالجفاء عليه، والقسوة له.

وقال: فساد حال أبناء الإرادة اتباع الهوى، وانتصار النفس، وعَمى قلوبهم عن وجود فهم مسائلهم، ورؤية نفوسهم بالفضل، ومحبة الشرف على أشكالهم.

وقال: من أجل ما أعطى العبد بعد الإيمان الاتباع، ومن أجل ما أُعطى أهل الإيمان، والاتباع كف الأذى، والسلامة من دعوى الخلق، ومن أجل ما أعطى أهل الإيمان، والاتباع، وكفى الأذى، والسلامة من أهل النفع لعباد الله، وإدخال السرور على أهل العلم والمعرفة بالله عز وجل.

وقال: إذا عدم العدل فى الأمراء، والصدق فى العامة، والإنصاف عند أهل الإرادة، والنصيحة عند العلماء، والمبذلة بين الإخوان فلا راحة فى الدنيا لمؤمن، ولا حق بود المعاهد، وعند ذلك سمى العلم جهلاً، والجهل علمًا، ويصير الغنى شرفًا، ومكرمة، والفقر إضاعة، ومذلة.

وقال: لما سخر أهل الأشواق بأهل الورع عوقبوا بذهاب الحق من بينهم فى الأخذ، والعطاء، ولما ازدرى أهل الرغبة بأهل الزهد، عُوقبوا بمن يخيفهم على دنياهم، وينتزعها منهم، ولما أنكر أهل العلم بالأمر على العلماء بالله عز وجل صفات أهل الحقيقة سلط الله عليهم من أذلهم للحق الذى فى أيديهم، ومنعهم من إظهاره فلا شفاء لأهل الأشواق، ولا أمان لأهل الأموال، ولا راحة لأهل العلم إلا بالانتقال، والتوبة، والاعتراف، وإلا فالعقوبة متصلة فى الدنيا، والآخرة.

وقال: اعرفوا الناس من ثلاثة أوجه: فإذا وجدتموها فلا تبالوا ما فاتهم من البر، ولا تغتروا بمن فاتته، وإن ظهر عليهم علمه، وفضله، ورجاه الفعل بالاتباع، وحفظ الفرض بكف الأذى أو بذل النصيحة لله عز وجل.

وقال: لا ينال ثلاثة إلا صديق صيانة الفقر، وكتمان الضر، وتصديقًا بالقدرة.

وقال: عدم فى هذا الزمان ثلاثة فى الدين، وثلاثة فى الدنيا، وثلاثة فى الفقراء، وثلاثة فى الأغنياء، وثلاثة فى الأهل، وثلاثة فى الإخوان، فأما التى فى الدين فالمحافظة على الفرض، والرعاية فى المعاداة، والموالاة، وفقد الثقة بالله، وأما التى فى الدنيا فالحلال المحض بلا شبهة، والنصيحة بالحقيقة، والإنصاف فى المودة.

وقال: وأما التى فى الفقراء فالصبر عند العدم، والرضى بما أُوتى، وترك الذم، والمدح.

وقال: وأما التى فى الأغنياء فالشكر عند الموجود، وبذل الفضل بلا منة، وترك النصح بالنعمة.

وقال: وأما التى فى الأهل فإقامة الدين بواجب فرضه، ومصلحة الدنيا بنية التعفف، ومحبة الستر بترك الافتخار، والمباهاة.

وقال: وأما التى فى الإخوان فسلامة الصدر عند المخالفة، والبذل عند الحاجة، والنصرة بالحق عند الغيبة.

وقال: من ترك طلب العلم تحكمت فيه دواعى الجهل بالغرة فى آخرته إلا أن يكون له بينة مصحوبة بالسلامة، ومن طلب العلم بغير أدب استحكمت فيه دواعى العجب بالغرة فى دنياه، وآخرته إلا أن يكون له صدق فى نية، وإخلاص فى مقصده.

وقال: آفة العلماء فى هذا الزمان نظرهم إلى أنفسهم فى العلم، وآفة العمال نظرهم إلى غيرهم بالتقصير، فكلما تزيد العالم علمًا ازداد فخرًا، وعجبًا، وكلما ازداد العامل عملاً ازداد بالناس احتقارًا، وازدراءً، ولا نجاة لأحدهما من هذه البلية إلا بالفقر إلى الله عز وجل، والنظر إلى الخلق بالتعطف، والرحمة.

وقال: ضعفت العقول لرقة الدين، وقست القلوب لفقد الرحمة فإذا أعين على العبد بمجالسة أهل الإتراف فى الدنيا، وأهل الجدال، والخصومات فى الدين انطمس الفهم، وغلب عن الفطنة، ووجه الصواب.

وقال: ليس هذا زمان زيادة فى شىء من العلم، والخير إلا ينقص من الورع، والزهد، ونور القلوب، ولا يفهم ذلك، ويَعقله، ويميزه بالنفس إلا نافد جهبذ بصيرٌ.

وقال: هذا زمان صمت، ومعالجة صلاح قلب، والهرب من أهل الاغترار الذين اتخذوا علمهم استجلابًا لمزيد دنياهم، وعملهم تجارة

للدنيا، ومحبة للذكر، والثناء أولئك قطاع طريق المريدين إلى الله عز وجل.

وقال: إذا رأيت علمك فى زيادة، وورعك فى نقص، وعملك فى مزيد، وزهدك فى نقص فاعلم أن بابك مغلق، وإذا أنت حامل حجة مكدود على غير محجة.

وقال: إلى كم تجمع العلم، وتسعى فى العمل، ولا بصيرة، ولا نور، أين مواريث العلم؟ أين تركة الأعمال؟ لو كان علمًا نافعًا، وعملاً زاكيًا لرأيت نوره يُزهر فى قلبك، ولبدت أعلامه على جوارحك.

وقال: أهلك العامة اقتداءهم بزلات الخاصة، وأهلك الخاصة مداهنة العلماء، فصار بعضهم على بعض فتنة، ونقمة.

وقال: لا يزداد أحد علمًا إلا نقص من عقله أمثاله لتركه العمل به، ولا يتزيد أحدٌ جهالة إلا نقص من دينه وإضاعته لتركة العلم.

وقال: من استوى عنده الإحسان، والإساءة لم يعرف صديقه من عدوه.

وقال: من نظر إلى جرى الأسباب من مقدرها لم يكن له عدو إلا فى الدين.

وقال: رؤية العين عين يقين، ورؤية القلب علم يقين العين، فشفاء العين إشفاء للقلب من رؤية الغيب بالقلب، ولذلك فضل الاجتماع على المحبة، والصفاء على الافتراق بالإتفاق، والموافقة، وفضلت الآخرة على الدنيا لمعنى كشف عين غيب اليقين عن علم يقين الدنيا.

وقال: ما قصرت طريق إلى حبيب ولا بعدو مُنهل يُورد على صديق.

وقال: كل مودة بتكلف معلولة، وكل اجتماع بلا نية مدخول، علامة

ذلك التبرم، ووجود الوحشة.

وقال: صارت المودة بين المدعين للمحبة سلفًا، وعاد العلم بينهم جهلاً.

وقال: للفقه أصلان من تعداهما وقع فى بحر التحير: الكتاب، والسنة، والفقهاء ثلاثة من خرج عن ذلك فليس بفقيه: عالم بشرع الدين، وعالم بالدين، والاختلاف، ووجود الاستنباط على الأصول.

وقال: الناس فى طلب العلم على مقامين، وهم فى العمل بالعلم على درجتين طالب للعلم لنفسه لله، وطالب للعلم للناس لله، وعامل بالعلم بحظه من الله، وعامل بالعلم لواجب حق الله عز وجل فكل علم، وعمل خارج عن هذه الأربعة أصول فسعيه، وجده مع حيل الشيطان، ورجله.

وقال: من اتصل علمه بالله على علمه بأمر الله فهو حجة لله، ورحمة لعباد الله، ومن اتصل علمه بأمر الله على المعرفة بالله فهى رحمة لنفسه بركة على غيره.

وقال: كل من اتصلت معرفته بالله على انقطاعه من العلم بأمر الله ضل عن طريق أهل العلم بالله، وحرم المزيد فى حقيقة توحيده لله، واشتبهت عليه الأحوال، فإن قطع بوجوده فى الغيوب ذهب دينه، وإن توقف عن القطع فى الوجود تحير لانطماس أعماله، وشهوده لحاله من حاله.

وقال: قطع بمن كانت حكمته فوق حاله المشهود من حاله، واتصل بالحقيقة من كانت حكمته دون حاله على وجود قربه بفقره، وفاقته إلى ربه.

وقال: إذا ثبت فى عقد إيمان العبد وقوع البلوى من الخلق سقط رؤية فعل الخلق فإذا رسخ فى معرفة التحقيق بالإيمان وقوع البلوى من الله عز وجل نظرًا، واختبارًا، سقط عنه الاعتراض من حال نفسه، وصار حكم رؤية البلى متعلق بالمبلى، وكذلك هم فى النعم فأهل الإيمان يشهدون ذلك كرامة، وأهل المعرفة يرونه عقوبة، وأهل العلم بالله يرونه رفقًا، وتعليلاً، ونظرًا، واختبارًا لأقسام سبقت، وصلاح حال فى الوقت، وهم يأخذون ذلك من ربهم بالموافقة.

وقال: الراغب فى الدنيا عند الزاهد فيها مجنون، والزاهد عند العارف مفتون، والعارف عند العالم محجوب حتى يخرجون من رؤية حالهم، ويرجعون جميعًا بالفقر، والفاقة إلى ربهم.

وقال: الجاهل عند العالم بمنزلة الأمير فى دار الحرب، والعالم عند العامل بالعلم بمنزلة العبد عند المولى، والعالم بالعلم عند العارف بمنزلة الغلام عند المؤدب، والعارف عند العالم بمنزلة الأحرار عند الأستاذ، والعالم بالله مع الله لحظه عند العالم الذى يريد الله لله بمنزلة الأستاذ عند الرؤساء.

وقال: اعرف صدق المريد من جهة مسائل حاله، واعرف كذبه من جهة مسائل غيره، فإن خفى عليك ذلك فاعرف إخلاصه من جهة صمته، واعرف شكه من دخوله فيما لا يعنيه فإن خفى عليك ذلك، فاعرف خوفه من جهة ورعه، واعرف دعواه فى تكلفه، وإضاعة كسبه، وانتصاره بالباطل لنفسه خوف السقوط عند أبناء جنسه.

وقال: الاستعباد بالأمر، والنهى نسبة العامة، والتعبد بالأمر، والنهى بالخوف، والرجاء نسبة الخاصة.

وقال: والعبودية بالأمر، والنهى، والخوف، والرجاء، والصبر،

والشكر نسبة خاصة الخاصة، ولا يثبت ذلك إلا بالصدق، والإخلاص، ومنه يتوارثون الدخول فى المقامات، والارتفاع فى الدرجات.

وقال: الاستعباد فرض، والتعبد سنة، والعبودية ترغيب، وندب، وخصوصية.

وقال: العبودية إفراد الله عز وجل بقطع الأسباب، والتعبد إلى الله عز وجل إفراد الله على التعلق إلى الأسباب، والاستعباد إفراد الله فى الاتساع فى الأسباب، وهم الذين يكثر همهم عند الفقر، ويكثر فرحهم عند الوجود.

وقال: أجل حال لأهل المعرفة بالله عز وجل الغيرة فى ذات الله، ولا يصح ذلك إلا بأحكام آداب الحياء من الله عز وجل، وأحكام آداب المراقبة لله عز وجل، وأعلى حال لأهل العلم بالله الحضور بالفقر، والفاقة بين يدى الله عز وجل والمشاهدة بالخضوع على الغنى بالله عز وجل، ولا يصح ذلك إلا بأحكام آداب الرضا عن الله عز وجل، وأحكام أخلاق التوكل على الله عز وجل.

وقال: العمل بعلم الأمر، والنهى مزيد فى المعرفة بالله، والعمل فى آداب المعرفة مزيد فى العلم بالله تعالى فالعالم عبدٌ للحال، والعارف، والعامل ربٌ للحال غير أن العارف ينسب إلى درجة الغنى بالله تعالى مع الغنى عن كل شىء دون الله تعالى، والعالم ينسب إلى مقام الفقر إلى الله عز وجل مع البقاء مع الله بضجره من رؤية وجود الفناء فالعارف موجود ببقائه عما أوجده الحق للعالم ببقائه.

وقال: كل حادثة فى الدين نزلت فاجتهد العلماء فيها بالرأى على موافقة الأصول من الكتاب، والسنة، وإجماع الصحابة، أو الأكثر منهم فهى بمزيد رحمة لأهل التقوى، وفتح هداية لأهل الإيمان، وكل أُحدوثة

عمل بها فى الدين موافقة للترغيب، والترهيب، وأخلاق الدين، وآداب الصالحين فهى مزيد إرشاد لأهل الإحسان، وقربة من الله لأهل الإيمان.

وقال: من نظر بعين اليقين إلى أوائل الأمور رضى عن الله فيما قسم له من الرزق، والبلوى، وغير ذلك، ومن نظر بعين المعرفة، والعلم إلى عواقب الأمور اغتبط بما أصابه من ضيق، وشدَّة.

وقال: العوام ينتظرون العفو، والرحمة بالاعتراض، ودوام الغفلة، والخواص ينتظرون المقت، والعقوبة على الجد، والاجتهاد، ودوام الاعتبار، واليقظة.

وقال: العالم، والعارف لا ينكر اليوم كل بلاء نزل، ولا الخسف، والقذف لما قد يرى من تعطيل حدود الإسلام، وتضييع أحكام الإيمان، ومن منكر لا يغير، ومن معروف به لا يؤمر، ومن طلب دنيا بدين، ومن موالاة ومعاداة للنفس، والهوى، والعدو، وأعلمهم فى أنفسهم أرغبهم فى الدنيا، وأعبدهم عند أنفسهم لا بصيرة له، وأورعهم عند أنفسهم لا نور معه، ولا تمييز كلهم فى الخوض يعمهون، وبمثالب الناس يشتغلون لا ناصح يقبل منه، ولا زاجر منهم يسعد به مسعود.

وقال: سلامة الصدر للأمة أفضل من التطوع بالبر: الصلاة، والصوم، والصدقة، والحج، والجهاد، وشغل القلب من أجل فساد الأمة أعلى من حظ السلامة، وإقامة الحق، والعدل فى الأمة إما لحكم أو حد، أو نصيحة أشرف من ذلك كله، وبذل الدعوة فيه على المكاشفة فأحوالهم أصلح لهم فى الدين، والدنيا من إمام عدل يقيم الخير فيهم.

وقال: من أحببته لله عز وجل فلا تعاديه لحظ من دنياك، ومن واليته فى الله فلا تعاديه فى الدين حتى تنصحه لما وجب عليك من حقه.

وقال: إذا تعرفت بأحدٍ فلا تأمنه على سرك حتى تختبر عقله، وتستبطن سره ثم لا تخالطه حتى تزيد الزيادة له فى عقلك، وعلمك، ومعرفتك، ويقينك.

وقال: ما أقبح القطيعة بعد الصلة، وأقبح البعد بعد القرب، وأقبح الجفاء بعد الرحمة، والبغضة بعد المودة.

وقال: ما أضرّ صحبة الجهال على الدين، وأضرّ صُحبة الحمقاء على العقل وأضرّ صحبة البخلاء على المروءة.

وقال: من ظن أنه يجد اليوم راحة بغنيمة، أو فرحًا بسلامة إلا أن يؤالف ثلاثة، ويفارق ثلاثة فقد عميت بصيرته، ولم ينتفع بعلمه، ومعرفته مؤالفة العلم، ومخادنة المعرفة، ومصاحبة اليقين، ومفارقة الجهال، والاغترار بالأضداد، والهرب من العوام.

وقال: من سلك طريق البلاء بثلاثة سلم، ومن سلك طريق العوافى بثلاثة هلك من صير عقله بيد هاديه، وجعل هواه فى طاعة باريه، وسجن عدوه فى مضائق يقينه نجى، ومن كان بأضداد هذه الثلاثة هلك إلا ما شاء الله عز وجل.

وقال: لا يجوز للعالم أن يصحب معرفة بطوعه إلا مسترشدًا عاقلاً، ولا يجوز للمريد أن يصحب نفسه إلا عالمًا صادقًا بصيرًا ناقدًا، ومتى كان العالم، والمتعلم بغير هذه الأوصاف؟ فهو عمى، وبلاء فى الدنيا، وهم، وعذاب فى الآخرة إلا أن يعفو الله تعالى.

وقال: عظم البلاء، وعظم المنكر، واختلفت القلوب، وذهب أهل الوفاء، ونسى الكرم، وعفت طريق الإيثار، وانتشر الخب، وكثر الفجور، وفشى الدهان فلا سلامة من عامى، ولا بركة فى خاص، ولا

إنصاف فى مودة، ولا عدل فى سلطان فقد بلى الكل بالكل، وامتحن الكل بالكل فنسأل الله النجاة بمنه، والخلاص بفضله فإنه لا حول لنا، ولا قوة إلا به.

وقال: هو زمان بلاء، وفتنة، وامتحان، واختبار، وأشدّ ذلك كله على من أشار إلى شىء من الحقيقة إما بحال حل فيه فذلك الذى أعظم البلاء عليه، وإما بتصديق فيلحقه من البلاء بقدر إيمانه فطوبى للصابرين القانعين، وهنيئًا للراضين المحسنين.

وقال: إذا صار العلماء بالأمر جهالاً فى أعمالهم، وصار العمال أهل عبادة فى أفعالهم، وصار المدعون الورع سخفًا فى أحوالهم، وصار المريدون، والطالبون أهل رؤية، ودعوى، ونفور، وجفاء لا يهابون شيخهم، ولا يجلون كبيرهم، ولا يرحمون صغيرهم فيكرمون كرامات أهل الطاعة، ويرفعوا بأهل التخاليط، والمعصية فقد وجب كتمان هذا العلم، ووجبت الظنة بذكر أحوال أهل المعرفة، واليقين، والخاصة، والخصوص إلا عن أهله من أهل التصديق، والبصيرة فى التحقيق.

وقال: إذا كتمت النصيحة من الإخوان سقط فرض المؤاخاة فى الله عز وجل، وإذا ظهر الشتات بين أهل الموالاة فى الدين زال فرض الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر باللسان، وإذا لم يوقر الصغير الكبير وجب الفرار من بينهم، والدعاء للأمة، وانتظار إمام يقيم حق الله معه.

وقال: كم رأيت من واعظ، ولم تزدجر إلى كم أنت طالب للعلم، ولا تنتفع، وإلى كم تصحب الأخيار، ولا تذكر، أما آن لك أن تجلَّ قيام من رقيب عليك، أما آن لك أن تستحى ممن وكل بحفظك.

وقال: لا يسلم لأحدٍ فى هذا الزمان دينه حتى يكون همه محاسبة نفسه، وشغله بصلاح دينه، ويترك الناس جميعًا بكفٍّ الأذى عنهم،

واتصال نفعه بهم.

وقال: إلى الله أشكو أناسًا أنصحهم، ويغشون أنفسهم، وأنصفهم، وتخدعهم أهواؤهم، وأعلمهم أمر دينهم، وهم حزب لعدوهم إن سألتهم منعونى، وإن كففت عنهم الأذى لم يتركونى فقد وقع البلاء بنا جميعًا فكم أقول وأقول، ولا يعقلون، وأقول وأقول، ولا يفقهون، إلى كم أنادى فى أسماع قد امتلأت بحب الدنيا، وأبين لأبصار قد غشيت بخوف الفقر، وسلب الغنى، وأنبه عقولاً قد ترددت فى الأطماع الكاذبة، وقلوبًا قد استولت عليها الأمانى الفاسدة شاهدى عليهم التقاطع بين أهل الألفة، والتراحم بين أهل السنة، وازدراء الغنىّ بالفقير، وتواضع الفقير للغنى، وترك رعاية الغرض فى الواجب، والندب، وما ظهر من التغنى بالقرآن، والتصافى فى سماع الشعر، والتعاطى فى غياهات الجهل، والدهان لأهل الريب، والفخر، والإعراض عن أهل الصدق، والذكر حتى لقد استخرت الله عز وجل فى الانقطاع منكم، والصمت عنكم، وعسى أن يكون قد اقترب ذلك.

وقال: لما حدث فى قلوب الجهال الغنى عن العلم أحدث الله فى قلوب العلماء الجفا لهم، ولما حدث فى قلوب الفقراء الحاجة إلى الأغنياء أحدث الله فى قلوب الأغنياء البغضة لهم.

وقال: عقوبة الفقراء التضحضح لأبناء الدنيا فى الدين، وعقوبة أبناء الدنيا فى ترك الرحمة للفقراء فى الدين، والدنيا.

وقال: لا تسكنوا إلى الخلق فتسلموا إليهم، ولا تثقوا بأنفسكم فيسلط عليكم عدوكم واحذروا ممر الساعات بالتسويف، والنظر إلى خطرات الأنوار، وليكن التعلق فى جميع ذلك بالله على الفقر، والفاقة، وإليه تسلم لكم الأعمال، والهم، والخطرات.

وقال: إذا صفت النفوس من أدناس الأطماع؛ طهرت القلوب من الريب فى المضمون من الرزق، وإذا انشرحت القلوب بنور تصديقها أبصرت حقيقة الأمر بيقين باريها.

وقال: خرج أكثر الخاصة من الدنيا، وقلوبهم مقفلة عن الحقيقة إلا العلماء بالمعرفة، واليقين الذى فتح الله قلوبهم بعد فلاحها، وشرح صدورهم بعد ضيقها.

وقال: قلب الجاهل مقفل عن معرفة الأمر، والنهى حتى يطلب العلم، وقلب العالم مقفل عن المعرفة بالله حتى يعمل بعلم الأمر، والنهى، وقلب العارف مقفل عن العلم بالله حتى يفتقر إلى ربه.

وقال: تدرى متى تفهم هذا الشأن؟ وتجل قدر أهله إذا ماتت نفسك من طبع جهلها، وحيى قلبك بنور الحياء، والمراقبة لربها، وأشغلك به عن حظ نفسك عند إقباله عليك حتى تسهو عن حقها.

وقال: خذ الأسباب من معادن التوحيد بمعرفة الشكر، وردِّها إلى مصادر التفريد بمشاهدة التقصير يسقط عنك الهموم بالدنيا، وتسلم من آفات الدار، وشر أهلها.

وقال: احذر أن تزهد فى علم عالم، أو حكمة حكيم فإن خالف رأيك، وثقل حمله على نفسك فعسى أن يراك الحق طالبًا له فتكتب عنده حكيمًا عليمًا.

وقال: لا ترغب فى ود الجاهل، وإن وافق هواك، ولا تزهد فى إعراض العاقل العالم، وإن خالف ذلك هواك.

وقال: عود أبدًا همك، وفكرك الجولان فى العلى يزكو عملك، ويقدس عملك، ويطهر قلبك، ولا تعوده الجولان فى الناس فيكثر

جهلك، ويفسد عملك، ويقسو قلبك.

وقال: لا يصبر على المقام فى الحرمين من الأولياء إلا صديق عبد هانت عليه نفسه، وعز عليه دينه، وخلقت عنده دنياه، وعظمت عليه آخرته لأن الموجود فيهما الذلة، والقلة لأهل الخاصة خصوصية من الحق فهما غنيمة لأبناء الدنيا المريدين ما عند الله، وهما سلامة، وغنيمة للمؤثرين الله عز وجل.

وقال: ثلاثة لا يكون لهم نبأ خير فى الدنيا، وثلاثة لا يكون لهم نبأ خير فى الآخرة، فأما ذهاب نبأ أبناء الدنيا فمتبع لهوى نفسه بغير هدى من الله، وذو ملالة لصاحبه، وحاسد لأبناء جنسه، وأما ذهاب نبأ أبناء الآخرة فمفارق لسنة، وعامل بغير نية قد وفد من الدنيا ناسٍ لحظة من الآخرة.

وقال: عقول الناس متشابهة فى أخلاق الدين متفاوتة فى المقامات، والدرجات بهمتهم، وإرادتهم فالخاصة لا ترضى القدوة إلا بعلم الخاصة، وهم معهم فى درجة، وإن تفاوتت بهم الأزمنة، والعامة لا تسكن فى القدوة إلا بمعرفة العامة، وهم معهم فى درجة، وإن تفاوتت بهم الأزمنة.

وقال: إذا صحت إرادة المريد أختبر بالسقم فى جسمه فإذا راقب مولاه بُلى بإيذاء الناس فى عرضه ليظهر فى الحالين صبره، فإذا أحب ربه ابتلى بالدنيا ليرى كيف شكره، وإيثاره، وفقره.

وقال: إنما انتفع الناس بكلام السلف لأنهم أرادوا الله، والدار الآخرة، وقل نفعهم بكلام الخلف لأنهم أرادوا الدنيا، والحظوة عند أهلها.

وقال: بالحزن يقل الغذاء، وبالخوف يذهب أمانى الهوى.

وقال: شمس المريد علمه، وقمره عمله، ودنياه مزيد فى آخرته، وآخرته صلاح لدنياه، ومن لم يكن هكذا فهو مدعٍ.

وقال: كان الله سبحانه وحده فخلق الخلق فكانوا معه فألهى قومًا بالدنيا، وأشغل قومًا بالآخرة فعاد وحده سبحانه لم يزل.

وقال: اطلبوا أفضل عيش الدارين، ولا تغتروا فإن عيشة العلماء، والعارفين فى الدنيا الشغل بمناجاته، وعيشهم فى الآخرة النظر إليه، والمخاطبة له.

وقال: شرور الدنيا يقظة، وسروها أحلام نائم.

وقال: العفو أفضل من الانتصار بالحق.

وقال: الحق ثقيل مرٌّ، ثقله على بدن الصادق، ومرته خفته على قلبه بالتصديق له، والباطل خفيف دثير خفته على البدن الكاذب، والمدعى دثير ليس له ميراث عاجل، ولا ثواب آجل.

وقال: إذا تفقه الدنئ تكلف، وتعسف، وإذا تفقه الكريم تواضع، وتورع، وإذا تقرى العجمى افتخر، وإذا تقرى العربى افتقر.

وقال: لو علمت أن أحدًا يبغضنى فى الله عز وجل لوجب على حبه، ولو وجدت أحدًا يحبنى فى الله عز وجل لعظم على حقه، ولكنهم يبغضون لأنفسهم فأرحمهم، ويحبون لهواهم فأوثرهم.

وقال: لا يسكن تحت الضراء بالصبر إلا صادق، ولا يسكن تحت السراء بالشكر إلا صديق، ولا يشهد بالرضى فى الفقر إلا لمن ابتلى بالغنى فشكر فيه، ولا يشهد بالإيثار فى الغنى إلا لمن ابتلى بالفقر فصبر عليه.

وقال: أول هذا الشأن التوبة ثم الإرادة ثم العلم ثم الفقه، ثم المعرفة

بالله، ثم العلم بحقيقة توحيد الله، ولكل حال حظه من اليقين بقدر وزن عقل صاحبه، ومنتهى فهمه، ودقة غامض فطنته، ونيل تهذيب لُبه، فإذا اتصل علم الأمر، والنهى بالعلم بالله عز وجل فهناك يحل العبد مقام الحجة الذين نصبهم الحق لدعوته، وجعلهم ألسنة لإقامة الحجة رقباءً على أوليائه حسرة على أعدائه.

وقال: أعظم أهاويل أبناء الدنيا فى الدنيا والآخرة مفارقة الأحبة، وارتفاع الجهال على العلماء للمخاض، ووحشة الليل فى ظلمة البحر، وذل الغربة فى مفاوز البر، وأشد محن أبناء الدنيا والآخرة مفارقة الأحبة، وارتفاع الجهال على العلماء، واستعباد الحمقاء للأحرار العقلاء، وفاقة أهل الدين والمروءة إلى الفساق والبخلاء.

وقال: الدنيا دار امتحان، وأعظم الناس فيها بلوى نبى، أو صديق صاحب نبى، أو صفى متبع لصديق.

وقال: إذا أراد الله تبارك وتعالى أن يصافى وليه ابتلى الخلق به فى طريق الذم، فإذا طهره بترك الانتصار أبلاه بالمدح منهم، فإذا خلصه من رؤية فعلهم، ورؤية تجمله لهم أبلاه بالذم، والمدح، ورقة الرأفة، والرحمة للخلق، وعند ذلك يكتبه صديقًا، وشهيدًا.

وقال: لهم أنباء معروفة يعرفهم بها الأشكال، وشواهدهم لا تخفى عند ذوى الألباب فلهم عبرة فى كل ما عاينوه، واستشعروه، ولامسوه، وجاشروه، وغير ذلك مما تقدم علمه، وفات الجهال معرفته.

وقال: أهل المعرفة يعرفون الشاهد بالرؤية، ولا يجهلون حال الغائب بإشارته، وما ظهر من كلامه.

وقال: كل كلام منسوب بخلاف حال صاحبه لا يخلو من وجهين إذا

كان على الصحة إما أدب للغير، وإما دخول على المنسوب إليه فاتقوا الله فى أهل الإيمان، ولا تعجلوا بالظن السوء فتندموا إما بعقوبة فى العاجلة، وإما بعذاب فى الآجلة.

وقال: العلماء يعرفون كلام أهل التكلف فى الخير بالثقل على النفس، والتناقض فى الأصل، والعارفون يفقهون ذلك من جهة الترتيب لامتزاج البداية بالنهاية فى الدرجات، والمقامات.

وقال: القلوب الطاهرة تميز ما كان من العلم المستخرج من الخلق لله، وما كان من العلم الوارد من الله.

وقال: أشد حزن المؤمن فى الدنيا على ثلاثة: يوم يذهب عنه من عمره بعقله، ويوم ينتظر فيه ورود الموت بلا عُدة ويوم يلاقى فيه الحساب بلا معذرة معه، ولا حجة، ولذة نعيم العارف فى الدنيا بثلاثة: مزيد علمه فى كل نفس بربه، وخلوته بحبه، وأمله بربه منى نفسه.

وقال: إذا سقط خوف الخلق، ورجاءهم من الحق سقطوا من عين الله عزَّ وجل، وإذا كانت رهبة الناس لأجل صيانة أعراضهم، ورغبة الناس إلى الناس لسبب معروف دنياهم فتح عليهم باب الذلة مع الأمن، وباب الفقر مع الغنى، وغلق عليهم باب التواصل بالبر، وباب الرحمة بالإحسان.

وقال: كيف يناصح الخلق فى دينهم من لم تثبت له المناصحة لله فى دنياه؟ وكيف ينصح الناس لله من لم ينصح لله فى نفسه؟

وقال: إرادة الخلق لله بإصابة الحق خصوص، وأراد الله للمريد فى الإرادة خاص من خصوص، والفرق بين حال المريد، والمراد أن المريد يدخل فى أسباب القربات، وهو يرهب الانقطاع، والمراد مدخوله عليه

القربات، والكرامات، وهو يرغب فى مزيد الهدايات فمن وصل منهم إلى معنى الرضا سقط اختياره لنفسه، وألزم الهيبة لربه.

وقال: محبة العارف لربه تورثه الجد، والاجتهاد، وهى مملوكة لحاله، ومحبة العالم تورثه الفقر إلى ربه، والغنى به وهى مالكة لحاله فالعارف مشغول فى وسوسته لحاله، والعالم متعلق فى وسوسته لربه.

وقال: سبحان من أكرم أهل خاصته بالبلوى، والامتحان فى طريق السلامة، والعوافى فاختبر الخلق بهم فى الموالاة، والمعاداة ليشهدهم قيامه لهم من حيث لا اختيار فى حكمه، ولا اعتراض فى قدره، وسبحان من أهان أهل عداوته بالنعم، والرفاهية فى طريق النكد، والتبغيض ليرهم عجز مقدرتهم، ولمرارة صفو عيشهم فيزيدهم ذلك طغيانًا، وكفرًا.

وقال: نصب الحق خواصًا من خاصته فأهلك بعداوتهم كل مفترٍ، وأشقى بمحبتهم كل مُدّعٍ، ونصب آخرين من أهل خاصته فأحيا بهم أهل الغفلات، وأسعد بهم أهل السلامات.

وقال: أكثر الناس من التكلف، والتشقيق فى الدين للخصومة، والمراء، وجمع الله عز وجل قطرى الدين بأصله، وفرعه، وظاهره، وباطنه فى أصلين كتاب الله المبين، وسنة نبيه عليه السلام، وهو الصراط المستقيم، وأكثر الناس من التعمق، والتزين فى الآداب، وأكثر ذلك تناقض فى الوصف، وغلط فى الصفة، وجمع الله عز وجل ذلك لأهله فى أصلين حال يريد به الله، أو معنًى يريد به ما عند الله عز وجل.

وقال: أربعة أصول من العلم حوت كل فرض، وندب، ومقام، ودرجة: المعرفة بالله، والمعرفة بدين الله، والمعرفة بما يريد الله، والمعرفة بما يريد العبد من الله.

وقال: قوام الدين بالكتاب، والسنة، وتمام حال العبد بالعلم، والمعرفة، ومريد حال التعبد بالعقل، وكمال حال العبودية باليقين.

وقال: العلم مجتمع فى المعرفة، والعلم، والمعرفة مجتمعان فى العلم باليقين، والعلم، والمعرفة، واليقين مجتمع فى العقل، والعلم، والمعرفة، والعلم، واليقين، والعقل مجتمع فى الفهم، والفطنة، وكل ذلك مجتمع فى المحبة، وكل ذلك مجتمع فى الموافقة فمن صحت موافقته لربه على المحبة، والفهم، والعقل، واليقين، والعلم، والمعرفة، والعلم تمت له درجة العبودية بالحقيقة، وتكلم على وجود شواهد البصيرة، وما نقص من هذه الأحوال فهو اختلال فى العلم، ونقص فى المعرفة، ووهىٌ فى اليقين، وضعف فى العقل، وتخلف فى الفهم، ودعوى فى المحبة، والتباس فى البصيرة، ووهم فى الإرشاد، وغلط فى الدلالة.

وقال: أفلح عبدٌ عرف ربه بعقله، وعرف دينه بنبيه، وقام على همه بعقله، وصحت إرادته ببذل النصيحة لله عز وجل، وأقام خلقه على استعمال المروءة فيما بينه، وبين الناس.

وقال: أدنى باب فى النصيحة الإنصاف، وأدنى باب فى الإنصاف الرحمة، وأدنى باب فى الرحمة الرضى باختيار الله عز وجل لك، ولهذا الخلق، وأدنى باب فى المروءة سلامة الصدر، وأدنى باب فى سلامة الصدر حسن الظن بالله، وأدنى باب فى حسن الظن بالله إقامة العذر، وأدنى باب فى إقامة العذر إيصال النفع، وأدنى باب فى إيصال النفع كفٌ الأذى.

وقال: الناس فى طلب الدنيا على ثلاثة أوجه: واحد يطلبها للآخرة، وقليل ما هم، وآخر يطلبها لنفسه لاستعجال حظه، وكثير ما هم، وآخر

يطلبها خوف الفقر فيها فلا لله، ولا لنفسه، وهم فى طلب الآخرة على ثلاثة أوجه: واحد يطلبها بفضله، وآخر يطلبها بجهده، وآخر يطلبها ليحمد الله فى طلبه لها، وهذا أرفع الثلاث.

وقال: من راع رضا الناس بنقص دينه سلطوا عليه الأذى فى دنياه، وسقط من عين ربه، ومن راعى رضا الخلق لتعظم عندهم رئاسته فى دنياه سلط عليه الخلق بالأذى فى دينه، ومقته أولياء الله عز وجل.

وقال: اجتهاد المريد تقصير عند العارف، وجهد العارف فترة عند العالم.

وقال: المريد مستوحش من ذكر الدنيا، وأهلها لخوفه منها، والعارف مستأنس بذكر الآخرة، ونعيمها، والعالم مع ربه لا يشغله الداران عن المالك لهما.

وقال: إذا مدح المريد الصادق تزيد عنده مقت نفسه، وإذا ذم العارف المتحقق ازدادت محبته لربه، وإذا ذم العالم، أو مدح كان له فيهما طريق إلى ربه.

وقال: تكبر العلماء فتنة عامة، وتواضع العلماء رحمة خاصة، ولربما كان التكبر على المدعين نعمة من الله على العلماء، ولربما كان التكبر على الصادقين نقمة على العلماء.

وقال: العالم المتحقق للمريد العاقل الصادق رحمة، وإقباله عليه مكرمة وتواضعه للمدعى، والمخالف نقمة فى نفسه، وفتنة لغيره.

وقال: إذا لم ير المريد تواضع العالم حجة عليه، ويحسب إقباله نعمة من الله بدأت فى شكر ما لم ينتفع بما يطلب من العلم، والحكمة، وكانت عقباه إما دعوى برؤية، وإما فترة بانقطاع.

وقال: كان المريدون يطلبون العلماء حيث كانوا زهادًا فى الدنيا، فلما رغب العلماء فيها هرب أهل الإرادة منهم لله عز وجل فلما تعلق المريدون بالدنيا فسد حال المريد، والعالم بالتصنع، وترك النصيحة فهلكوا جميعًا.

وقال: إذا كانت الدنيا بأسرها قليلة عند أهل المعاصى فى طاعة الشيطان فهى أقل، وأذل عند أهل الطاعة لمن يحبوه فى رضى الرحمن، وإذا كان ذلك قدرها عند عبد مخلوق، فكيف يكون مقدارها عند مالك خالق؟

وقال: ينبغى لطالب الدنيا أن يستشعر سؤال الله إياه عن خير ماله حين أنفقه فى سبيل الدنيا، وعن شر ماله حين أنفقه فى سبيل الآخرة، ويحك ما تستحى من ربك أما ترجوه جعلت لعدوك أحل مالك، وأقرضت ربك أخس مالك إن كنت موقنًا بيوم الحساب، فأعمل بالأفضل، وإن كنت شاكًا فدم على عمران الخراب، وشهوة تورث العذاب.

وقال: أبناء الدنيا يسئلون فى الآخرة عما جمعوا، وفيما أنفقوا، وما الذى أرادوا؟ وأبناء الآخرة يسألون فى الآخرة لمن عملوا، وثواب من طلبوا، وحق من آثروا فافهم منى مقصدك إليه إما لما عنده لحظك، وإما بحقه عليك.

وقال: اطلبوا الله لله بالله، وإن جهلتم الله بالحقيقة فأريدوا الله لما عند الله يوم لا يقبل الله فيه إلا ما خلص لله ثم احذروا ما بعد هذين المقامين فإنما هو هوى ونفس، ودنيا، وعدو، وشهوة، وميراث المقام الأول محبة الحق للعبد بالموافقة، وميراث المقام الثانى محبة العبد للحق بالشريعة، وميراث المقام الثالث المقت، وعذاب القلب فى الدنيا، والغبن،

والخسران فى الآخرة.

وقال: ليس من تولاه الله فيما أراده الله به كمن تولاه ما أراد الله بنفسه.

وقال: اعلموا أن الجاه جاهان فجاه للعامة عند أبناء الدنيا فى الدنيا فهو مسقوط عند أبناء الآخرة فإذا أزعجوا من الدنيا ذهب جاههم عند أصحابهم زالت محبتهم من قلوب أحبائهم، وتلك علامة أهل البعد، والحرمان، وإن كان هو المذكور عند الناس فلان ابن فلان، وجاه للخاصة معروف عند الخاصة بجهل العامة فى الدنيا فإذا قبضوا نشر الحق أعلامهم بالإشارة التى كانت لهم بعد الوفاة فثبت حينئذٍ ودهم فى قلوب العامة، والخاصة، وأبقى بذلك حسن الثناء عليهم فى الدنيا، والآخرة.

وقال: من حفت بدايته بالصدق فى مقصد الله عز وجل ذهب عنه رؤية نفسه بالدعاوى، وطلب الحظوة، والتشفى بالانتصار، ومن تحققت نهايته بالغنى بربه، والفقر إليه غاب عن رؤية حاله بالغنى عما له فى العلم، والعمل.

وقال: المريد مريد الله بعمله، والعارف يطلب الله فى عمله، والعالم واقف بين يدى الله راض مستسلم لله قد علم منة الله فى العلم، والعمل بوجود الله فكيف يرد ما ليس له، أو يطلب ما هو واجد له؟

وقال: الحكمة مقرونة مع الصدق، والإجابة موجودة مع أخذ الحلال، والعلم مقرون مع الاتباع، والمعرفة موجودة عند الافتقار فلا تطلبوا الصدق بترك الإخلاص فتعجزوا، ولا تبتغوا الأمانة بأخذ الحرام فتحرموا، ولا تتوصلوا بالعلم إلى بدعة فتجهلوا، ولا ينسينكم بسط المعرفة ترك الهيبة فتهلكوا.

وقال: لكل عمل خالص لله ثواب، ولكل عمل صادق أُريد الله به ثواب، وللعمل، والعلم بعده ميراث فثواب العمل، والعلم النجاة من العذاب، والفوز بالجنان، وميراث العمل، والعلم فى الدنيا النظر بالنور، والنطق بالحكمة.

وقال: تفقدوا أحوالكم فإن لم تجدوا الموارثة فابكوا على أنفسكم فإن وجدتم ميراثًا بعد البكاء فاشكروا ربكم، وإن وقع المنع فتوبوا إليه من أعمالكم، وكونوا له مراقبين على خطراتكم.

وقال: المتعبد عبد لحاله، والمستعبد رب لحاله، لأن المتعبد يريد الله لما عند الله عز وجل، والمستعبد يريد الله لله.

وقال: حرام عليك أن تراهم حتى تعرفهم، وحرام عليك أن تعرفهم حتى تحبهم، وحرام عليك أن تحبهم حتى تؤثرهم، وحرام عليك أن تؤثرهم حتى تبذل مهجة نفسك دونهم.

وقال: تزهوا عن الصفاة أذكارهم،ولا تعرضوا عن المترفين أخبارهم، إنه بهم يرفع الله المكاره عن الجبابرة، والسلاطين، وبهم يصلح الله أهل التخاليط، والمذنبين.

وقال: سبحان من يحمده مع نفسه فى الأزل القديم ذكرنا، وبقدرته صور فى الأرحام أجسادنا، وبلطف رأفته غذاء أرواحنا، وبعطف جوده قوام أذهاننا، وبحسن نظره دقت علومنا، وبفضل محبته أنارت قلوبنا، وبرعاية سياسته نمت إرادتنا.

وقال: المعرفة شكر، والعمل مزيد، والعلم نور، واليقين برهان، والمحبة دليل، والفقر وسيلة، والغنى درجة، والفناء وجود، والبقاء بعد الفناء توحيد.

وقال: لما رحمهم وهبهم الإيمان، فلما أحبهم أوجدهم العلم، فلما أكرمهم أوجدهم العمل، فلما أخلصهم أوجدهم المعرفة، فلما اختارهم أوجدهم اليقين، فلما ارتضاهم أوجدهم العلم فلما اتصل علم الأمر، والنهى بعلم حقيقة التوحيد، وحقائق التعبد أوقفهم بين يديه فهو ناظر إليهم، وعاطف على الخلق بهم، وهم ناظرون إليه بقلوبهم عاكفون عليه بهممهم، وكان مما أتحفهم به فى مخاطبة أسرارهم: أنتم أريد، وكان من جوابهم بعد الأذن ونحن لا نريد إلا أنت.

وقال: لما أرادوا ما عنده أوجدهم الأنس فى وحشة ليله، وأوجدهم الوحشة فى ضياء أنس نهاره فلما أرادوه وحده آنسهم بكل شىء، وآنس كل شىء بهم، وأوجدهم الوحشة من كل شىء، وأوحش كل شىء منهم فانبسطوا للخلق بالأنس بالوحشة، واستوحشوا من الخلق بالأنس.

وقال: الغفلة عموم، والذكر خصوص، وليس الخصوصية عند الخاصة وجود حلاوة الذكر المذكور إنما الخصوصية وجود المذكور فى الذكر القديم هاهنا.

وقال: إنما ألقى فى قلوبهم حبه ليكونوا غدًا فى قربه، وإنما جعلهم رهائن بلائه ليكونوا غدًا أصفياء نعمائه، حتى إذا حلوا بفنائه ترادفت عليهم تُحف رضوانه فعند ذلك يسمعهم كلامه، ويكشف لهم الحجب فينظرون إليه تمتعًا جعله فيهم، من عزَّ بها لقىّ عظيم إجلال كبريائه، وإذا رأوه بعيون أبصارهم لم تثبت صفات المحدثات للقيام مع فاطر البريات حتى قهرها عن الغلبة فخرت له ساجدة فعند ذلك ناداهم الجليل فى علوه: أنا الله الذى صدقتكم وعدى، وأنجيتكم من عذابى، وأسكنتكم جنتى برحمتى، وأمنحتكم رضوانى، وأكرمتكم بكلامى، وزدتكم النظر إلى وجهى فارفعوا رءوسكم عبادى فأنتم أحبائى، وأصفيائى، ومن كنت

أذوده، وأرعاه، وأحفظه، وأكلأه، وأسمع دعاه، وأجب نداءه، وأرى تحمله لى، وحزنه علىّ، وبكاءه منى، ورضاءه عنى، وشغله بى، وإيثاره لى فارفعوا، وقد أشرقت من نوره وجوههم، وابتهجت بالمسرة لرؤيته قلوبهم، معتذرين إليه لما دخل عليهم فى الإعراض عنه ولم يؤمروا به فرضى عنهم كل الرضى، وزادهم كرامة من تحف عواليها، ودوام سلطان فخر البقاء الذى هم به باقون ببقاء من لا تجرى عليه حوادث الفناء فهذا دأبه، ودأبهم فى جديد نعيم الخلد بالمزيد الذى لا آخر له، ولا نفاذ.

وقال: اطلبوا الدولة الأبدية، وارغبوا فى الجنة السرمدية بالتصمد للصمد، والإيثار لمن احببتموه للواحد الأحد عسى أن تحيوا فى دار البقاء بما أسلفتم فى دار الفناء فإن الكريم يعود بفضله على من يخالفه، ويعصيه فكيف لمن يوافقه، ويطيعه؟

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء السادس

قال عبد الرحمن بن محمد: أدب الله عز وجل خاصة من أهل محبته بالهيبة، والإعظام، ورؤية شواهد الإجلال فى البداية، والنهاية، وكان مما جمعهم فيه مقامات الجمع، والمعرفة أربعة معانى. فدرجتان لأرباب الأحوال، ومنزلتين لأصحاب الأحوال فمن ثم وصل بالحق من اتصل، ومن ثم انقطع من الحق من انقطع فالرتبة الأولى لأهل العلم بالله، والمعرفة به العالمين بأمره، ونهيه، وأيامه، والرتبة الثانية لأهل المعرفة بالله العارفين بأمره، ونهيه، وأيامه، والرتبة الثالثة للعاملين بأمر الله، ونهيه، وأيامه، والرتبة الرابعة للمريدين لله، والطالبين ما عند الله.

فالدرجة الأولى: التى اجتمع فيها العلماء بالمعرفة رتبة الحضور فى مقام المشاهدة، ومناجاة المخاطبة، ورؤية الغيوب بشواهد أنوار القلوب فمن أقهره عن المباهتة، وسُلطان إجلال العظمة فى وقت فنائه، أو بقائه عند التحديد والتكييف سلم وفاز وغنم، ومن استقرأه طربات وجوده بحداء، ومثال، ضلَّ لسكونه، وهلك فى توهمه، ومن هاهنا قيل فى أهل النهاية المتصلين بالحق: إما صديق واصل، وإما زنديق راجع.

قال: والدرجة الثانية: التى اجتمع فيها العارفون بالله، وأمره، ونهيه، وأيامه رتبة الحضور فى مقام القبض، والتحقر، ووقوع الإلهام[1]،

---

(١) قال سيدى الشيخ العارف بالله العالم الربانى وارث النور المحمدى صالح أحمد الشافعى أبو خليل: الإلهام: عبارة عن نفث فى الروح بوحى من الله تعالى فى القلب بنور المعرفة والهداية إلى الصواب ليثمر علمًا لَدُنِّيًا من علم الله تعالى.

والعلم اللدنى: هو الذى لا واسطة فى حصوله بين الروح وبين الله تعالى. =

ووجود الفراسة فمن لزم العبودية فى الفقر، والتقوى، والموافقة، وتقدم أهل الوسائط الصفوة سلم، وفاز، وغنم، ورفع إلى درجة أهل العلم، ومن تبسط بترك الأدب فى الاتباع، وتوهم الفضل فى مواجيد القلوب بترك الوسائط وقعت به المغاليط فى أودية الحيرة فتاه عقله لمزيد معرفته، وتحكمت فيه دواعى شهود حاله لقيامه مع نفسه فهلك بالاغترار، وفنى بالتمنى، وترك بالاعتبار.

والمنزلة الثالثة: للعلماء بالأمر، والنهى فهى الرتبة التى اجتمع فيها العلماء بالاستنباط فى الحوادث، والنوازل فمن أخذ تأويل ما ورد عليه من أصول أحكام الكتاب، والسنة على منازل الشكل، والشبه، والنظير فى الأعلى، والأولى على شهود التقصير، والإشفاق عن التعمق والتكلف: سلم، وفاز، وغنم، ومن شهد ذلك من حاله بحاله ورد

= قال تعالى: ﴿وعلمناه من لدنا علمًا﴾ [الكهف: ٦٥]. «من لدنا» أى بدون واسطة.

بل يكون هذا العلم كالضوء من النار يفرغه الله على قلب صاف فارغ من: الأغيار، ومن هوى النفس، ومن حب الدنيا بمالها وجاهها ومتاعها، ومن الأمراض القلبية التى تحجب العبد عن ربه، إذ تهبط الأنوار على قلب لطيف تشغله بخط الأنوار الأحدية والتجليات الصمدانية، فيكون واسطة العبد بربه، فلا ينطق إلا حقًا، ولا يقول إلا ما يريده الله تعالى.

وقد قال شيخنا سيدى أبو خليل رضى الله عنه: «لا يأتى من الذكر غير الحق، لأن القلب الصافى المشغول بالله يذكر الحق ولا يقول إلا حقًا».

وقال الله تعالى: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شىء عليم﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وقال الله سبحانه: ﴿يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرًا كثيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

ثم قال حفظه الله: إن الإلهام فتح من الله على يد شيخ واصل موصل بل: جيد التوصيل، وهو عبارة عن نور يلمع فى قلب الذاكر المؤمن النقى السريرة المحب لله وأحبابه، والذى سلم قياده لخالقه، وامتزجت روحه بروح شيخه امتزاج الفرع بأصله، فشرب من روحه بقدر استعداده، وما يحفظ عليه الأدب مع شيخه وربه، فلما اشتاق إلى الله انجذب قلبه إليه فقذف الله فى قلبه من نور المعرفة وألهمه الصواب وأزاح عن قلبه الران فرأى شيخه يلقنه ويرويه ومن مراد الحب يسقيه فصدع بالإلهام ليوقظ النوام. انظر: (كشف الغطاء عن أهل البلاء ص٢٤٤، ٢٤٥).

المعانى إلى معقوله، وازدرى برأى من سبقه استوطنه العجب فى نفسه، واستفزه العدو بشرع بدعته فعمى قلبه، وسد باب فهمه فلو نزل إليه ملك من السماء يخبره أن الحق فى ضد ما هو فيه لم ينزع عن هواه حتى يفاجئه أجله على شر عمله.

والمنزلة الرابعة: للمريدين، والطالبين فهى الرتبة التى أجمع فيها أهل التقوى من النساك، وأهل النظر من المتصوفة فمن أخذ منهم علم ظاهر دينه من أهل العلم بالكتاب، والسنة، ومعرفة علم باطنه من العلماء بالله بأمره، ونهيه، وأيامه على التقشف فى الورع، والخشية بالإشفاق سلم، وفاز، وغنم، ومن سكن منهم إلى المدح، والذم، وحمل ما خف فى الهوى، والجهل فتن بسعة الحلم، واغتر بأمانى الهوى، وكانت طربات وجود دينه، وخواطر هوى حاله لا تزجره محاسبة، ولا تنهاه موعظة مستخف بعلم العلماء، وآداب الحكماء فاتصل علمه بسعى الفاسقين، وعلمه بدعاوى الجاهلين فنعوذ بالله من الحيرة بعد البصيرة، ومن الضلالة بعد الهداية.

وقال: كان العلماء يجهلون أنفسهم، وكان العارفون يقصرون أحوالهم، وكان المحبون يزدرون آدابهم، وكان الزاهدون يتوهمون أهواءهم، وكان المتعبدون يخملون أذكارهم فذهب أولئك ثم نشأ بعدهم خلائف يدعون العلم، وهم جهال، ويتعاطون المعرفة، وهم ضلال، ويتوهمون المحبة، وهم فُساق، ويتشبهون بالزهاد، وهم ذئاب، ويتحلون بالتعبد ليستأكلوا به أبناء الدنيا، ويختدموا به المساكين، والفقراء فعند ذلك رفع من بينهم التناصف، وخذلوا عن التناصح، وعوقبوا بالعداوة، والبغضاء، وصارت المداهنة بينهم أخلاقًا فى الدين.

وقال: ضيَّع العوام فى هذا الزمان معرفة معانى سبعة أشياء من

الكتاب، والسنة فيها كل بر، وفضل، ومقام، ودرجة: وهو الأمر، والنهى، والترغيب، والترهيب، والآداب، والقصص، والأمثال، وضيّع العلماء معرفة معانى ستة أشياء: وهو أول فرض عليهم فى صلاتهم فرضها، وسننها، وحدودها، وأحكامها، وترتيبها، وجمع الفهم فيها، وضيَّع العارفون معرفة معانى خمسة أشياء فى حالهم، وبها تصلح عبوديتهم: عقل الإيمان، وفهم الإيمان، وعلم الإيمان وعمل الإيمان، ويقين الإيمان، وضيع المريدون معرفة معانى أربعة أشياء بها قوام حالهم فى طريقتهم: أداء الحق المفترض عليهم، وأخذ الحق الواجب لهم، وابتغاء الحق المرغوب فيه النهى عنه، وتمييز الحق الوارد من الحق للحق، والخلق، وضيع أهل الإيمان معرفة معانى ثلاثة أشياء، وهى مما لا يسع أحد جهلها: أحكام أصول الدين من الكتاب، والسنة، ووجوه الاتباع فى الترغيب، والترهيب، وموافقة الحق فى الرضى، والغضب، وقلَّ فى الناس معرفة معانى اثنين: النصيحة فى الموالاة، والإنصاف فى العداوة، وعدم فى الناس معرفة معنًى واحد: إدخال المسرة بالموافقة للحق على قلوب المؤمنين.

وقال: فرض الأمر المبادرة، وهو موضع الحال، وعلامته الجد، والاجتهاد لأهل البداية، وبذل الجهد لأهل النهاية، وفرض النهى الاجتناب، وهو موضع الخوف، وعلامته الشفقة، والحذر لأهل البداية، والحياء، والمراقبة لأهل النهاية، وحق الترغيب السعى فيه، وله، وهو موضع الأنس، وعلامته الصمت، ومحبة الخلوة لأهل البداية، والنطق، والدعوة لأهل النهاية، وحق الترهيب الهرب عنه، ومنه وهو موضع المحبة، وعلامته ذكر الأيادى، والنعم لأهل البداية، والإيثار بالافتقار لأهل النهاية، ووجوه الآداب الاحتذاء، وكف الأذى لأهل البداية،

وفعل المعروف، وبذل الفضل لأهل النهاية، ومعقل القصص التأمل بالخشية لأهل البداية، ووجود الهيبة فى القلب لأهل النهاية، ومعدن الامتثال التفكر، والاعتبار لأهل البداية، واستخراج العلم من الحكمة، والحكمة من العلم لأهل النهاية.

وقال: إياك، ونقض العهد، وخلف الوعد فإنهما يورثان الحمق، والسخافة، وإياك، ومداهنة الفاجر، وترك نصيحة العاقل فإنهما يورثان رقة الدين، ويُعميان عن طريق البصيرة.

وقال: اطلبوا مزيد أنوار علمكم فإن منعتموه فاطلبوا مواريث بركات أعمالكم، فإن فقدتم ذلك فاعلموا أنكم محرمون من الحقيقة محجوبون عن النهاية، فإن رضيتم لأنفسكم بالمقام على النقص جهلتم، وإن أهملتم القيام على النفوس بالرعاية، والأدب هلكتم.

وقال: ميراث وجود معرفة الحق مزيد علم التوحيد، وميراث وجود الاتباع العمل بالكتاب، والسنة، وميراث وجود معرفة العقل الفهم للترغيب، والترهيب، وميراث وجود الصدق الصبر، وميراث وجود الإخلاص الشكر، وميراث وجود الخوف الإنصاف، وميراث وجود الرجاء النصيحة، ووجود العلم الخشية، وميراث وجود العمل بالعلم إصابة الحكمة، وهذه مواريث أحوال أهل التعبد فإن نقل العبد إلى أحوال أهل العبودية ورث من علم التوحيد زيادة علم حقيقة التفريد، وورث من الكتاب مزيد العلم، وورث من السنة مزيد المعرفة، وورث من الصبر مزيد الرضى، وورث من الشكر مزيد الإيثار، وورث من الإنصاف مزيد الحياء، وورث من النصيحة مزيد المراقبة، وورث من الخشية مزيد الهيبة، وورث من الحكمة الإجلال، والعظمة.

وقال: التصديق بهذا العلم مزيد فى أنوار القلوب، والفهم لهذا العلم

مزيد فى انشراح الصدور، والنطق به على ترتيبه فى المقامات، والدرجات يُولى من الحق، وأهله فيه على وجهين فقير منه إلى ربه فى وجوده له بفناء حاله، وغنى بأمر ربه فى وجوده له به ببقاء حاله فالأول حاضر غائب، والثانى حاضر غائب شاهد.

وقال: محبونا لا يخفون علينا بمشاهدة القلوب، والمبغضون لنا شواهدهم ظاهرة فمن المحبين شاهدة فى الحذق، ونور النطق، ومن المبغضين شاهدهم فى الحذق، وظلمة المنطق.

وقال: إن كنت تحبهم فلم آثرت نفسك عليهم عند المخالفة، وإن كنت تبغض من أجلهم فلم أذنبت الثانى لهم عند الموافقة لا أو مقرب للبعيد فى حب من نحبه، ويقصى القريب فى بغض من لا توده.

وقال: اعدد لأمرك كله غدًا جوابًا صادقًا، وأعدد لكل كاشح عذرًا غير كاذب إنما تشامت فى التقديم، وتنافرت فلأجل ذلك توالفت، وتحالفت فإذا وجدت محبًا صادقًا فأعددها نعمة عليك قد جلت، وإذا وجدت عدوًا كاشحًا فأعددها منة عليك قد عظمت.

وقال: إذا صدق المريد فى طلبه اتبع واقتدى، فإذا أخلص فى حاله علم واهتدى، فإذا افتقر فى طريقه وقع له الغنى بربه فورث من الصدق والصبر علم الورع، وورث من الإخلاص البصيرة فى دينه، وورث من الفقر الغنى، وورث من الغنى المحبة، وورث من المحبة الشوق، وورث من الشوق الكمد، وورث من الكمد الكتمان حتى يموت، وهو شهيد فمنهم شهداء فى أنفسهم، ومنهم شهداء على غيرهم فالشهيد لنفسه منسوب إلى شهيد البر، والشهيد على غيره منسوب إلى شهيد البحر، وهم أفضل لأن الأول تُوفى مكاتم، والثانى توفى مُبلغ.

وقال: أصول التقوى ثلاثة: كل أصل يورث خمسة وعشرين بابًا من

شرع الإيمان فمن أكملها كمل إيمانه من جهة الإيمان الواجب، وهو التقاء الشرك بالإيمان، والتقاء الشبهات بالورع، والتقاء الكمالات بالزهد، ولكل واحد من هذه الثلاثة معيار يعرف به الزيادة فيه من نقصه منه، فمكيال الإيمان الصدق، وميزان الورع العلم، ومعيار الزهد التبرئ من الدنيا، وأهلها.

وقال: لا ترض من نفسك العبودية إلا بطهارة قلب، وصفى طعمة، ولا ترضَ من حالك حقًا فى الحقيقة إلا بنصيحة مع فقر وغنى مع موافقة وشكر.

وقال: بأربعة توجد بركات العلم والعمل: صلاح قلب فيما بينك، وبين ربك، وسلامة صدر فيما بينك، وبين الناس، ونية فى سنة، وكف الأذى، ورفع المؤنة فى الاستقامة، وبأربعة يفهم العلم، وتنفع الموعظة: عقل مصان بتقوى، وفهم متعلق برغبة، وفطنة قائمة على الرهبة، ومحبة متصلة بإيثار للحق.

وقال: كل باطل عند مجيء الحق زاهق، وكل دعوى مع الحقيقة ذاهبة، وكل حال من البر، أو معنى من الخير مستعار أجله أربعين يومًا، أو أربعين مرة ثم هو زائل مضمحل هكذا حكم كل مدعٍ متزين فى الدين، أو متكلف لا يُريد إلا الدنيا.

وقال: ما عقده الحق لأهله لا تزيده الأيام إلا شدة، ولا الأزمنة إلا مودة هكذا حكم من أحب الله لله، وآثر الله لما عند الله، أو ثبتت مودته، ومولاته فى الله عز وجل.

وقال: من عرف زمانه عرف نفسه، ومن عرف نفسه عرف ربه، ومن عرف ربه سعى فيما يرضيه، وكان شغله فيما يبقى، وراضٍ نفسه على بعض فضل ما يزول ويفنى.

وقال: إطراقك بين يديه علامة لوجود الهيبة له، وعطف قلبك لمشاهدة رؤيته علامة لمحبته لك.

وقال: انظر بكاك ما يهيجه إن كنت واجدًا بحال فابكِ لخوف السلب، وإن كنت فاقدًا لحال فابكِ لخوف الفوت، وإن كنت طالبًا فابكِ لخوف الطرد، وإن كنت واصلاً فابكِ لخوف البعد.

وقال: بكاء الأبرار رغبة ورهبة، وبكاء المقربين شوق ومحبة، فبكاء الأبرار يورث الجد والاجتهاد، وبكاء المقربين يورث الغم والهم والكمد.

وقال: إيثارك للخلوة بالانفراد له علامة لوجود أنسك بقربه، وجولان قلبك فى خلقه دليلاً على بعد منه.

وقال: من أطاعه طهره، ومن طهره أحبه، ومن أحبه رضى بكل أفعاله، ومن رضى عنه وافقه، ومن وافقه عرفه، ومن عرفه آثره، ومن آثره وجده، ومن وجده شاهده، ومن شاهده ناطقه، ومن ناطقه لاطفه، ومن لاطفه أكرمه، ومن أكرمه أبلاه، ومن أبلاه أسلاه، ومن أسلاه تحمل عنه، ومن تحمل عنه حمله، ومن حمله كنفه، ومن كنفه حفظه، ومن حفظه اقتناه، ومن اقتناه أظهره فى الملكوت فإما معروف فى أهل الأرض فهو حجة، وإما مجهول فى أهل الأرض فهو رحمة.

وقال: ركعتين بنية الآخرة أفضل من مائة ألف بعلم الدنيا، وركعة بعلم الآخرة أفضل من مائة ألف ركعة بنية، وركعة من عارف أفضل من مائة ألف ركعة من عالم، وتسبيحة من عالم بالله أفضل من مائة ألف من عارف بالله عز وجل، ويقين من أهل حقيقة التوحيد أفضل من عمل كل عالم، وعارف.

وقال: أول ما يؤمر به المبتدئ بعد معرفة فرضه، وإصلاح معيشته التفرد من الأحباب، والخلوة برب الأرباب فإن نقله الحق إلى مقام المعرفة ضعف عليه البلاء فأبلاه بالخلق، وهى درجة الدعوة، وإذا ما يتحمل للحق من الخلق.

وقال: كل مبتدئ لا إمام له فى دينه فهو مفتون، وكل مبتدئ لا إمام له فى عمله فهو مغرور.

وقال: من لم يجد من علمه الخشية، ومن معرفته الحياء، والمراقبة فهو ضال عن الحقيقة.

وقال: كل متواجد بغير وجود فهو فى وجوده لَعاب، وكل متواجد بوجود واحد لكتمان حاله فأظهره فهو كذابٌ وكل متواجد بوجود ظهر عليه بوجوده عليه فهو ضعيف يخاف عليه الفتنة إلا أن يكون له بصيرة، وتمييز.

وقال: تمام حال المبتدئ بعقل يصحبه أدب بسنة، وقوام حاله بحلال، وصدق يؤدبه فرضه، وكمال حاله بتواضع، وسماحة، وحسن خلق يعاشر به الناس.

وقال: إذا أبصر القلب حقيقة منهاج التقوى زهد العبد فى فضول الدنيا، وإذا عمى القلب عن معرفة عيوب نفسه كان همه فيما لا يعنيه، ولا يلزمه، وتطاول بالبغىّ، والأذى على غيره.

وقال: قلب معاقب نفسه منه فى راحة، والناس منه فى بلاء، وقلب معافى نفسه منه فى عناء، والناس منه فى راحة.

وقال: سبحان من خص بالحق أهل الحق، واستخلص من أهل الحق حقيقة ليحق بهم حقه فجعل منهم رسلاً، وأنبياء حججًا على عباده،

وجعل منهم أولياء، وأصفياء رحمة لعباده، وجعل منهم علماء، وأهل معرفة يدعونهم، ويرشدونهم، ويدلونهم فمنهم داع إليه، ومنهم مرشد لنعمه، ومنهم مؤدٍ لأعلام دينه، وسنة محمد المصطفى ﷺ، وخلائف الأنبياء فى كل عصر، وزمان، وأيان، وأوان لتتصل الدعوة من أهل الرسالة بخلائف الله من أوليائه فإذا هلك عيون الله من الأصفياء، وألسنة من الأمناء بعث الله رسولاً ليحق الحق لأهل الحق بكلماته، ولو كره الكافرون.

وقال: الله عز وجل قوله الحق، ودين الله الحق، وهو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله بشرط حدود الكتاب، والسنة، وأحكام الكتاب، والسنة، وأمره، ونهيه من الكتاب، والسنة، وبهذا قامت دعوة الله للخلق، وفيه هداية الله إلى صراط مستقيم ثم إن الله عز وجل بمنه تفضل على خاصة له بمزيد حقيقة فى الحق بمزيد الإيمان، والعلم، والمعرفة، واليقين، والبصيرة، والتمييز، والعقل المؤيد بالتوفيق فأهدى قلوبهم إلى محبته، وأرشد ألبابهم إلى رضى نفسه، وفتح مسامع فطن أذهانهم لفهم ما أرادهم به، وازاد منهم، وهى طرائق الإحسان فى الموافقة، ومزيد البرهان فى المحاسبة، وحقيقة البيان، والتبيان فى المعاملة، والأدب فى المحاسبة، والفهم فى المراسلة، والعقل فى المخاطبة، والاستبطان بالمسامرة، وكلفوا بحبه، وآثروا الواجب له فى حقه، وأعرضوا عما بغض من الدنيا، وأحبوا ما أحب من الآخرة فوافقوا فى ذلك مراده فزادهم هداية إلى نور قلوبهم، وبصيرة فى حقيقة حقهم، وزينهم بعد ما ظهرهم، وأدبهم فى مقامات أهل التعبد بعلم الشرع، ودرجات أهل العبودية بمعرفة الحق فمنهم الأولياء، والصديقون، والشهداء، والصالحون منهم ثلاث مائة خيار الأمة،

وأربعون خيار الثلاث مائة، وسبعة خيار الأربعين، وأربعة خيار السبعة، وواحد خيار الأربعة بهم يُقيم الله أمره، وينزل نصره، ويدفع نقمه، وتحل رحمته فطوبى لمن أحبهم، وطوبى ثم طوبى لمن أحبهم، وأحبوه، وأكرمهم، وآثروه.

وقال: جعل الله عز وجل صحابة نبيه عليه السلام أئمة فى الدِّين، وقدوة أصحاب الأحوال فى الحقيقة فلا يكاد يوجد فى التابعين منفرد بحال إلا وجد له أصل فى الكتاب، والسنة، أو فعل فى أحد الصحابة، ومن ذلك حديث حارثة حين وصل حاله فى إيمانه، وعزوف نفسه عن الدنيا، ومشاهدته بيقينه لربه، ولأهل الدارين، وشهادة رسول الله ﷺ له بالنور، حظه له على التمسك حين وصف مراتب أهل الورع فى مقامات العزوف، ودرجات أهل الجد فى رتب أهل الاجتهاد، ومراقى أهل اليقين فى مشاهدة أهل الحضور، ومكاشفة أهل الإثبات فى غيوب معاينات العيوب بأنوار ساطعات، وجود حقيقة الوجود(١).

(١) قال الإمام السيوطى نقلاً عن الإمام القشيرى فى رسالته: وهذه جملة منتقاة من رسالة القشيرى من كلام أهل الطريق فى ذلك:

قال ذو النون المصرى: «من علامة المحب لله متابعة حبيب الله ﷺ فى أخلاقه وأفعاله وأوامره وسنته، قال أبو سليمان الدارانى: «ربما يقع فى قلبى النكتة من نكت القوم أيامًا، فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسنة». وقال أحمد بن أبى الحوارى «من عمل عملاً بلا اتباع سنة فباطل عمله». قال أبو حفص عمر بن سالم الحداد: «من لم يزن أفعاله وأحواله فى كل وقت بالكتاب والسنة، ولم يتهم خواطره فلا تعدوه فى ديوان الرجال».

وقال الجنيد: الطرق كلها مسدودة على الخلق، إلا على من اقتفى أثر رسول الله ﷺ، وقال: «من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يُقتدى به فى هذا الأمر، لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة.

وقال أيضًا: مذهبنا هذا مشيّدٌ بحديث رسول الله ﷺ. وقال أبو عثمان الحيرى: «الصحبة مع الله بحسن الأدب، ودوام الهيبة والمراقبة، والصحبة مع الرسول ﷺ باتباع سنته ولزوم ظاهر العلم».

وقال: «من أمَّر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه نطق =

وقال: الخاصة فى معنى الحقيقة على منازل أربعة أحوال فى وصول الجمع للمقامات غير أنهم متفرقون فى الأحوال، والأمكنة، والأوطان، والمراتب، والدرجات بحسب الأقسام السابقة لهم عند الله عز وجل فى كل نظرة، ولحظة، وهمة، وحظرة، ونفس، وإشارة، ولائح، ورائح مما يُجريه الحق عليهم، ولهم، وفيهم للعبد من فهم علمه النور المكنون الذى لا يعلمه إلا العلماء بالله، ولا يصدق به إلا العارفون بالله، ولا ينفر عنه إلا المعاقبون، ولا ينكره إلا الجاهلون، فأما أهله، والناطقون عنه، ومنه، وبه، وله فهم الذين أودعهم الحق العقول المجيبة، والأفهام العلوية، والفطن الغيبية، والألباب السماوية هم أهل الغنى بالله المشاهدون لتقصيرهم فى حقه، وأهل الفقر إلى الله عز وجل المردودون إلى التعلق به فى وجودهم الذين أقام لهم الحق أعواضًا منه، وعلمهم علومًا لدنية عنه فبذلك المعنى من الحق وصلوا إلى حقيقة ما أرادهم به

= بالبدعة، قال الله تعالى: ﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾ قال أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرمانى: من غض بصره عن المحارم، وأمسك نفسه عن الشهوات، وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة، وعوَّد نفسه أكل الحلال لم تخطئ له فراسة، وقال أبو العباس أحمد بن سهل بن عطاء الأدمى: «من ألزم نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من متابعة الحبيب فى أوامره وأفعاله وأخلاقه».

وقال أبو القاسم النصراباذى: أصل التصوف اتباع الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع، وتعظيم حرمات المشائخ، ورؤية أعذار الخلق، والمدوامة على الأوراد، وترك ارتكاب الرخص والتأويلات».

وقال أبو على الدقاق: قصد أبو يزيد البسطامى بعض من يوصف بالولاية، فلما وافى مسجده قعد ينتظر خروجه، فخرج الرجل وتنخم فى المسجد، فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه، وقال: هذا الرجل غير مأمون على أدب من آداب الرسول ﷺ، فكيف يكون أمينًا على أسرار الحق؟.

وقال سهل بن عبد الله رضى الله عنه: «أصولنا ستة أشياء: التمسك بكتاب الله، والاقتداء بسنة رسول الله وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، وأداء الحقوق». انظر: مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة للسيوطى ـ بتصرف ـ (ص٧٠، ٧٢).

من حقه فإذا انتهى قسمهم فى الحال كشطه عنهم بطئ علمه فيهم، وألبسهم حالاً للوارد عليهم بعلمه ليجزى كل مقام بما يوافقه من العلم، واليقين، والمعرفة، والعقل، والفهم، والأدب فليس من حال يبديه الحق، ولا يعيده يخرج فعله فى حركة، ولا سكون، ولا ظاهر، ولا باطن، ولا قبض، ولا بسط، ولا تقديم، ولا تأخير عما تضمنه أعمال المحسنين، وإشارات المخبتين فمقام المخصوص الأول فى الحقيقة إقامة على التصديق بالقدرة، ووجود الود فى قلبه بالمحبة لأهل الخصوصية، ومقام المخصوص الثانى فى الحقيقة إقامته على الصدق بالمحبة فى درجات المعاملة بالمعرفة، ومقام المخصوص الثالث فى الحقيقة: إقامته على التصديق، والمحبة، والحلول فى درجات المعاملة بالمعرفة، والنطق فى الحال، وهى علامة المراد بالولاية، والاصطناع، ومقام المخصوص الرابع فى الحقيقة إقامته على التصديق، والمحبة، والحلول فى درجات المعاملة بالمعرفة، والنطق من الحال، وعلى الحال بشاهد يقين المكاشفة، وهى علامة أهل التوسم من العلماء الناظرين بنور الله عز وجل إلى عباد الله الدالين على الله بآداب الله الراشدون إلى سبيله بوجود حقيقة بحقه.

وقال: إذا وقع التكذيب بعلم القدرة وردوا معرفة القدرة إلى منتهى عقولهم قدح بهم الريب فى القدر حتى يردوا المشيئة إلى أنفسهم دون عون الله، وخذلانه فعند الحال الأول يُسلبون محبة الأولياء، ونصرة الأولياء، ويؤثرون موالاة الفاسقين، وعند الحالة الثانية يسلبون حلاوة الإيمان، ونور الإيمان، ويؤثرون طاعة الشيطان فعند ذلك يتداينون بالبدعة، ويصدون على المخالفة، ويفارقون الجماعة، وفى إحداهن الهلكة.

وقال: علامة المعونة من الحق ثلاث: الصبر على الحق، والرضى عن

الحق، والتسليم للحق، وعلامة الخذلة من الحق خروج النفس من حول الله وقوته، ودخول النفس فى الاستعانة بغير الله، وإنكارهم الخصوصية من الله عز وجل.

وقال: من ثبت على التصديق بالقدر، والقدرة، وهب له ثلاث: عقل صحيح بترك المنازعة، وعلم نافع باجتناب المقاومة، وعلم نافع بوجود مواريث الحكمة، وحلول الإجابة. ومن أقام على الإنكار بالقدر والقدرة عُوقب بثلاث : فقد فهم الكتاب ، والضلالة عن السنة والاتباع، وفقر القلب لفضول الدنيا فبالحال الأول أحرم الخصوصية، وبالحال الثانى وقع فى البدعة، وبالحال الثالث خسر دينه فى التماس دنياه.

وقال: علامة التوفيق طلب العلم للعمل، وطلب الصمت للسلامة، وطلب الكفاف للتعفف، وعلامة الخذلان طلب العلم للمراء، والعمل للرياء، والدنيا للدنيا.

وقال: أصول بلوى كل مدعٍ، ومتعاطٍ من ثلاث: عمى القلب عن التصديق بالحقيقة، وغفلة القلب عن وجود سماع علم أهل الحقيقة، وقسوة القلب عن مؤالفة أهل الحقيقة.

وقال: الناس فى أجزاء الإيمان بحسب علمهم بالله عز وجل، ومعرفتهم به، وغفلتهم عنه، وعملهم له فأضعفهم إيمانًا كل متعلق بسبب دونه من عرض الدنيا، وأقواهم إيمانًا كل متعلق بالمسبب بعدم الأسباب أو بوجودها.

وقال: لا تُقيم فى قرية ليس فيها ثلاثة، ولا تطعن من فرقة فيها ثلاثة، ولا تسافرن سفرًا لا تلتمس فيه ثلاثة، ولا تصاحبن أحدًا يكون فيه ثلاثة، فأما القرية التى لا يقيمن فيها فقرية يسب فيها السلف، ويؤذى

فيها الأولياء، ولا يستحى فيها من أخذ الحرام، وإظهار الفاحشة، وأما القرية التى لا ترحلن منها فقرية فيها لسان للحق، وعين للحق، ويستخلف فى ماله للحق، وأما السفر الذى لا يبتغى فيه ثلاثة: إما مزيد بصيرة فى الدين، أو حلال من عيشة، أو سلامة فى الحال، وأما الأخ الذى لا يرجى منه ثلاث إما علم يستفاد من علمه، أو حلم يستفاد من عقله، أو كرم يستفاد من جوده.

وقال: الحريص لا يخلو من الرغبة، والحقود لا يسلم من الحسد، والعجول لا يظفر بالمسرة.

وقال: كفى بعقوبة من كانت الدنيا أقر لعينه من الآخرة، ومن كانت موالاة أعداء الله آثر عنده من موالاة أولياء الله، ومن كان نشاطه فى البدع، والإحداث فى الدين، وفترته عن ذكر السنن، والأثر.

وقال: كان أخص الناس بفهم علم الكتاب، وشرح معرفة السنة، وعمل الرسول عليه السلام أهل القرن الأول لأنهم أفضل الناس عقلاً، وأوسعهم علمًا ثم جاء القرن الثانى فكانوا أعقل الناس، وأعلمهم بعد الصحابة رضى الله عنهم بمعانى آى الكتاب، والسنة، والاقتداء، وفهم ما شرحه الصحابة من البيان غير أن الإيثار الذى خصوا به الصحابة رق فى التابعين، وكذلك الزهد فى الحلال، وحدث فيهم نبذ أهل البدع يضلون الجهال سرًا، ويستميلون العوام خفيًا، ثم جاء القرن الثالث: فذهب أكثر أهل العلم، وبقىّ المستمسكون بالتصدِّيق العاملون بالحدود بفقد وجود ما علمه الصحابة، والتابعون، وقل فيهم الخوف، والرجاء، والصبر، والشكر، وكثر فيهم الخوض، والجدل، والخصومة، والمراء، وظهر الاختلاف، وقامت الدعاة فى طرق الضلال، وصارت الحقيقة خصوص، والجهالة عموم، ثم جاء القرن الرابع: فاضطرب الأمر فى

الحق، واستوحشت طريق الهداية لقلة السالكين لها، وكثر النفاق، وخرج الناس من الدين أفواجًا، واستبدلوا الحق بالباطل، والآخرة بالدنيا، وكثر الدهان، وغلب المنكر، وقهر أولياء الله تعالى، وعلت أصوات أهل الخبائث، واستخفى المؤمن، وذهب التواصل، وعدمت النصيحة، وقلَّت الألفة، وفسدت النيات فى ذات الله عز وجل، وتصالحوا على الخب، والفجور، وسفك الدماء بغير حق، وذهب الحياء فى أخذ الحرام، وصارت الهيبة فى أهل الفجور، ولم يبق على ظاهر الأرض متحقق بالتفرد، ولا مُتحلٍّ بالحقيقة إلا، والبلاء يطلبه، والفتنة تلحقه غير أن فى الناس بقايا من أهل التصديق بالقدرة متحققين بالإيمان بالقدر، فإذا حل دخول القرن الخامس اشتد البلاء بأهل الإسلام خاصة فيما بينهم فكان الكل على الكل فى القريب، والبعيد، والمولى، والمولى عليه بعضهم لبعض فتنة، وبعضهم على بعض نقمة بفساد دينهم، ودنياهم، وعيشتهم فلا راحة حينئذٍ لمن بقى من أهل الحقيقة غير أنهم يحجبون عن العامة، ويستترون من المدعين، فإذا دخل القرن السادس: ذهب أهل التصديق، وبقى أهل الإنكار، وسلب الناس عقل البصيرة وتبقى علل الحجة عليهم، وذهب الإسلام فلم يبقى إلا اسمه، وذهب أهل العمل بالقرآن فلم يبقى إلا رسمه، ثم العجب العجب القرن السابع: وهم شرار الناس على شكلهم تأتى الآزفة تتبعها الرادفة.

وقال: لا يزال العبد جاهلاً حتى يطلب العلم بالأدب، ولا يزال مدعيًا بالعلم حتى يعمل به على الخوف، والرجاء، ولا يزال مغترًا حتى يصبر على البأساء، والضراء، ويشكر ربه على العافية، والنعماء.

وقال: لا يصح طلب العلم إلا بالإرادة، ولا تتم الإرادة إلا بالرعاية، ولا تحمد معانى الرعاية إلا بالتوبة، ولا تثبت التوبة إلا بكف الأذى بعد

أداء الحق فى الظاهر، والباطن، والنفس، والغرض، والفرض ثم يكون بقلبه نادمًا، ومن عمله مستغفرًا، ولأخدان الغفلة مفارقًا، ولترك ما لا يعنى مجانبًا، فمتى كان التائب بهذا الوصف، رجى له قبول توبته، وإن كان بغير ذلك لم تتم له الطهارة، ولم تصح له الإنابة، وخيف عليه الارتكاس إلى القهقراء.

وقال: كيف ترسخ الحكمة بقلب عبد غير عالم بربه، وكيف يكون عالمًا بربه من جهل علم دينه، وشرح فرضه، وأصول معرفة دينه، وفرعه؟

وقال: عجبت ممن تسمو نفسه إلى الكلام على أهل المقامات، وقد عرب عقله عن التمييز فيما بين العموم والخصوص من أهل الدرجات، بل عجبت ممن يشير إلى أحوال النهاية، وهو لم يحكم بعد آداب أهل البداية.

وقال: من أحب أن يظهر عند الناس بحال يعرف به قدره علمًا كان، أو عملاً قبل أن يظهره الله عز وجل بذلك، وهو له كاره سلط عليه مدح الناس ليكون ذلك حظه من حاله، فإن تيقظ، وإلا عاد المدح ذمًا ليكون ذلك أبعد فى فتنته، وأظلم فى حجته، ومن أظهره الله للخلق، وكتم ما أودع، أو أودع العلم فى غير أهله سلط مذمة الخلق ليكفر عنه سيئات قلبه فإن وافق إرادة الحق فيما أراده عادت المذمة حمدًا عند الخاصة، والعامة، وحفظ عليه الحق ما أودعه.

وقال: لا يثبت الكلام على الأحوال فى علم اليقين إلا من عرف علل أهل المقامات من حجب أهل الدرجات فى علم الأمر، والنهى، ولا يجوز الكلام فى ذلك بالظن، والتحرص لأنه علم غير مستعار عاقبة المدعى فيه الكبر، والإعجاب، ومقام العالم فيه الفقر، وشهود

تقصيره فى حق العزيز الجبار.

وقال: من أحب أن يظهر نفسه عند الناس فى دين، أو دنيا لم يفلح فى دينه، ولم ينج من حاسد فى دنياه.

وقال: الزموا الأدب تجدون مواريث العلم، وبركة العمل، وإلا فأنتم كالحمار يحمل أسفارًا.

وقال: إذا تركت شيخك، وأنت تدرى أنك محتاج إليه فقد أطعت عدوك على علم، وإن استغنيت عنه بما عندك من العلم، والأدب فقد عصيت خالقك فى ترك علم ما جهلت على عمدٍ منك.

وقال: من رزقه الله عز وجل أربعة أخلاق ثبتت له الولاية:

عقل يدله على الهداية، وعلم يرشده على الاستقامة، وخوف يحجزه عن المعاصى، ورجاء يسارع به إلى الخيرات، ومن رزقه الله أربعة آداب ثبتت له الصديقية الصدق فى الحركة، والسكون، والإنصاف فى الأخذ، والعطاء، والعدل فى الرضا والغضب، والنصيحة فى السر، والعلانية.

وقال: من أخلاق المؤمن أربعة: وهى سيد آدابه النية فيما قصر عنه نيته من الخير، ومحبة أهل الفضل، وموالاتهم، وطلب الستر للتعفف، والاعتراف بسوء الحال على إرادة الانتقال، ومن أخلاق المؤمن العاقل السكينة، والوقار، والحياء، وترك الانتصار، ومن أخلاق المؤمن العاقل التقى كف الأذى، وترك ما لا يعنى، والتقلل، والورع، ومن أخلاق المؤمن العاقل التقى المريد التوبة بآدابها، والطهارة بكمالها، وطلب الخلوة بعد معرفة علومها، والتقذر للدنيا زهادة فيها، ومن أخلاق المؤمن العاقل التقى المريد المراد خروجه من الأسباب للحق رفيعًا، ودخول الأسباب عليه من الحق ترديدًا، ووروده على الحق بالغيبة، وغيبته عن

شهود حاله بالحق بالغلبة، ومن أخلاق المؤمن العاقل البر سلامة الصدر، وسماحة اليد، وثقة بالرب، ووفاء بالعهد، ومن أخلاق المؤمن العاقل التقى المريد المراد المقرب الصدق فى المعاداة، والوفاء فى الموالاة، والغنى بالحق فى معاقل الفقر، والفقر إلى الحق فى معاقل الغنى.

وقال: سبحان من جعل مزيد أحوال العلماء بالبلوى، والامتحان وجعل مزيد أحوال العارفين بالبلوى، والاختبار، وجعل مزيد أحوال المريدين بالبلوى فى النعماء، وسبحان من منع العلماء ليزدادوا إليه فقرًا، وأعطىّ العارفين ليزدادوا إليه شكرًا.

وقال: قسم الله تبارك وتعالى هذا البلاء على الخلق كما قسم بينهم الرزق فمستقل منه، ومستكثر له بحسب إيمانه، ويقينه فالعلماء بالله يتلقونه من الحق عند الموافقة، والتسليم، والعارفون بالله يتلقونه من الحق على الرضى، وترك التخيير، والمريدون لما عند الله يرونه على أنفسهم تأديبًا من الحق فهو للعالم مزيد فى العلم، وللعارف مزيد فى المعرفة، وللمريد مزيد فى الأدب.

وقال: من كشف له اليقين مصادر الأمور، ومواردها من الحق رضى بكل ما ورد عليه، ومن كشف له الإيمان زمام نواصىّ الخلق بيدِ الحق لم يخف، ولم يرج، ولم يهب غير الله عز وجل.

وقال: ضيع الناس فى هذا الزمان فرضين فعوقوبا بسلب حالين ضيعوا حق معرفتهم بالله فأسلموا إلى الخلق، وضيعوا الحق الواجب لأهل الإيمان عليهم فسلط عليهم عدوهم، ولو عملوا بحق الله هابهم كل شىء، ولو أعطوا الحق لم يمنع عليهم من القدرة شىء.

وقال: إذا كانت نفسك حاكمة على دلالات عقلك فيما يضرك من

دنياك فى صلاح دينك عجزت عن رياضة هواك، ومخالفة عدوك فى موافقة رضى ربك.

وقال: متى يعظم فى قلبك هيبة مخلوق فى غير حق الخالق؟ فأنت محتاج إلى معرفة علم ذلك، ومتى تفرغ إلى الخلق فى سبب دنيا فأنت محتاج فى معرفة علم ذلك فى أصل يقينك بربك.

وقال: عرفت معنى إخلاص العبودية ممن افتقر إلى الله عز وجل، وبَعُد علم الصدق فى التعبد ممن استغنى عن الله تعالى، ولم يجد رائحة الحقيقة بعد من لم يحل مقام الله عليه فى الخلوة.

وقال: من أراد تمام مناه من الدنيا، ومساعدة إخوانه فى موافقة هواه ذهب دينه، وخسر آخرته، وعاش فى أيامه ممقوتًا، وقدم على ربه مفتونًا.

وقال: اطلب معرفة عيون الحق فى أرضه، ونجومه فى سمائه، وحججه فى خلقه، وخلائفه فى بلاده فإن حرمت ذلك فاطلب آثارهم، وأخلاقهم، وآدابهم فإن منعت ذلك فالزم الحزن سويداء قلبك، والبكاء أجفان عينيك، والكدّ قوام بدنك أنك إن عرفتهم فزت، وإن صحبتهم سعدت، وإن أطعتهم نجوت، وليس بعد الفوز، والسعادة، والنجاة إلا الهلاك، والشقاء، والعذاب.

وقال: هو من يحميهم من معرفة المترفين، وفضول الحلال، فكيف لا يحفظهم من صحبة المسرفين، وتناول الحرام الذى شقى به المجرمون.

وقال: هو يحميهم لما جعل فيهم له، فكيف لا يحميهم لما تركوا له من إجلال قدر حقه.

وقال: هو حجب العالم برؤية علمه،وهو ستر العارف برؤية معرفته،

وهو شغل المريد برؤية إرادته تعليلاً منه لهم ليخلو به ذلك الولى العالم بحقه دون أحد من برايا خلقه.

وقال: إن أردت الدخول فى خالص دواوين القوم فأبت نفسك بترك الانتصار، وحب الغلبة ثم اطلب صلاح دينك فى سبيل الاتباع، والتمسك بالآثار فإذا أحكمت ذلك صدقًا، وتم العمل لله به إخلاصًا فاطلب صلاح ذلك فى سبيل الخوف، وميدان الرجاء، ومعاقل الصبر، ومنازل الشكر، فإذا أحكمت ذلك إشفاقًا، وملكته ورعًا، فاطلب صلاح قلبك فى سبيل الحياء، ومقامات المراقبة فإذا أحكمت ذلك إعظامًا، وأيقنته إجلالاً فقم مع هيبة الوقار، وإقرار الافتقار عسى أن تظفر بالغنى، ويدر عليك سخايب العلى بظرائف ما لا سبيل إلى كشفه، وغرائب ما لا تحتمل العقول وصفه، فتكون حينئذٍ له خالصًا، ومن رؤية الأضداد مخلصًا، هذا إن وصلت، ماذا تعانى إن عقلت؟

وقال: الناس على أربع طباق: منهم من لا يرضى عقله، ولا دينه، ومنهم من يرضى عقله، ولا يرضى دينه، ومنهم من يرضى دينه، ولا يُرضى عقله، ومنهم من يرضى دينه، وعقله فالذى لا يرضى عقله، ولا دينه فهو كافر منافق، والذى يرضى عقله، ولا يرضى دينه فاجر محتال، والذى يرضى دينه، ولا يرضى عقله أحمق مباين، والذى يرضى دينه، وعقله زكى تقى.

وقال: افترق أهل الحق على ضربين: عامل، وعالم، وافترق أهل الحقيقة على ضربين: صامت، وناطق، فعلامة العالم بالأمر تقييد الفروع بالأصول، واستنباط الرأى بموافقة الكتاب، والسنة، وشاهده الإشفاق، والورع، وعلامة العامل بالحق تقييد السر بالعلانية، وشر عقد الموالاة، والمعاداة، وشاهده الخوف، والزهد، وعلامته الصمت بالحقيقة، والتحقر

بالحياء، والمراقبة، وشاهده الهيبة، والإجلال، وعلامة الناطق بالحقيقة إفصاح الحق بالنصيحة، والدِّلالة على الله عز وجل بأسباب النجاة بالتعطف، والرأفة، والرحمة.

وقال: المراد رحمة من الله للخلق، والمريد حجة لله على الخلق فإذا تناهى الحال بالمراد صمت الحق، وإذا تناهى الحال بالمريد نطق بالحق فصامت حاضر صامت، وصامت ناطق صامت، وناطق حاضر ناطق، وناطق حاضر صامت، فالأول فانٍ، والثانى باقٍ، والثالث فانٍ باقٍ، والرابع فانٍ باقٍ مخاطب.

وقال: حسب من صحت له العبودية الجد، والاجتهاد فيما تعبده به ربه، وحسبه الرضى، والتسليم فيما أدخله عليه الحق بترك الاختيار.

وقال: متى كنت متحيرًا على مولاك فى صلاح دنياك، فمتى تصلح لك العبودية؟! ومتى كنت معرضًا على مدبر الأمور فى دينك، متى تثبت لك الحقيقة فى معرفة الوحدانية؟!

وقال: غيرت ما ندبت إليه نفسك حتى تعقل عجائب ما فى الأرض من الصنعة، فإذا ناطقتك براهين المصنوعات فى جوانب الأرض، وبواطن الأسرار بلسان التوحيد، وشاهد التقدير سلكت همتك بالقدرة سما سما إلى السماء السابعة ثم لا يؤذن لك بعبارة سما حتى تحكم معرفة عجائب مشهرات خلقها، وتستحوذ على علم شواهدها عبارة بالتصديق، وحقيقة برؤية غيوب مضمرات القلوب فإن كنت من عمار الكرسى يثبت بعد المشاهدة، وإن كنت ممن نزله بإزاء العرش بقيت بعد الغنى لأجل حق قدر إجلال المخاطبة.

وقال: واحد يحمل أذى الأمة لحق ربه، وآخر لا يقدر على حمل

كلمة حتى يشكو إلى ربه، متى يلتقى هؤلاء فى مقام فى الدنيا، أو درجة فى الآخرة.

وقال: إذا رأيت من فتح له باب بالتصديق لهذا العلم فبشره، وإذا رأيت من فتح له فى الفهم فيه فاغبطه، وإذا رأيت من فتح له بالنطق فيه فعظمه.

وقال: عقوبة من تعرض لأهل التصديق غفلة القلب، وقسوته، وعقوبة من لم يسلم لأهل الفهم عمى القلب، وظلمته، وعقوبة من لم يبصر أهل النطق البغضة، والعداوة، وهم أضداد أهل الحق، وهى محاربة الرب فيهم.

وقال: كل مصدق لهذا العلم فهو من خاصة الرب، وكل من فهمه بعد التصديق فهو خاص من الخاصة، وكل معبر عنه ناطق منه فذلك النجم الذى لا يدرك، والبحر الذى لا يترف.

وقال: إذا كان النطق موافقًا للحال على الفقر، والفاقة فصاحبه صديق، وإذا كان النطق مخالفًا للحال على الاعتراف بالتقصير فصاحبه صادق، وإذا كان النطق مخالفًا للحال على الإصرار بأدنى ما كره الحق فصاحبه مفتون مخدوع مستور محجوب مبعود مطرود فعلامة المفتون الافتخار بحاله، وعلامة المخدوع التربص بالأمانى، وعلامة المطرود المداومة، والتمادى.

وقال: قد تكلم الناس فى هذا العلم على معانٍ بحسب أحوالهم فى مقامات المعرفة، ودرجاتهم فى مقامات العلم فمنهم ناطق من حاله بعقله، ومنهم ناطق من حاله بيقظة، ومنهم ناطق من حاله بالغفلة، ومنهم ناطق من حاله باليقظة، ومنهم ناطق من حاله على حاله بحال

غيره بالغفلة، ومنهم ناطق من حاله على حاله بحال غيره باليقظة، ومنهم ناطق من حاله على حاله بحال غيره بالغفلة، ومنهم ناطق من حاله على حاله باليقظة، وهذا هو ذلك الحامل لأهل زمانه العجب العجب فى شأنه طوبى لمن عرفه بالغفلة، وطوبى ثم طوبى لمن عرف من عرفه بالحقيقة.

وقال: إذا رأيت فى العالم، والقارئ، والمريد، والطالب ثلاثًا فاحذره يغلبه الشره حتى يأخذ الشبهة، ويغلبه الحرص حتى يقتحم فى الحرام، وتغلبه نفسه حتى يتكلم فيما لا يعنيه، وإذا رأيت فيهم ثلاثًا فأرجهم صدق الحديث، والوفاء بالوعد، والبحث عن الكسرة.

وقال: معاداة الناس بالظن من سخافة العقل، ومحبة الناس من غير اختبار من سلامة الصدر، وأرفع الناس مقامًا فى اللب، والبر من ركب مطية الحزم، وترك الأمانى، والغرور.

وقال: محبة الدنيا خوف العيلة، والفقر يسد باب الفهم فى الكتاب، والسنة، ومحبة التروس للذكر، والمقالة يعمى القلب عن التصديق بعلم القدرة، والتصديق، والتسليم لحكام الأمة.

وقال: العامة هلكى عن حياة العلماء، والعلماء موتى عن حياة العارفين، والعارفون نيام عن يقظة العلماء بالله عز وجل.

وقال: لما حدث فى الناس إنكار القدرة رفع منهم صحة الآخرة على الصفا فلما حدث فيهم إنكار القدرة رفع منهم المودة بالألفة فلما ازدرءوا بالعلماء الحكماء من أهل الرقة عوقبوا بجهل أحوالهم، وذهاب الخشية من صدورهم فعميت القلوب عن فهم علمهم، ومعانى إرشادهم.

وقال: مساكين أهل الحرص على الدنيا فاتهم وجود طعم المعاملة،

وقرب المنزلة غدًا من ربهم، وأشد منهم فقرًا من ضاق صدره عن التصديق بمواهب الأولياء، وذهبت حسناته فى القصاص، والقضاء.

وقال: يحدث فى آخر الزمان قوم سفهاء الأحلام مفتونون بجمع الحطام يتعلمون العلم، والقرآن للدنيا، والرئاسة، ويدعون السنة، وهم يعملون بالبدعة يظهرون ترك التسبب من الحلال زهدًا، ويأخذون من الناس الشبهات، والحرام بحثا.

وقال: إن من أعظم الجهل بالله عز وجل أن تغضب لنفسك على الناس فيما يحب الله، ويرضاه، وترضى لنفسك من الناس ما يكره الله، ويسخط، وإن من سخافة الدين، والعقل أن تعصى الله فى السر، وتظهر الطاعة فى العلانية، وتحب المعاصى بقلبك، وتذم عاملها بلسانك إن كنت صادقًا فاخفِ برَّك، وتوبتك كما أخفيت جهلك، ومعصيتك، واهرب من الشهرة لا تلحقك، وأنت قصير العلم ضعيف المعرفة قليل اليقين فيكون أول عمرك فسقًا، وغباوة، وآخره رياء، وجهالة.

وقال: من لم يعرف الرياء فيحذره وقع فى التصنع، ومن جهل التصنع وقع فى التزين، ومن جهل التزين عند المخلوقين دون الخالق فهو الشرك الأصغر فى الأعمال.

وقال: من لم يورثه تصديق الإيمان دوام الاستقامة فى الظاهر لم يصح له ناطق، ومن لم يورثه الظاهر مزيد هداية القلوب فى الباطن فظاهره معلول بالآفات.

وقال: أهل الإيمان فى القناعة على ثلاث منازل صحيح الظاهر، والباطن على الإحسان فهو وافد إلى ربه، وصحيح الظاهر، والباطن على تمام فرضه فهو واقف فى ظل عرش ربه، وصحيح الظاهر،

والباطن خلط عملاً صالحًا، وآخر سيئًا له من النور بقدر طاعته.

وقال: إن الله عز وجل خص أهل الإيمان بجوده، وكرمه بالتصديق، والعمل بحدوده، وشرائع دينه رحمة منه، وفضلاً، وخص من خاصته مريدين، وموادين لطلب أعلام التحقيق إذ لكل حق من الحق حقيقة فى التحقيق فمريد طالب، ومراد مطلوب فالمريد مأخوذ بالظاهر على تصحيح الباطن، والمراد مأخوذ بتحقيق الظاهر، والباطن على الإيثار.

وقال: أول كرامة الله عز وجل للمريد الطهارة من الذنوب، والسلامة من المطالبة، فإذا طهر قلبه، وصفا انشرح صدره فازداد يقينًا، وعلمًا، ومعرفة بربه، فعند ذلك يكاشف بالكرامات، والمواهب، فإذا تزيدوا افتقارًا خلع عليهم أثواب الحكمة فمنهم صامت عليها، ومنهم ناطق بها معبر عنها، وأول ما يجدون من ذلك عقلاً، ثم فهمًا، ثم فطنة، ثم لبًا، ثم روائح، ثم لوائح، ثم عذوبة، ثم حلاوة، ثم مذاقًا، ثم حلولاً، ثم رسوخًا، فإذا رسخوا فى العلم، والمعرفة، واليقين، والحكمة فهم حجة فمنهم من يثبت له الحق إعلام حاله بالغنى بالله، والقناعة به.

وقال: الذين تولى الله سبحانه حفظهم بالرعاية لحقه، وأراد انتقالهم فى درجات الولاية هم الذين لا يخرجهم من حال إلى حال إلا بتمام حفظ علمه، والقيام بحق آدابه فإذا دخلوا فى الحال الثانى، وأراد بهم درجة الدلالة عليه، والدعوة إليه، وإظهارهم بالنطق أبقى لهم الحق علم الحال الأول فى الحال الثانى بمعرفة أدبه بإرشاد الضلال، وهدى الجهال، وإقامة الحجة على أهل الحيرة، ودحض اعتلال أهل العزة، وإن هو أرادهم بإجمال الصوت، والتحقير بدوام الصمت أبقى لهم أدب كل حال لأجل المعاملة، والمصافاة فى حقه، والمخاطبة لخلقه من بركات علم

الحال الصادر الوارد فهذا حالهم فى المقامين ما داموا فى الدنيا، فإذا صاروا إليه أبقى عليهم من نوره ببقاء النور الذى صدر قبله ليزدادوا سرورًا فى نعيمهم، وغبطة بإسقاط الملالة فى دوام بقاء ملكهم، وهو المزيد الذى لا آخر له.

وقال: أبناء الدنيا ينظرون إلى أبناء الآخرة بالضعف، والقلة لجهلهم بما معهم من العلم والمعرفة، واليقين، والحكمة، وأبناء الآخرة ينظرون إلى أبناء الدنيا بالرأفة، والتعطف، والرحمة لعلمهم بما هم فيه من البلاء، والبلوى، والابتلاء، وما يردون عليه من الأهوال، والحساب، والشدائد، والنقمة.

وقال: إذا نظر العالم للطالب بعين الجفا، والجهل نزع من قلب الطالب للعالم الوقار، والهيبة، وإذا نظر الطالب للعالم بالتجمل، والرفعة أسكن الله قلب العالم له الرأفة، والرحمة.

وقال: جعل الله عز وجل الفقر للمؤمن نعمةً عليه ما صحبه التعفف، والصبر فإن عارضه الحرص، والرغبة دخل عليه الاختبار، والتسخط فعاد الفقر نقمة، وفتنة ثم جعل الله الغنى للمؤمن رحمة ما صحبه العفاف، والشكر فإن عارضه الفخر، والخيلاء دخل عليه الزهو، والبطر، وهو الطغيان فعاد الغنى نقمة، وفتنة، وبلية، وحسرة.

وقال: حق الصبر ترك الشكوى، وحقيقة الصبر، والرضى، وحق الشكر الإيثار، وحقيقة المحبة.

وقال: أبناء الدنيا، وأهل الدعاوى صدورهم ضيقة، وقلوبهم مقفلة إلا على ضيق عيش، المريدون يصبرون، وعلى سعة حال المرادون يشكرون لا يتحملون مرارة البلوى، ولا يحملون لغيرهم شواهد الابتلاء

إن نصحهم العلماء عز عليهم، وإن صمت عنهم العقلاء ازدروا بهم أولئك الجهلة فى علمهم الفقراء فى طولهم البخلاء على الله فى أنفسهم لا يفلحون، ولا ينجح تابعهم كلما تزيدوا علمًا ازدادوا اغترارًا، وكلما ازدادوا عملاً يزيدوا عجبًا، وفقرًا.

وقال: جعل الله عز وجل لكل عامل صالح ثوابًا فى العاجلة، وذخيرة فى الآجلة، فمن خير الآجلة الرضى من الله، والفوز بالجنان، والنجاة من النار، وثواب العاجلة النور فى القلب، والمزيد فى الهداية، والبصيرة بدوام الاستقامة.

وقال: من لم يورثه طلب العلم العمل به، ومن لم يوُرثه العمل بالعلم الخشية، ومن لم تورثه الخشية الورع، ومن لم يورثه الورع الزهد، ومن لم يورثه الزهد الأنس، ومن لم يورثه الأنس المحبة، ومن لم تورثه المحبة المراقبة، ومن لم تُورثه المراقبة الرضى، والتوكل، وإصابة الحكمة فهو مقطوع به عن وجود الحقيقة.

وقال: ليكن همك بعد الصدق فى العلم، والإخلاص فى العمل الاستقصاء فى الورع، والأنس فى الزهد، والتفرد، والعزلة، ومفارقة الأوطان، والعزلة طلب المواريث من كل حال فإن وجود الميراث للحال من علامة القبول، وفقد المواريث من علامة الطرد، والخذلان.

وقال: إذا رأيت فى الرجل إحدى ثلاث خلال فخفف عليه: فإن وجدت جميعها فاهرب منه فإنه ضال مفتون إذا رأيته يعادى أهل السنة، ويوالى أهل البدع، وإذا رأيته يمدح نفسه، ويذم الناس، وإذا رأيته يزدرى بأهل الفقر، والرقة، ويرفع أهل الغنى، والجفا.

وقال: لم يجد أحد حقيقة ولاية الله عز وجل إلا بثلاث: اتباع

السنة، وأخذ الحلال، وكفٍّ الأذى عن البر، والفاجر إلا فى حدٍّ من حدود الله عز وجل.

وقال: لا قوام للظاهر من حدود الإسلام إلا بباطن من التصديق بالإيمان، ولا كمال للظاهر، والباطن إلا بالإحسان، وأخلاق الظاهر إقامة الحدود بتمام الواجب المفروض، وأخلاق الباطن التصديق، والصدق، والإخلاص، والخوف، والرجاء، والصبر، والشكر، وأخلاق الإحسان الرحمة، والنصيحة، والحياء، والمراقبة، والرضى، والمحبة، والإيثار، والمودة، وحسن الخلق، والعفو، والتجاوز، والألفة، والسماحة.

وقال: إذا اجتمع العقل الطبيعى بمحبة الاقتداء فى طريق العلم بالأمر، والنهى فهناك يقع نور البصيرة فى الاستنباط بغامض الفهم فى إصابة المعنى فى السنة، والنظر فى العلم بالله، وبأمره، وإذا اجتمع العقل الطبيعى بمحبة الاقتداء فى طريق العمل بالعلم فهناك يقع نور البصيرة فى وجود إصابة الحكمة بغامض الفهم، والفطنة، وترتيب المقامات، والدرجات بالموافقة فالأول يحيى الله به الدين، والثانى يهدى الله به القلوب، ولم يخرج الله عز وجل إمامًا للصديقين حتى يجمع له العلمين فى الظاهر، والباطن، وجعله هاديًا مهديًا فى الأمرين.

وقال: من لم يتأدب فى الظاهر بالتقوى لم يسلم باطنه من الدعوى، ومن لم يصف ظاهره، وباطنه من الإثم، والاعتداء لم تخلص عبوديته للمولى، ومن لم يخلص عبوديته فى الأحكام الظاهرة فهو ميت بالجهل غرق فى بحر التحير، والالتباس.

وقال: إذا لم تعرف قرب الله منك فى الهم، والخطرات، فأنت فقير إلى أصول علم المعرفة، وإذا لم تفهم مخارج علم الأمر، والنهى فى

الحدود، والأحكام فأنت محتاج إلى طلب علم الأصول فى الدين.

وقال: من لم يصحبه الإشفاق والخوف فى وجود الحقيقة عوقب بانطماس الفهم فى مخاطبة الأسرار، ومن ضيع منازلة الفقر إلى الله عز وجل فى وجود فهمه عن الحق عوقب بنسيان ما ورد عليه فإما حامل حجة على نفسه، أو موجود فتنة على غيره.

وقال: الحزن على قدر البصيرة بالخطر، والبصيرة بالخطر على قدر التمييز فى التأمل، والتمييز فى التأمل على قدر الفطنة، والفطنة على قدر الفهم، والفهم على قدر العقل، والعقل على قدر المعرفة، والمعرفة على قدر العلم، والعلم على قدر الخشية، والخشية على قدر الإيمان.

وقال: أكثر الناس خشية لله عز وجل فى الأحكام أورعهم عن محارمه، وأكثرهم خشية له فى اليقين آثرهم لله عز وجل.

وقال: أول حال يؤمر به المبتدئ طلب علم فرضه من الكتاب، والسنة فإذا أحكمه وجب عليه طلب علم الصدق، والإخلاص فإذا أحكمه وجب عليه طلب الترغيب، والترهيب، وهو علم جامع للخوف، والرجاء والصبر، والشكر، وغيره من الآداب، والأخلاق.

وقال: من علامة الموالاة فى الدين كفُّ الأذى، وإيصال النفع، ومن علامة المؤاخاة المشاركة فى المهنأ.

وقال: متى لم يكن العالم رحيمًا بالمتعلم صدَّه عن الحق، متى لم يكن العالم ناصحًا للمتعلم أفسده عن طريق الحق.

وقال: إنما يُجازى الخلق فى أعمالهم بقدر عقولهم، ويثابون فى علمهم بقدر نياتهم، وترفع درجاتهم بقدر نصائحهم.

وقال: ما أكثر من يريد، وما أقل الإرادة، وما أكثر أهل الإرادة، وأقل

من يعرف طريق المريدين، وما أكثر من يعرف طريقهم، وما أقل من يعمل بأعمالهم.

وقال: ما أكثر أهل الإرادة، وما أقل من يريد ما عند الله تعالى، وما أكثر من يعمل لما عند الله، وما أقل من يعمل لله عز وجل.

وقال: اختبروا المريد بمخالفة الهوى فإن تواضع، ولم ينتصر فهو صادق، واختبروا طالب العلم بالأخذ بعزائم العلم، وشدائده فإن ترك الاعتراض بالرخص، والاختلاف فهو مخلص.

وقال: من استوطنه رؤية لنفسه، وحالة فى الإرادة، والطلب لم يفلح.

وقال: حكم المريد الصبر، وحكم العارف الرضى، وحكم العالم التوكل.

وقال: المريد يهرب من الدنيا، والعارف يأخذها، والعالم يحذر من آفاتها.

وقال: أصل عداوة الجهال النصيحة لهم فى دينهم، وأصل عداوة الحمقاء التعرض لما فى أيديهم، ومؤاخاة الجميع بالدهان لهم.

وقال: فراغ القلب من الاهتمام بأمر الآخرة على قدر عمارته بهم الدنيا، وإثبات محبة الله فى القلب على قدر إيثار الله عز وجل.

وقال: للعدو مع كل مؤمن منهم فيما لم يذكر اسم الله عليه من أسباب الدين، والدنيا، والآخرة حتى عند نزعه الماء بدلوه، وغلق بابه، وفتحه له مع كل عبدٍ حبائل، ومضارب فى الخير، والشر، وله مع كل إنسان مصائد فى البدع، والمعاصى، والذنوب، والكبر، والعجب، والفخر، والخيلاء، وتخفيف الطاعة، وثقلها، وإظهار العمل، وإخفائه، وطلب العلم، والزهد فى الدنيا، وغير ذلك ليفسد عليه الخير، ويزيده

شرًا فمن أعد العلم بالمعرفة، واستعان بالله فى المقصد رجى له بالظفر، وإلا فهو الهالك بأول عارض.

وقال: الناس فى طلب الدنيا على ثلاث واحد يطلبها للستر، والعفاف، وآخر يطلبها ليقدمها للآخرة، وآخر يطلبها فخرًا، ومباهاة، ورياءً، فانظر من أى الثلاث أنت، وهم فى طلب الآخرة ثلاث واحد يريد الله وحده، وآخر يريد ما عند الله عز وجل، وآخر يريد الدنيا بعمل الآخرة، فانظر أيهم أنت.

وقال: الفقر من العرض فى الدنيا لغنًى بالعرض فى القلب مكرمة، والغنى بالعرض بفقر القلب مخزية.

وقال: الغنى بالله أشرف من الفقر إلى الله لأن الغنى صفة لله، والفقر صفة للعبد، وكذا العلم، والمعرفة غير أن الفقير أكثر تواضعًا فى نفسه، والعارف أكثر خوفًا من ربه.

وقال: الغنى بالله على الموافقة لله خصوص، والفقر إلى الله على المحبة لله عموم(١).

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى توضيحه معنى الفقير فى الكتاب والسنة وهو لفظ معتاد فى اصطلاحات ألفاظ الصوفية:

قال: وأما اسم الفقير فإنه موجود فى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، لكن المراد به من الكتاب والسنة الفقير المضاد للغنى، كما قال النبى ﷺ.

والفقراء والفقر أنواع، فمنه المسوغ لأخذ الزكاة، وضده الغنى المانح المحرم لأخذ الزكاة، كما قال النبى ﷺ «لا تحل الصدقة لغنى ولا لقوى مكتسب».

والغنى الموجب للزكاة غير هذا عند جمهور العلماء، كمالك والشافعى وأحمد، وهو مالك النصاب، وعندهم قد يجب على الرجل الزكاة، ويباح له أخذ الزكاة خلافًا لأبى حنيفة.

والله سبحانه قد ذكر الفقراء فى مواضع لكن ذكر الله الفقراء المستحقين للزكاة فى آية، والفقراء المستحقين للفىء فى آية فقال فى الأولى: ﴿إن تبدوا الصدقات فنعما هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم﴾ إلى قوله: ﴿للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربًا =

وقال: مقامات أهل الامتحان فى الغنى، والفقر على ثلاث: فطائفة كشف لهم الحق أعلام أحوالهم بالمواهب، والكرامات فتم غناهم، وطائفة ستر عليهم الحق إعلام أحوالهم فتزيدوا فقرًا إلى ربهم، وطائفة أقام لهم الحق الغنى من جهة الكفاية فما أدخل عليهم أخذوه بالموافقة، وما أزال عنهم تركوه بلا اعتراض.

وقال: البخل عن الله فى النفس يورث ثلاثة: محبة الدِّعة، وفرح البزخ[1]، وسرور الراحة، وهو ذهاب للعقل، والفهم، والفطنة، والبخل عن الله بالمال يورث ثلاثة عجلة الشر، وشره الحرص، ودناءة الرغبة، وهنَّ ذهاب للدّين، والعلم، واليقين.

وقال: أقل ما يُورث البخل استحلال الحرام، وسوء الظن، والحسد، وأقل ما يورث السخاء صيانة العرض، ومزيد المحبة، وتعظيم المروءة.

وقال: إذا ضيعت الأمانة، وكتمت النصيحة، وذهب الإنصاف، ولم يحفظ المسلم بالغيب، ولم يغث الرجل لحاله صديقه إذا احتاج إليه، فالمعرفة بالناس غرور، والثقة بهم سخافة عقل، وقلة معرفة بالزمان، وأهله.

= فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافًا﴾ [البقرة: ٢٧١ ـ ٢٧٣].

وقال فى الثانية: ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى﴾ الآية إلى قوله: ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضونًا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾ [الحشر: ٧، ٨].

وقال: الزهد والفقر، فلما كان جنس الزهد فى الفقر أغلب، صار الفقر فى اصطلاح كثير من الناس عبارة عن طريق الزهد، وهو من جنس التصوف.

فإذا قيل: هذا فيه فقر، أو ما فيه فقر، لم يرد به عدم المال. ولكن يراد به ما يراد باسم الصوفى من المعارف والأحوال والأخلاق والآداب، ونحو ذلك. اهـ. [الصوفية والفقراء، ٣٠، ٣٣] بتحقيق أستاذنا الفاضل الدكتور أسامة عبد العظيم حفظه الله تعالى.

(١) البزخ: التقاعس [النهاية: ١/ ١٢٣].

وقال: لا يزال طالب الدنيا أبدًا مفتونًا حتى تطلبه الدنيا، ولا يزال طالب الآخرة مرائيًا حتى تطلبه الآخرة، وعلامة طلب الدنيا للعبد الرضى بالقسم، والثقة بالوعد، وعلامة طلب الآخرة للعبد قصده إليها، وإيثاره لها.

وقال: قل أن يفلح المريد حتى يكون فيه أربعة: كف الأذى، ورفع المؤنة، وإيصال النفع، وإقامة العذر للناس أجمع فى حق الناس.

وقال: قبيح بالقراء بل حرام على أهل الحقيقة التقوى أن يبذلوا دينهم فى دنياهم أو يريحوا أجسادهم فى طلب آخرتهم.

وقال: افترق القاصد إلى الله عز وجل فى الحركة، والسكون فى موجود أوصاف العلم، وحقيقة معلوم رتب اليقين على أربع مقامات: فطائفة طلبت الدنيا لإصلاح دينهم خوفًا على فوت آخرتهم، وهم العلماء بالأمر، والنهى على الخشية لله عز وجل، وعلامة صدقهم فى ذلك أخذ ما أحل لهم، وترك ما حرم عليهم، وشاهد إخلاصهم فى ذلك بذله فى حقه للآخرة، ومنعه من غير حله للدنيا، وطائفة تركت الدنيا لإصلاح دينهم، وقلوبهم رغبة فى السبق لآخرتهم، وهم العلماء بالأمر، والنهى على الخشية لله عز وجل، والعمل بالمعرفة، وعلامة صدقهم فى ذلك أخذ القوام من الدنيا، وترك الفضل منها، وشاهد إخلاصهم فى ذلك الإيثار بالجهد، والدوب بالجد، وطائفة تركت الدنيا، والآخرة خوف فوت الله عز وجل، رغبته فى حظه محبة الله، وهم العلماء بالأمر، والنهى على الخشية لله عز وجل، والعمل بالمعرفة له، وعلامة صدقهم فى ذلك بذل النصيحة، وكفٍّ الأذى، وشاهد إخلاصهم فى ذلك النظر إلى الخلق بالرحمة، والتعطف بالرأفة عليهم، وهؤلاء الذين انقطع الناس دونهم، وتخلف الناس على السبق لهم

لأنهم طلبوا مصافات من لم تجر عليه الحوادث، ورغبوا فى مسامرة من لم يزل فأثابهم الحق مع ذلك ما عجزوا عن وصفه العالمون، وغاب عن الإحاطة به توهم العارفين، وطائفة رأت ترك الحظ للحظ حظًا، ورؤية الحظ للحظ فى الحظ حجاب، وستر عن الحقيقة إذا الحقيقة للحق أحق أن يؤثر على كل حظ، وإن أريد به الحق لمقدار حق الربوبية، وهيبة إجلال إفراد الربوبية، وهؤلاء الذين عزبت الأفهام، وكلت الأذهان عن تحصيل حقيقة أماكنهم لقيام الحق بهم، ولهم، وعليهم غير أن فقرهم متصل بالغنى لله عز وجل، وإشاراتهم مذمومة بالحفظ من الله عز وجل فعلمهم توحيد، وعملهم تفريد، ويقينهم تجديد ليس لهم اختيار باعتراض فى حين صحوهم، ولا احتلال فى فناء، ولا بقاء لتولى الحق لهم ألا تسمعه، كيف يقول «كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، وقلبه الذى يعقل به» وفى خبر آخر كنت «له سمعًا، وبصرًا، ويدًا، ومؤيدًا» والله عنده حسن الثواب.

وقال: لا يفلح مريد، ولا طالب حتى يعرف أبواب الغنيمة فى الأمر، ويعرف وجوه السلامة فى النهى، ولا يثبت لعالم، ولا عارف معنًى فى الحقيقة حتى يعرف أبواب الغنيمة من حاله لإصلاح حال غيره، ويعرف وجوه السلامة من حاله بمزيد حال غيره من حاله.

وقال: إذا وجدت فى المريد والطالب ثلاث خصال فاحذره: الكذب فى الحديث، والدعوى فى الإشارة، والاحتقار لأهل الجهالة، وإذا وجدت فيه ثلاث خصال فتمسك به عقل يدله على رشد، وعفة ترده إلى استقامة، وطاعة للناصح لا يحلها هو الشهرة.

وقال: انقطع من الناس أربعة، واتصل منهم أربعة: انقطع منهم مكذب بالقدر وجاحد للقدرة، ومتزين بالرياء، ومعتقد منهم للرؤية،

واتصل منهم من ترك الانتصار بعد القدرة، وبادر الانتقال مع الحظوة، ونظر إلى نفسه، وإلى غيره بعين الفقر، والفاقة، وعامل الله فى نفسه، وفى الخلق بالإنصاف، والنصيحة.

وقال: التكذيب بالقدر يورث عمى القلب، والإنكار للقدرة يورث صمم القلب، والتزين بالرياء يورث مقت الرب، واعتقاد الرؤية تورث مكر الرب، وترك الانتصار يورث مزيد العقل، ومبادرة الانتقال على الخاطر الفاسد يورث مزيد المعرفة، والنظر بعين الفقر، والفاقة يورث الغنى، والتعطف، والرحمة، والإنصاف، والنصيحة يُورثان مزيد العلم، وفوائد الحكمة.

وقال: إذا طلب المريد علم دينه بعد معرفة الأدب صمت للحق فإذا علم بعد المعرفة نطق بالحق للحق.

وقال: الأدلاء من العلماء، وأهل المعرفة على مقامين صادق يدل على ما عنده، وصديق يدل عليه، فالأول مؤمن بالله، والثانى مؤمن لله، ومن ها هنا افترقوا فى مقامات العبودية، ودرجات التوحيد فيه فكلما كان العبد فيه منسوبًا إلى ما دون الله عز وجل فهو من الإيمان بالله، وكلما كان العبد فيه منسوبًا إلى الله عز وجل فهو من الإيمان لله فما كان لله فهو يرجع إلى أوصاف التوحيد، وما كان بالله فهو يرجع إلى المحدثات خلقًا للتوحيد، وفى هذين المقامين تباين الناس فى الدرجات همم القلوب، ورتب مشاهدات الغيوب.

وقال: رضى الرب سبحانه فى سخط الناس عز، ورضى الناس فى سخط الله ذل، ومن رغب فى رضا نفسه بمخالفة ربه فهو مخذول العقل مستحوذ عليه هواه، ومن أراد رضى جميع الناس فقد أتعب نفسه فى أمل لا يُدرك، وغاية لا تبلغ.

وقال: اعتبروا الناس فى موافقة عقولهم عند الأمر، واختبروهم فى مخالف أهوائهم عند النهى، ومن رأيتموه يرغب فى مؤالفة أهل البدع، ويرهب موافقة أهل السنة فاعلموا أنه معاقب، ومن رأيتموه يزدرى بالأولياء، ويُنكر مواهب الأصفياء فاعرفوا أنه محارب لله مبعود مطرود عن حقيقة قرب الله عز وجل.

وقال: من أراد سلامة دينه، وسلامة عرضه فى هذا الزمان فليبذل الحق الذى عليه، ولا يُطالب أحدًا فى الحق الذى له، ولا يتقرب من لا يعرفه، ويُنكر معرفة من يعرفه فمن أخذ بذلك فقد نجا، ومن أبى ذلك فليستعد للهم فى الباطن لعدم الإنصاف فى الخاصة، وليعد للغم فى الظاهر لغلبة الجهل فى العامة.

وقال: لا ينال صلاح الباطن إلا بالتقى، ولا ينال صلاح الظاهر إلا بالموافقة، ولا ينال صلاح ما بين العبد وبين الناس إلا بالمسامحة، ولا ينال صلاح ما بين العبد، وبين ربه إلا بالإيثار، فصلاح الباطن بواحدة، وهى الخشية لله عز وجل، وصلاح الظاهر باثنين: بكف الأذى، وترك ما لا يعنى، وصلاح ما بين العبد، وبين الناس بثلاث: العفو عنهم، والتحمل لهم، وإدخال المسرة عليهم، وصلاح ما بين العبد، وبين الله بأربع: لزوم الأمر، واجتناب النهى، والصبر على البلاء، والشكر على النعماء.

وقال: لا يجد من جمع له شرع الدين للعمل، وعلم شرع المعرفة بوجود اليقين إلا جاهل عند من لم يسلك طريقه، ضعيف العقل عند من لم يذق مذاقه، ولا يجد من اتصل علم دينه بمعرفة ربه إلا رحيم بكل مؤمن عطوف على كل جاهل.

وقال: إذا كنت لا تحب أن يغلب هواك، متى تموت نفسك من

جهلك؟، وإذا كنت لا تريد من يخبرك بعيوبك، متى تطيع الناصح لك؟ ومتى كنت لا تحب الفقر، وأهله؟ ومتى تجد طعم الصدق، ومواريث الصبر؟ ومتى كنت تحب الغنى وأهله؟ متى تصل إلى الشكر والإيثار؟

وقال: ستظهر غدًا أعلام من أراد الله لواجب حقه على أعلام من أراد ما عند الله تعالى لمراد حظه، وستبدوا أستار من أراد العلم، والعمل للدنيا ممن أراد لله الدار الآخرة.

وقال: اعلموا لو أن إيمانكم تباهى إلى تصديق المقربين لم يتقبل منكم حتى تؤمنوا بالقدر خيره، وشره، ولو أن علمكم انتهى إلى إحياء الموتى لم تجدوا وجه الحق حتى تصدقوا بالقدر، وتعرفوا قدر أولياء الله تعالى، وخاصته، ولو أن علمكم بمبلغ ما تناطقت به الحفظة لم تجدوا طعم حقيقة العبودية حتى تعرفوا تمييز يقينكم منازلة أصحاب الأحوال من رتب أرباب الأحوال فى البداية، والنهاية فيرتب كل حال فى مقامه، وكل وثبة فى مقام أهله، وهذا هو الرقيب على الحكماء المؤدى للعلماء فطوبى لمن عرفه، وطوبى ثم طوبى لمن أطاعه.

وقال: الكرامات دائمة لأهل البدايات فاعرفوا أهل التخلف بها، والإجابات دائمة لأهل النهايات فاعرفوا أهل الوصول بها.

وقال: إذا تباهى أهل النهى طويت عنهم الكرامات فى الظاهر، وصارت مواهبهم مواجد العلم المكنون الذى لا يعلمه إلا العلماء، ولا يجهله إلا أهل العمى فهذا شاهدهم فى الظاهر، وعلامتهم فى الباطن رؤية الغيوب بالقلوب فكأنهم يرونه بالعلم، والإيمان، والمعرفة، واليقين.

وقال: مساكين العامة ماذا فاتهم حين جهلوا طلب علم دينهم، ومساكين طلاب علم الدين ماذا فاتهم حين لم يعرفوا معنى التعبد

بالعلم، ومساكين أهل التعبد ماذا فاتهم حين فقدوا معرفة أهل العبودية، ومساكين أهل العبودية بالعلم، ماذا فاتهم حين لم يجدوا شواهد أهل الإفراد، وحقيقة أهل التوحيد، ومشاهدة أهل الحضور، وخطاب أهل البقاء فى تقريب أهل القرب.

وقال: جمع الله تبارك وتعالى بوجود المعرفة فى الفهم أمره كله فى حرف من كتابه قوله: ﴿**وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً**﴾ [الإسراء:٣٤]، وجمع بوجود المعرفة فى الفهم نهيه كله فى حرف من كتابه: ﴿**ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن**﴾ [الأنعام:١٥١] وجمع وعده، ووعيده فى حرفين من كتابه: ﴿**من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها**﴾ [فصلت:٤٦] وجمع أقداره كلها فى حرفين من كتابه: ﴿**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجًا كأنما يصعد فى السماء**﴾ [الأنعام:١٢٥].

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء السابع

قال عبد الرحمن بن محمد: من أحكم العلم بهذه الأربعة بعد الإيمان تزيدت معرفته بالله فى الحقيقة، ومن وجد بفهمه تمييز التفرقة بجمعها ورث العلم الأكبر فى حقيقة التوحيد.

وقال: جمع الله عز وجل فى هذه الآية فهم معانى حقيقة التوحيد، وإظهار الفقر، والفاقة إليه، ووجود طعم المحبة فى التملق له، والإقرار بصفة إفراد الربوبية فى قوله: ﴿**وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين**﴾ [الأنبياء:٨٣] قيل: فمن قالها سبع مرات بضرورة إيمانه فرج الله همه، وكشف عنه كربه.

وقال: جمع الله سبحانه فى آية من كتابه إقرارًا بالتوحيد، واستسلامًا للرب، وإظهارًا للفقر، وسؤال فضل، وطلب مزيد فضل قوله: ﴿**أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلمًا وألحقنى بالصالحين**﴾ [يوسف:١٠١].

وقال: دخل علم كل شىء يراد الله فى فهم قوله: ﴿**وأن إلى ربك المنتهى**﴾ [النجم:٤٢]، ودخل علم كل شىء يراد من الله فى فهم قوله: ﴿**وإن من شىء إلا عندنا خزائنه**﴾ [الحجر:٢١] الآية، كما أحاط علم الله بكل شىء عنده قوله: ﴿**تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير**﴾ [الملك:١].

وقال: علة خلق الله عز وجل للنعم التى وهب لعباده الشكر عليها، وعلة خلق الله للبلوى الذى اختبر بها عباده ليصبروا له فيها، وهذا موضع الغرض فى النعماء، والبلوى، وجعل وجود الفهم فى معرفة

معنى الشكر مزيدًا فى المحبة لله عز وجل، وجعل وجود الفهم فى معرفة معنى الصبر مزيدًا للحياة من الله عز وجل.

وقال: بعلماء أهل الأمر، والنهى من الله أمره، وبسنة نبيه، وباتباع هذا العلم ينجو العبد من عذاب الله، ويفوز برحمة الله عز وجل، وبالعلم بالله، والمعرفة به يزهر الله به دينه، وينور به سنة نبيه محمد ﷺ، ويفوز فى أهله فى الدرجات، ويعلو بهم غدًا فى المقعد الصدق، والقرب فى المقامات.

وقال: علامة قوة العلماء بالأمر، والنهى فى الظاهر الخشية لله، والورع فى دين الله، والزهد فى الدنيا، وعلامة قوة أهل العلم بالله، والمعرفة بالله الإيثار لله، والرضى عن الله، ولزوم الفقر إلى الله على وجود الغنى بالله، وعلامة التقصير فى العالم بالأمر نظره لنفسه، وإيثاره لدنياه على آخرته، وعلامة الضعف فى العالم بالله صحبته للأضداد، واعتلاله للأهل، والأولاد.

وقال: من عِرف ما يدخل جوفه، وما يخرج من رأسه ارتفع قدره فى الأرض، والسماء، وإن قل صومه، وصلاته، وتلاوته، وذِكره.

وقال: الوسوسة بالبر لبعد الوقت انقطاع للواصلين، وإيصال للمنقطعين.

وقال: إذا كنت أحبك لحظى منك، متى أنصفك؟، وإذا كنت أرهبك لسبب هو دونك، متى أخافك؟

وقال: حُبى لك لحظى حجاب لى عن حقيقة عبوديتك، وجىء لواجب حقك وصول إلى حقيقة توحيدك.

وقال: من أراد وجود المحبة منه لله عز وجل فليكثر فى نعمه،

وأياديه، ومننه، ومن أراد وجود محبة الله له فليجل مقامه عند أمره، ونهيه، ويؤثره على ما سواه من حظ نفسه.

وقال: أهل التخليط فى ميدان التائبين، والتائبون فى ميدان المريدين، والمريدون فى ميدان الورعين، والورعون فى ميدان الزاهدين، والزاهدون فى ميدان العارفين، والعارفون فى ميدان العلماء بالله المؤثرون الله على ما سواه.

وقال: الفرق بين رتبة عموم الخواص، وحال المدعى فى هذا العلم تفضيل ما يجريه الحق بمعرفة الأصول، والأدب فى بداية كل حال، ونهاية، والفرق بين رتبة عموم الخواص، ودرجة الخواص تمييز ما يجريه الحق فى ترغيب نفوسهم من العلم فى مسائل العقل، والهوى فى المكروه، والمحبوب، والفرق بين درجة الخواص، ومقام خواص الخواص وجود نور بصيرة إشارة الحق له فى إيجاد ما يجدونه من بركات حالهم المعلق عليهم فى إشاراتهم للحق فى الخواطر الجارية بينهم، وبينه.

وقال: طبائع العقل فى الناس مختلفة على قدر وزنه فى كل إنسان فأيهم كان أوزن عقلاً فهو أعلى همة، وأرفع إشارة، وأجلَّ رتبة، وأفضل مقامًا، والناس فى منازلة العقل على ثلاث طبقات: فعاقل قد أبصر رشده من غيه قبل حُلول نفعه، وضره فآثر الذى هو أولى به، وعاقل قد أحرقته التجارب فهو يعرف رشده من غيه، ولا تمييز له فى الإيثار حتى يرد وقته فيؤثر الذى هو أوجب عليه، ومتعلق بالعقل يعمل بالمشورة، ويأخذ بالوثيقة من عقل غيره، ولا بصير معه لنفسه، ولا تمييز له لحاله.

وقال: أعقل الناس من أخذ بثلاث، وترك ثلاثًا: من أخذ فى دينه بالكتاب، والسنة، وأخذ فى دنياه بالإيثار لآخرته، وأخذ فى الناس

بالتغافل، وترك المكافآت بالأدنى، وترك من أخلاقه ثلاثًا: الحسد لإخوانه، والحرص على ما فاته، والاشتغال بما لم يأت قبل وقته.

وقال: العاقل لا يقتدى إلا بعالم عارف، ولا يثق إلا بطاعة موفق، ولا يركن إلا بمؤالفة صادق.

وقال: من أظهره الله عز وجل بمعنى من العلم، أو بضرب من الخير للعامة فقد عرض به للحمق إما بلوى فى نفسه لنفسه، أو ابتلاء من غيره لنفسه، ولغيره فبلاء المدخول عليه من نفسه لنفسه الرياء، والعجب، والتزين، والفخر، ومحبة الثناء، والحمد فكلما استحلى ذلك يريد له قبول الناس خيره، ويريد استعباده لموافقتهم بالاعتراض، والإغماض عن النصيحة لهم فيما يكرهون، والتصنع لهم فيما يحبون، ويشتهون حتى أنه ليبدل دينه، ودنياه، وعرضه، وجسمه فى إقامة الجاه عنده بذهاب عيشه فى الدنيا، وراحته فى الآخرة إلا أن يتداركه الله بخوف يصحبه خشية، أو برجاء تتبعه رغبة فيعمل لحظه من آخرته، وللتقرب من ربه، وعلامة صحة الصدق فى ذلك وجود وحشة القلب من المدح خوف استعجال حظه من الله، والأنس بانتشار الذم محبة للسقوط من أعين الناس، وأما ابتلاؤه مما دخل عليه من غيره معاشرة الأضداد، ومفارقة الأنداد، وائتلاف الحمقاء، واعتراض السفهاء، واعتلال الجهلة، ومخالفة الظلمة فعند ذلك يصير عرضًا للخلق، ومعدنًا لبلوى الحق فإذا ذهبت به حمية لنفسه بالمقاومة لغيره سقط فى خنادق الهوى بأول نفس، وسلب نور العقل بأول قدم، وعاد علمه ومعرفته وبالأعلية عند افتخاره بحاله، وانتصاره لنفسه، وضرٍّ بدينه، ودنياه فى استحضاره لنفسه، وطلب حب الغلبة لحظه إلا أن يُحفظ بحفظه الله له بالستر، ويفهمه قدر ثواب من ابتلاه، وما لقى رسل الله عز وجل، وأرضاه فيحفظ فى ميدان السلامة،

ويجتنى ثمار الغنيمة، والله عنده حسن المآب.

وقال: من أظهره الله عز وجل بمعنًى من الشهادة عند العوام فسكن إلى ذلك دون رؤية النعمة من ربه بما يستر عليه من ذنوبه، وعيوبه فى تقصير فى شكر ما أولاه من نعمة فإن لم يشغله هذان الأمران عن رؤية حاله، وما انتشر له من ذكر مر به فى طريقه، واستدرج فى حاله علم ذلك، أو جهله فيصير عدة عند الخاصة، أو عارًا عند العامة إما بكشف حال من الحق، أو بسخف يظهره الله على لسانه ثم يزيد به البلاء حتى يصيرًا به بصير على المتقدم قبله إما بقدوة فى الزلات، وإما بسوء التأويل، وقلة الضبط فى الحكايات، ويصير معرة على المتأخر بعده من اتباع أهل الضعف، والدعاوى مثله فهو بلية على نفسه بحبه على من بعده عار على من كان قبله، وغمة للخواص، وفتنة للعوام، وذلك العالم الفاجر الذى استعيذ بالله من جهله، والعابد الجاهل الذى استعيذ بالله من فتنته.

وقال: ليس كل من أشهره الله بمعنًى من العلم ناجٍ، ولا من أخمله بضرب من الخير سالم حتى يصفى حاله بالبلوى، والامتحان اختبارًا من الحق له فى المحبوب، والمكروه فإما دعاوى تضمحل، وتظهر للخاصة، وإما سخف نفس لا يخفى على العامة لأن الله سبحانه ألزم كل حال معنى من الاختبار بأوامر للعبد، وعلامة الصحة فى ذلك اتباع الحق، والثبوت على مدرجة الصدق فى العموم، وأما الخصوص فصحة حقيقة حالهم الغنى بالله، والفقر إلى الله، والشكوى إليه، والتعلق به فى كل حاله فمن ظهرت منه رغبة بحرص، وحسد شره أو رهبة لمخلوق دون الخالق فهو مدع مطرود عن درجة العلماء، ومقامات النساك إشهاده عليه أضر من إخماله، وإخماله مزيد فى فتنه بحال.

وقال: الشهرة كلها فى الدين، والدنيا ضرر فى العقل والنفس، ونقصٍ فى العلم والمعرفة إلا عبدٌ أظهره الله بصولة اليقين، وعزِّ الغنى، وهيبة الرحمة، وإيثار النصيحة، ونبذ الدنيا، والإقبال على الآخرة، وعلامة ذلك فى الولى ألا يخاف إلا ربه، ولا يرجو إلا مولاه، ولا يشكو ضيقًا من الدنيا، ولا يفرح بسعة منها، ولا ينتصر لنفسه، ولا ينتقم من أحد إلا لله سبحانه، ولا يغضب إلا عند حدوده، والتعرض لأوليائه، وكل من فاتته هذه الآداب، والأخلاق عند الاشتهار فقد هلك، وأهلك غيره إذ لا يخلو من الرياء بالتزين، والتصنع بالمداهنة، والتصدِّى للظلمة، والإغضاء عن الفجرة، والافتخار بحاله، والمدحة لمن جرى فى محبوبه، والعداوة، والبغضاء لمن صمت عنه، وإباحة الدماء، واستحلال ظهر من نصحه، وباينه فى الحق، وقاومه، ﴿**وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون**﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

وقال: التعلق بمحبة الشهرة دون الله طرد، والركون إليها من سخافة العقل، ومحبة الإخمال خوفًا على فساد اليقين فى ذات الله عز وجل، والعمل فى هدم الجاه شرف، وزيادة فى العقل، ومن لم يؤيد فى الشهرة والإخمال بالاستعانة، والاستغاثة، والفقر إلى الله عز وجل بصدق اللجوء فى طلب السلامة هلك.

وقال: الحمقاء ينظرون إلى ما ظهر عند الناس فيزدادون لهم تصنعًا، والعقلاء ينظرون إلى ما بطن فى تقصيرهم فى الواجب لله عز وجل فيزدادون منه خوفًا، وإشفاقًا، فالأحمق يزداد بعلمه، وعمله جهلاً، وبعدًا، وعمىً، والعاقل يزيد بفقره، ومعرفته لنفسه علمًا، ويقينًا، وقربًا، وبصيرة.

وقال: ويل لمن ظهرت شهرته قبل أحكام معرفة علم بدايته، وويلٌ لمن

لحقته الشهرة قبل فهم آداب نهايته.

وقال: إياكم أن تخدعوا بصحبة من اشتهر بضرب من العلم معنى من العمل، وهو راهب من الخلق راغب إليهم فإنهم ضالون مفتونون، وإياكم أن تنخدعوا عن صحبة أهل اليقين، والمعرفة الذين أغناهم الله به، وأفقرهم إليه، وجعلهم متعلقين به فى كل حال فإنهم القدوة فى الدِّين، والهداية للمتقين.

وقال: أبخس الناس حظًا فى أهل الإيمان من جعل إشهاره بالعلم، والمعرفة استجلابًا للدنيا، وإقامة لجاهه، وأقل منه حظًا من جهل ذم حاله، وعادى فيه من ناصحه.

وقال: لو كانت شهرة تنفع بالعلم، والعمل بلا ورع، ولا تقوى لمدح أحبار أهل الكتاب، ورهبانهم موضع ذمهم الله عز وجل، ولو كان الظاهر مكرمة دون الصدق، والإخلاص لم يكن فى الأرض منافق، ولا اسْتُعِيذَ بالله من علم لا ينفع.

وقال: أول عقوبة استعجلت لأهل الشهرة المحبين لها العاملين عليها الأنس بالخلق على ادِّهان لهم، وأول رحمة استعجلت لأهل المحبة للخمول الأنس بالخالق، والسلامة فى مجالسة الخلق، وكل من وجد الأنس بالخلق دون أنس قلبه بالله عز وجل فهو ضعيف، وكل من ذهب أنسه مع مجالسة الخلق فهو مطرود محبوب، وكل من وجد أُنسه فى الخلاء والملأ فهو مقبول مقرب.

وقال: مراتب الخاصة والعامة من أهل البدايات والنهايات فى المقامات والدرجات داخلة فى هذه الأصول فمن عمل بها تزيد نور قلبه، وصفاء عقله، وكفى شر نفسه، وهواه، وعدوه ما صحبه فى ذلك الصدق له، والإخلاص فى معاملة الله، والصبر لله، والشكر على نعم الله، والخوف

من الله، والرجاء فى ذات الله على الاستعانة بالله، والفقر إلى الله، ومن عمل بأضدادها فليس فى شىء من الحقيقة، ولا مزيد من نور، ولا هداية فأول ذلك الحفظ لحدود الإسلام، وشرائعه، وفروضه، وأحكامه، ولا إسلام فى الظاهر إلا بالتصديق بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، ووعده، ووعيده، وبعثه بعد الموت، ومجازاته بالأعمال على الخلود فى الجنة، والنار، ومريد الله بالنظر إلى الله عز وجل، ولا تصديق بحقيقة إلا بحفظ الأمانة، ولا أمانة إلا بالتقوى، ولا تقوى إلا بدين، ولا دين إلا بعقل، ولا عقل إلا بفهم، ولا فهم إلا بفطنة، ولا فطنة إلا بذهن، ولا ذهن إلا بفكرة، ولا فكرة إلا بعبرة، ولا عبرة إلا بيقظة، ولا يقظة إلا بمبادرة، ولا مبادرة إلا بمسارعة، ولا مسارعة إلا بمسابقة، ولا مسابقة إلا بتمام البيعة، ولا بيعة إلا بنية، ولا نية إلا بهمة، ولا همة إلا بصدق، ولا صدق إلا بإخلاص، ولا إخلاص إلا بصبر، ولا صبر إلا بشكر، ولا شكر إلا بمعرفة، ولا معرفة إلا بعلم، ولا علم إلا بحلم، ولا حلم إلا بتجاوز، ولا تجاوز إلا بعفو، ولا عفو إلا بنصح، ولا نصح إلا بإنصاف، ولا إنصاف إلا بموالاة، ولا مُوالاة إلا بمعاداة، ولا معاداة إلا بحق، ولا حق إلا بمؤالفة، ولا مؤالفة إلا بتواضع، ولا تواضع إلا بمحبة، ولا محبة إلا بمودة، ولا مودة إلا بشوق، ولا شوق إلا بكمد، ولا كمد إلا بمسامحة، ولا مسامحة إلا بحسن خلق، ولا حسن خلق إلا برحمة، ولا رحمة إلا بخشية، ولا خشية إلا بإشفاق، ولا إشفاق إلا بحذر، ولا حذر إلا بخوف، ولا خوف إلا برجاء، ولا رجاء إلا بحياء، ولا حياء إلا بمراقبة، ولا مراقبة إلا بزهد، ولا زهد إلا بأنس، ولا أُنس إلا برضا، ولا رضا إلا بتوكل، ولا توكل إلا بثقة، وتفويض، وتسليم، واعلم أن أول كل حال التوبة، ثم الطهارة، ثم

الطلب، ثم العمل، ثم المجاهدة، ثم المكابدة، ثم المخالفة، ثم التسهيل، ثم الرغبة، ثم المعرفة، ثم العمل، ثم الغنى، ثم الفقر، ثم القناعة، ثم الموافقة، ولابد فى ذلك كله من خضوع، وذلة، واستكانة، وطلب الغنيمة بعد السلامة، ثم ينتقل العبد إلى درجة البصيرة، والتمييز ثم ينتقل إلى مقام الإجلال، والتعظيم، ثم يترتب فى حال الهيبة، والحضور، والمشاهدة، وهو حقيقة أهل وجود حقيقة التوحيد الذين يعبدون الله عز وجل بالشرائع فى الظاهر كأنهم يرونه بالإيمان، والعلم، واليقين فى الباطن.

وقال: هذه اللحظة انتهت كرامة أولياء الله عز وجل فى الدنيا، والله عنده حسن المآب.

كمل الكتاب بحول الله، وعونه، وتأييده، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله، وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

* * *

وكان الفراغ منه يوم الإثنين فى شهر صفر سنة ست وأربعين وسبعمائة على يد الفقير إلى الله تعالى عبد الله بن أحمد الحنفى، عفا الله عنه، وعن والديه، وعن سائر المسلمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

***



الأنوار

علم الأسرار ومقامات الأبرار

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان